شهادة الله لنفسه بالوحدانية في القرآن الكريم

"دراسة عقدية حول قوله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾"

إعداد:

د. إبراهيم بن عبد الله الحماد

د. إبراهيم بن عبدالله الحماد

- الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- حصل على درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (منهج الخطابي في العقيدة)
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته :

(الآثار الواردة عن السلف في توحيد الربوبية والأسماء والصفات في تفسير الطبري)

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ (٣) أما بعد: فقد عظّم الله تعالى أمر توحيده في القرآن الكريم، وبيّن مكانته ومنزلته بطرق متعددة وأساليب متنوعة، تارة ببيان أنه الغاية من خلق الجن والأنس فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٤)، وتارة بالتصريح بكونه المقصود من بعثة الرسل – عليهم السلام – كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (٥)، ومرة بذكره في أول الأوامر والأحكام كقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا

(١) سورة آل عمران:١٠٢.

(٢) سورة النساء:١.

(٣) سورة الأحزاب:٧٠.

(٤) سورة الذاريات:٥٦.

(٥) سورة النحل:٣٦.

﴿ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (١)، وقوله ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (٢)، إلى غير ذلك من الصور المختلفة، ومن أبين الأساليب وأوضحها لتعظيم الله سبحانه لتوحيده في القرآن الكريم تصريحه فيه بالشهادة لنفسه بالوحدانية في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ (٣)، وقد رغبت في هذه الدراسة تناول هذه الشهادة في تلك الآية من جانبها العقدي، مع الاستفادة مما ذكره أهل التفسير واللغة حولها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

كان من دوافع دراسة هذا الموضوع ما يلي:

١ – تعلقه بتوحيد الله تعالى الذي يجب العناية به اعتقاداً وفهماً وعلماً وعملاً، ومن أقوى ما يرشد لذلك ويدل عليه تدبر آيات كتاب الله عامة، وما يتصل بالتوحيد خاصة.

٢ – شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية من بين سائر خصائصه كربوبيته للعالمين، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم ونحو ذلك يستدعي مزيداً من العناية بمعرفة هذه الشهادة، وأقوال أهل العلم في بيان المراد بها.

٣ – منزلة هذه الشهادة ومكانتها يستوجب المزيد من البحث في المسائل المتعلقة بها، ومثل هذه الدراسة قد تساعد في الوقوف على بعض أسرار هذه

(١) سورة النساء:٣٦.

(٢) سورة الإسراء:٢٣.

(٣) سورة آل عمران:١٨.

الشهادة العظيمة.

٤ – لم أقف على دراسة تناولت هذه الشهادة من جانبها العقدي سوى ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [١] ونقل كثيراً منه تلميذه ابن القيم رحمه الله[٢]، وهذه الدراسة محاولة في تتميم جانب من جوانب عمل هذين الإمامين من عدة نواحي منها:

١ – ذكر بعض المسائل التي لم يتناولاها كالرد على من جعل شهادة الله تعالى هي مجرد نصب الأدلة، وتفنيد قول من يزعم عدم صحة هذه الشهادة احتجاجاً بأن الشهادة لا تصح من صاحب الدعوى ونحو ذلك.

٢ – بيان بعض المواطن التي اختلف فيها كلام شيخ الإسلام وابن القيم كعدد مراتب الشهادة حيث جعلها شيخ الإسلام رحمه الله مرتبتين بينما عدها ابن القيم رحمه الله أربع مراتب، وكذلك طرق بيان الله لهذه الشهادة فقد جعلها شيخ الإسلام رحمه الله طريقين، في حين أن ابن القيم رحمه الله ذكر ثلاثة طرق، وغير ذلك[٣].

---

(١) ينظر : مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٨.

(٢) تحدث ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية في موضعين: الأول : في مدارج السالكين ٣/ ٤١٩ وفيه تكلم عما يتعلق بشهادة الله تعالى، ومعناها، ومراتبها، والثاني : في مفتاح دار السعادة ١/ ٤٤ وكان حديثه كله عن دلالة الآية على فضل العلم وأهله حيث ذكر فيها أكثر من مائة وخمسين وجهاً.

(٣) ألف بعض العلماء رسائل مستقلة في تفسير هذه الآية، ولم أقف على شيء منها مطبوعاً، ومما أشير إلى أنه مخطوط :

١ – تفسير قوله تعالى: شهد الله انه لا اله الا هو ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لابن أبي =

٣ - ترتيب المسائل وتنظيمها.

أهداف البحث :

١ – عرض أقوال العلماء في المراد بشهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية، مع ذكر الراجح منها، والرد على من زعم عدم صحتها.

٢ – إيضاح مراتب هذه الشهادة، وطرق بيان الله تعالى لها.

٣ - بيان معنى شهادة الملائكة وأولي العلم لله تعالى بالوحدانية.

خطة البحث : اشتملت على مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة وفيها : أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطته، ومنهج البحث.

التمهيد : وفيه:

أولاً : تعريف الشهادة في اللغة والاصطلاح.

ثانياً : أنواع شهادات الله تعالى في القرآن الكريم.

المبحث الأول: معنى شهادة الله تعالى لنفسه المذكورة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

المبحث الثاني : منزلة شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .

= شريف البرهاني [ت٨٣٦هـ]، منه نسخة في المكتبة الأزهرية برقم ٣٤٠ مجاميع، واللمعة مرآه الله في شرح آية شهد الله، لمحمد علي بن ابي طالب بن عبد الله، الزاهدي، المشهور بالجيلاني [ت١١٨٠هـ]، يوجد منه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم : ب ٤٣٠٧، وقد وقف الباحث على المخطوط فتبين أنه لأحد مصنفي الشيعة، وينظر بعض مصنفاته في الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآقا بزرك الطهراني ص٨٩، ١٧٥، ٢٤٦.

المبحث الثالث : مراتب شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .

المبحث الرابع : طُرُق بيان الله تعالى لشهادته لنفسه بالوحدانية.

المبحث الخامس : معنى شهادة الملائكة وأولي العلم لله تعالى بالوحدانية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

ثبت المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

منهج البحث :

سلكت المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، واتبعت مايلي :

١. استفدت في هذا البحث مما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسيره لهذه الآية، وكذا كلام تلميذه ابن القيم رحمه الله حول الآية.
٢. رجعت إلى أقوال المفسرين وأهل اللغة، وأفدت منها في إعداد هذا البحث.
٣. قد أذكر في موضع واحد أكثر من نقل، إما لزيادة معنى، أو تأكيده .
٤. عزو الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.
٥. تخريج الأحاديث النبوية، وذكر حكم العلماء عليها إذا لم تكن في الصحيحين، أو أحدهما لتلقي الأمة لهما بالقبول .
٦. توثيق النقول بذكر مصادرها .
٧. اكتفيت بذكر سنة الوفاة للأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث .
٨. ذكرت المعلومات المتعلقة بالمصادر والمراجع في الملحق الخاص بها في

آخر البحث ، وإذا اختلفت طبعة أي مصدر أو مرجع فإني أشير إليه في موضعه.

وبعد فهذا جهد متواضع، واجتهاد في بيان ما يتعلق بهذه الشهادة العظيمة، فما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده ﷻ وبفضله وتوفيقه وتسديده، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك .

كما أسأله ﷻ أن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يرزقنا الفقه في الدين، والسير على طريقة سيد المرسلين ﷺ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمهيد

أولاً : معنى الشهادة في اللغة والاصطلاح:

أ – معنى الشهادة في اللغة :

قال ابن فارس [ت٣٩٥هـ]:" ((شهد)) الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك **الشهادة**، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام "[(١)].

وأصل الشهادة الإخبار بما شاهده وشهِدَه[(٢)]، وقيل : أصل الشهادة الرؤية، وقد شاهدت الشيء رأيته[(٣)]، والشهادة اسم من المشاهدة، وهي الاطلاع على الشيء عياناً[(٤)].

ومن العلماء من فرّق بين الشهادة والعلم فقال :" الفرق بين الشهادة والعلم: أن الشهادة أخص من العلم؛ وذلك أنها علم بوجود الأشياء لا من قبل غيرها، والشاهد نقيض الغائب في المعنى، ولهذا سُمّي ما يدرك بالحواس ويعلم ضرورة شاهداً، و سُمّي ما يعلم بشيء غيره وهو الدلالة غائباً كالحياة والقدرة."[(٥)]، وقد يُشعر بهذا الفرق قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَكَ

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٢٢١.

(٢) ينظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٢/ ١٢٥٤، ولسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٣٨.

(٣) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري ص: ٢٩١.

(٤) ينظر : المصباح المنير للفيومي ص١٦٩.

(٥) الفروق اللغوية ص: ٣٠٥.

ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [1] حيث فرّق سبحانه بين علمه وشهادته.

وكذا فرّق بين الشهادة والحضور فقال :"الشهادة تقتضي العلم بالمشهود ...، والحضور لا يقتضي العلم بالمحضور، ألا ترى أنه يقال حضره الموت ولا يقال شهده الموت، إذ لا يصح وصف الموت بالعلم، وأما الإحضار فإنه يدل على سخط وغضب، والشاهد قوله -تعالى-: ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [2]"[3].

والخلاصة أن الشهادة في اللغة تطلق على عدة معان، منها : العلم، والبيان، والحضور، والإعلام والإخبار، والحلف ونحو ذلك[4] .

ب - معنى الشهادة في الاصطلاح:

للشهادة عدة تعريفات اصطلاحية، وأكثر تلك التعريفات منصرفة إلى تعريف الفقهاء للشهادة في الدعوى والقضاء، ومن ذلك ماذكره الجرجاني رحمه الله [ت٨١٦هـ] حيث قال: "الشهادة هي في الشريعة إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر، فالإخبارات الثلاثة إما بحق للغير على آخر وهو الشهادة، أو بحق للمخبر على آخر وهو

(١) سورة المنافقون:١.

(٢) سورة القصص:٦١.

(٣) الفروق اللغوية ص: ٢٩١.

(٤) ينظر في هذا المعاني : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١/ ٢٣٨، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ١/ ٣١٦، ولسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٣٨،والمصباح المنير للفيومي ص ٣٤٨.

الدعوى، أو بالعكس وهو الإقرار."[1].

وعرّفها بعض الفقهاء بأنها : حجة شرعية تُظهر الحق ولا تُوجبه، فهي الإخبار بما علمه بلفظ خاص[2].

وكذا عرّفت بأنها : رؤية خبرة باطن الشيء ودُخْلَتُه ممن له غنى في أمره، فلا شهادة إلا بخبرة وغنى ممن له اعتدال في نفسه بأن لا يحيف على غيره فيكون ميزان عدل.[3].

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة، فالشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة، ومن الشهود وهو الحضور؛ لأن الشاهد يحضر حين تحمل الشهادة وأدائها في مجلس القضاء[4].

ثانياً : أنواع شهادة الله في القرآن الكريم :

شهد الله سبحانه في القرآن الكريم على ستة أشياء[5]، ويمكن تقسيم هذه الشهادات إلى قسمين :

القسم الأول : شهادة عامة على كل شيء، وقد ذكرها الله تعالى في عدد من الآيات، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾[6]،

(١) التعريفات للجرجاني ص: ١٧٠.

(٢) ينظر : الإقناع للحجاوي ٤/ ٤٣٠، وكشاف القناع للبهوتي ٦/ ٤٠٤.

(٣) ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص: ٤٣٩.

(٤) ينظر : أنيس الفقهاء لقاسم القونوي الحنفي ص:٢٣٥.

(٥) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٣/ ٤١٧، وذكر أن الله تعالى شهد على سبعة أمور لكنه لم يذكر إلا ستة أمور.

(٦) سورة النساء:٣٣، وسورة الأحزاب:٥٥.

وقولـــه تعـــالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٢]، وقولـــــه تعـــــالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [٤]، وقد بيّن العلماء أن المراد بهذه الشهادة أن الله تعالى شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه [٥]، وأنه شاهد لكل شيء، وشاهد على كل شيء[٦]، فهو عالم بجميع الجزئيات والكليات، شاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه [٧]، لايخفى عليه خافية من الأقوال والأفعال، ولا يتفاوت في علمه الأماكن والأوقات والأحوال[٨]، عالم بخطرات القلوب وهواجسها والضمائر ودواخلها، والنيات ومقاصدها[٩]، لم يغب عنه شيء من الأشياء كائناً ماكان[١٠]، مطلع على كل شيء بعلمه لجميع الأمور،

(١) سورة المائدة:١١٧.

(٢) سورة الحج:١٧.

(٣) سورة فصلت:٥٣.

(٤) سورة المجادلة:٦، وسورة البروج:٩.

(٥) ينظر : تفسير الطبري ٢١/ ٤٩٤.

(٦) ينظر : تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٧٣٥.

(٧) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٢/ ٤٠٨.

(٨) ينظر : تفسير أبي السعود ٧/ ١١٣، وروح البيان لإسماعيل حقي ٧/ ٢١٨.

(٩) ينظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ٤/ ٤٥٧.

(١٠) ينظر : فتح القدير للشوكاني ٤/ ٣٤٣.

وبصره لحركات عباده، وسمعه لجميع أصواتهم[1]، ويشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم[2]، ولذا كانت هذه الشهادة على كل شيء كافية في الدلالة على توحيده، وتثبيت رسله عليهم السلام[3].

القسم الثاني : شهادة الله تعالى على أشياء معينة، وهي عدة أنواع[4]، منها :

١ - شهادة الله تعالى على التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5].

٢ – شهادة الله تعالى على صدق الرسول ﷺ في رسالته كقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[6] ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[7].

٣ – شهادة الله تعالى على إنزال القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[8]،

(١) ينظر : تفسير السعدي ص: ١٧٦.

(٢) ينظر : المصدر السابق ص: ٦٧١.

(٣) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٣١٢.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ٤١٧.

(٥) سورة آل عمران:١٨.

(٦) سورة النساء:٧٩.

(٧) سورة الرعد:٤٣.

(٨) سورة النساء:١٦٦.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١).

٤ - شهادة الله تعالى على أفعال العباد وأعمالهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾ (٣).

٥ - شهادة الله تعالى على كذب المنافقين كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٥).

(١) سورة العنكبوت:٥١-٥٢.

(٢) سورة يونس:٤٦.

(٣) سورة يونس:٦١.

(٤) سورة الحشر:١١

(٥) سورة المنافقون:١.

المبحث الأول : معنى شهادة الله تعالى لنفسه المذكورة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

أولاً : معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

قبل الحديث عن المراد بشهادة الله تعالى لنفسه الواردة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لابد من الإشارة إلى أنه قد تعددت وتنوعت عبارات العلماء من أهل التفسير واللغة وغيرهم في بيان معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، ويمكن بيان ذلك بما يلي:

١ – معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ أي : حكم الله، ويروى هذا عن مجاهد رحمه الله [ت١٠٤هـ][(١)].

٢ – معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ أي : قضى، وبه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى رحمه الله [ت٢٠٩هـ] [(٢)]، وتُعقب بأنه مردود من جهات[(٣)]، لأن الشهادة ليست بعض الحكم بالشيء، بل هي سبب فيه، وموجب له، فهي غيره، –وأيضاً– فتعلق الحكم حادث لا يقال: حكم فلان بأن (لا إله إلا هو)؛ ولأن لفظ: الشهادة بعيد من لفظة القضاء[(٤)]، بل قال ابن جرير رحمه الله

(١) ينظر : تفسير البغوي ١/ ٤٢٠، والكشف والبيان ٣/ ٣٢، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٥/ ٩٤.

(٢) ينظر : مجاز القرآن١/ ٨٩.

(٣) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤١٢.

(٤) ينظر : التقييد الكبير للبسيلي ١/ ٤٨٠.

[ت٣١٠هـ]:" فأما ما قال الذي وصفنا قوله من أنه عنى بقوله شهد: قضى، فمما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم؛ لأن الشهادة معنى، والقضاء غيرها "[(١)]، إلا إن هذا المعنى والذي قبله قد صححهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [ت٧٢٨هـ] حيث قال :" من قال: حكم وقضى فهذا من باب اللازم فإن الحكم والقضاء هو إلزام وأمر. ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى به وحكم، إذا شهد الله أنه لا إله إلا هو فقد حكم وقضى بأن لا يعبد إلا إياه. و– أيضاً– فلفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبرية فيقال: للجمل الخبرية قضية ويقال: قد حكم فيها بثبوت هذا المعنى وانتفاء هذا المعنى، وكل شاهد ومخبر هو حاكم بهذا الاعتبار، قد حكم بثبوت ما أثبته ونفي ما نفاه حكما خبرياً قد يتضمن حكما طلبياً."[(٢)].

٣ – معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ أي :قال الله، ونسب هذا القول لابن الإعرابي [ت٢٣١هـ] [(٣)]، وهي : لغة قيس.[(٤)].

٤ – معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ أي : بيّن الله وأظهر، وبه قال أحمد بن يحيى المعروف بثعلب [ت٢٩٠هـ] [(٥)] ، والزجاج[ت٣١١ هـ][(٦)]

(١) تفسير الطبري ٥/ ٢٨٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٣– ١٧٤.

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٤٧.

(٤) ينظر : إيجاز البيان عن معاني القرآن لأبي القاسم النيسابوري ١/ ١٨٤، والبحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٦٠.

(٥) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٤٧.

(٦) ينظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٨٥، الوسيط للواحدي ١/ ٤٢٠.

٥ – من العلماء من جمع هذه المعاني فجعل معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ أي : علم الله، وحكم الله، وأخبر الله، وكتب الله، وأعلم الله، وعَرَّفَ الله[١]، ومن العلماء من اقتصر على معنى واحد من هذه المعاني فجعل معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ علم الله[٢]، ومنهم من اقتصر على معنى : أخبر الله[٣].

هذه أشهر الأقوال في معنى ﴿ شَهِدَ ﴾، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية ¬ أن عبارات المفسرين قد تنوعت في لفظ ((شهد))، وذكر خمسة من هذه المعاني هي : حكم، وقضى، وبيّن، وأعلم، وأخبر ثم قال :"وكل هذه الأقوال وما في معناها صحيحة"[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله [ت٧٥١هـ] :"عبارات السلف في ((شهد)) تدور على الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار.... وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها. "[٥].

(١) ينظر : لطائف الإشارات للقشيري ١/ ٢٢٦، والقاموس المحيط ١/ ٣٧٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ١٧٢، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٤٩٠، ومحاسن التأويل للقاسمي٢/ ٢٩٥.

(٢) ينظر : تفسير التستري ص٤٧، وتفسير غريب القرآن لغلام ثعلب ص١٨٦،

(٣) ينظر : تفسير العز بن عبدالسلام ١/ ١٤٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٩.

(٥) مدارج السالكين ٣/ ٤١٨، وينظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/ ٨٩ فقد نقل نص كلام ابن القيم.

ثانياً : المراد بشهادة الله تعالى المذكورة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

اختلف العلماء في المراد بذلك على قولين :

القول الأول : أن الله شهد بذلك شهادة إخبار وبيان، وشهادة إظهار وإعلام، فتكلم تعالى بهذه الشهادة ، وأخبر بها، ونصب الأدلة عليها، وإلى هذا القول ذهب عدد من العلماء، منهم :

١ – أبو الحسن الأشعري رحمه الله [ت٣٢٤هـ] حيث قال عند رده على من يقول بأن القرآن مخلوق:" لا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من نفسه؛ لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات أو بعد كون المخلوقات، فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات فلم يسبق شهادته لنفسه بالإلهيةِ الخلقَ، وكيف يكون ذلك كذلك ؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحداً قبل الخلق لأن ما يستحيل الشهادة عليه فمستحيل.

وإن كانت شهادته لنفسه قبل الخلق بالتوحيد فقد بطل أن يكون كلام الله -تعالى- مخلوقاً لأن كلام الله شهادته ."[1].

٢ – شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال :"شهادة الرب وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارة وبفعله تارة. فالقول هو ما أرسل به رسله وأنزل

(١) الإبانة – الأشعري ص: ٧١.

به كتبه وأوحاه إلى عباده كما قال: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ (١) إلى غير ذلك من الآيات. وقد علم بالتواتر والاضطرار أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد ويشهد أن لا إله إلا هو بقوله وكلامه؛ وهذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه ولهذا قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ ﴾ (٢)،وأما شهادته بفعله فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل وإن لم يكن هناك خبر عن الله، وهذا يستعمل فيه لفظ الشهادة والدلالة والإرشاد "(٣).

وقال –أيضاً–:" التوحيد يكون من الله لنفسه فإنه يوحّد نفسه بنفسه كما قال –تعالى–: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه."(٤).

وقال –أيضاً–:" توحيد الحق نفسه بنفسه، وهو علمه بنفسه وكلامه الذي يخبر به عن نفسه، كقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾."(٥)

٣ – ابن القيم رحمه الله حيث قال :" شهادة الله –سبحانه– لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت ... علم الله –سبحانه– بذلك،

(١) سورة النحل:٢.

(٢) سورة الأنبياء:٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى١٤/ ١٧٣-١٧٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٥٥.

(٥) منهاج السنة النبوية ٥/ ٣٧٣.

وتكلمه به. "[١].

القول الثاني : أن المراد بشهادة الله تعالى لنفسه هي نصبه الأدلة على وحدانيته، فيكون ذلك على سبيل المجاز والاستعارة، وبه قال أكثر المفسرين[٢]، وبناء على هذا القول فلم يشهد الله تعالى بذلك إلا بنصبه الأدلة فقط، فلايكون هناك خبر وإعلام حقيقي من الله تعالى، وممن صرّح بذلك :

١ – الراغب الأصفهاني رحمه الله [ت٥٠٢هـ] قال :" معنى شهادة الله: إقامة البينة الدالة على ثبوته، وعلى هذا قوله –تعالى–: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية، أي: أقام البينة الواضحة على وحدانيته، وأعظم الشهادة ما يقتضي علم المشهود عنده، فالشهادة من الناس قد لا توقع العلم، وشهادة الله إقامة البراهين المثلجة للصدور موقعة للعلم مزيلة للشك، فمن أعظم شهادته إتيانه لمعجزاته كالقرآن الذي هو كما قال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [٣] "[٤]، وقال –أيضاً– :" شهادته لنفسه إيجاده الأشياء دالة على وحدانيته ناطقة بالشهادة له."[٥] ، وقال –أيضاً– " شهادة الله

(١) مدارج السالكين٣/ ٤١٩.

(٢) ينظر: تفسير المنار ٣/ ٢١٠.

(٣) سورة الإسراء:٨٨.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني ٤/ ٢٣٣.

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٥٣.

تعالى بوحدانيّته هي إيجاد ما يدلّ على وحدانيّته في العالم، وفي نفوسنا"[1]

٢ - الزمخشري رحمه الله [ت ٥٣٨هـ] حيث قال :"شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف."[2]

٣ – البيضاوي رحمه الله [ت٦٨٥هـ] حيث قال :"بيّن وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها، وإنزال الآيات الناطقة بها."[3].

٤ – علاء الدين الشيحي المعروف بالخازن رحمه الله [ت ٧٤١هـ] قال: "أرشد عباده إلى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته"[4]

٥ – البقاعي رحمه الله [ت٨٨٥هـ] قال :"المعنى أنه تعالى فعَلَ فعْلَ الشاهد في إخباره عما يعلم حقيقته بلفظ الشهادة جرياً على عادة الكبراء إذا رأوا تقاعس أتباعهم عما يأمرون به من المهمات في تعاطيهم له بأنفسهم تنبيهاً على أن الخطب قد فدح والأمر قد تفاقم، فيتساقط حينئذ إليه الأتباع ولو أن فيه الهلاك تساقط الذباب في أحلى الشراب...، فكأنه قيل: إن ربكم الذي أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قد نصب لكم الأدلة بخلق ما خلق

(١) المفردات في غريب القرآن ص: ٤٦٦.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٣٤٣.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٩.

(٤) تفسير الخازن ١/ ٢٣٣-.٢٣٤

على تفرده بحيث انتفى كل ريب فكان ذلك أعظم شهادة منه سبحانه"[١].

٦ – أبو السعود رحمه الله [ت٩٥١هـ] قال :"بيّنَ وحدانيتَه بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس وإنزالِ الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة إيذاناً بقوته في إثبات المطلوبِ وإشعاراً بإنكار المنكر."[٢]

٧ – الطاهر بن عاشور رحمه الله [ت١٣٩٠هـ] قال :" الشهادة حقيقتها خبر يصدق به خبر مخبر وقد يكذب به خبر آخر كما تقدم عند قوله -تعالى- ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾[٣] . وإذ قد كان شأنه أن يكون للتصديق والتكذيب في الحقوق، كان مظنة اهتمام المخبر به والتثبت فيه، فلذلك أطلق مجازا على الخبر الذي لا ينبغي أن يشك فيه قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[٤] وذلك على سبيل المجاز المرسل بعلاقة التلازم، فشهادة الله تحقيقه وحدانيته بالدلائل التي نصبها على ذلك، .... فإطلاق الشهادة على هذه الأخبار مجاز بعلاقة اللزوم، أو تشبيه الإخبار بالإخبار أو المخبر بالمخبر، ولك أن تجعل «شهد» بمعنى بيّن وأقام الأدلة، شبّه إقامة الأدلة على وحدانيته من إيجاد المخلوقات ونصب الأدلة العقلية، بشهادة الشاهد بتصديق الدعوى في البيان والكشف على طريق

(١) نظم الدرر٢/ ٤٢.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢/ ١٦.

(٣) سورة البقرة:٢٨٢.

(٤) سورة المنافقون:١

الاستعارة التبعية."[1].

وقد ذكر بعض العلماء القولين ولم يرجح واحداً منها، ومن هؤلاء :

١ – أبو منصور الماتريدي رحمه الله [ت ٣٣٣هـ] حيث قال :" قيل: شهد اللهَّ شهادة ذاتية، أي: هو بذاته، ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ إذ في ذاته ما تليق الشهادة بمثله له من الألوهية والربوبية، وليس ذلك في ذات غيره، وباللهَّ العصمة.

وقيل: شهد اللهَّ بما خلق من الخلائق أنه لا إله إلا هو، أي: خلق من الخلائق ما يشهد خلقه كل أحد على وحدانيته وإلهيته، لو نظروا في خلقتهم وتدبروا فيها."[2].

٢ – الماوردي رحمه الله [ت ٤٥٠هـ] قال :" قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾....يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون معناها الإخبار بذلك ، تأكيداً للخبر بالمشاهدة ، كإخبار الشاهد بما شاهد ، لأنه أوكد للخبر. والثاني: أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأن لا إله إلا هو." [3].

٣ – الفخر الرازي رحمه الله [ت٦٠٤هـ] حيث قال :" ذكروا في قوله : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ قولين:

أحدهما: أن الشهادة من الله –تعالى– ومن الملائكة، ومن أولي العلم

(١) التحرير والتنوير ٣/ ١٨٦.

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٢/ ٣٣٠.

(٣) النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٧٩.

بمعنى واحد. والثاني: أنه ليس كذلك، أما القول الأول فيمكن تقريره من وجهين:

الوجه الأول: أن تجعل الشهادة عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم، فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله -تعالى-، وفي حق الملائكة، وفي حق أولي العلم، أما من الله -تعالى- فقد أخبر في القرآن عن كونه واحداً لا إله معه، وقد بينا أن التمسك بالدلالة السمعية في هذه المسألة جائز، وأما من الملائكة وأولي العلم فكلهم أخبروا -أيضاً- أن الله -تعالى-واحد لا شريك له، فثبت على هذا التقرير أن المفهوم من الشهادة معنى واحد في حق الله، وفي حق الملائكة، وفي حق أولي العلم.

الوجه الثاني: أن نجعل الشهادة عبارة عن الإظهار والبيان، ثم نقول: إنه -تعالى- أظهر ذلك وبينه بأن خلق ما يدل على ذلك، أما الملائكة وأولو العلم فقد أظهروا ذلك، وبينوه بتقرير الدلائل والبراهين، أما الملائكة فقد بينوا ذلك للرسل -عليهم السلام-، والرسل للعلماء، والعلماء لعامة الخلق، فالتفاوت إنما وقع في الشيء الذي به حصل الإظهار والبيان، فالمفهوم الإظهار والبيان فهو مفهوم واحد في حق الله تعالى، وفي حق أولي العلم، فظهر أن المفهوم من الشهادة واحد على هذين الوجهين، والمقصود من ذلك كأنه يقول للرسول ﷺ: إن وحدانية الله -تعالى- أمر قد ثبت بشهادة الله -تعالى-، وشهادة جميع المعتبرين من خلقه، ومثل هذا الدين المتين والمنهج القويم، لا يضعف بخلاف بعض الجهال من النصارى وعبدة الأوثان، فاثبت أنت وقومك يا محمد على ذلك فإنه هو الإسلام والدين عند الله هو الإسلام.

القول الثاني: قول من يقول: شهادة الله -تعالى- على توحيده، عبارة عن أنه خلق الدلائل الدالة على توحيده، وشهادة الملائكة وأولي العلم عبارة عن إقرارهم بذلك، ولما كان كل واحد من هذين الأمرين يسمى شهادة، لم يبعد أن يجمع بين الكل في اللفظ."[1]

القول الراجح :

الذي يترجح -والله أعلم- هو **القول الأول** لما يلي :

١ – أن الله تعالى قد شهد بهذه الشهادة قبل خلق الخلق بألوهيته ووحدانيته، ومعنى هذا أن هذه الشهادة قد حصلت قبل نصب الأدلة التي يقول بها أصحاب القول الثاني، ويؤيد ذلك ماورد عن ابن عباس رحمهما الله – أنه قال :" شهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق، حين كان ولم يكن سماء ولا أرض، ولا بر ولا بحر"[2].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله [ت ٣٧٣هـ] : " ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يعني :أن الله –تعالى- قبل أن يخلق الخلق شهد أن لا إله إلا هو."[3].

٢ – أن القول بأن المراد بالشهادة مانصبه الله من الأدلة على وحدانيته صرف للكلام عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه من غير قرينة صحيحة تدل

(١) التفسير الكبير ٧/ ١٦٩.

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره المسمى الكشف والبيان ٣/ ٣٢، والبغوي في تفسيره ١/ ٤٢٠، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٨، وسكت عنه.

(٣) تفسير القرآن للسمرقندي ١/ ٢٠٠.

عليه، وهذا خلاف الأولى، وقد أوضح ذلك الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله [ت١٣٨٩هـ] فقال :" فسر بعض الخلف هذه الشهادة على مقتضيات مذاهبهم التي تضطرهم إلى العدول عن الحقيقة إلى المجاز على خلاف ماقرر في الأصول من عدم العدول عن الحقيقة إلا لمسوغ ضروري."[1].

وقد نصّ على ترجيح القول الأول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله [ت ١٣٥٤هـ] حيث قال : " صرح كثير من المفسرين بأن شهادة الله هنا من باب الاستعارة ؛ لأن ما نصبه من الدلائل في الآفاق وفي الأنفس على توحيده وما أوحاه إلى أنبيائه في ذلك يشبه شهادة الشاهد بالشيء في إظهاره وإثباته، وكذلك شهادة الملائكة عبارة عن إقرارهم بذلك كما قال البيضاوي. زاد أبو السعود: وإيمانهم به، وجعلها من باب عموم المجاز، وشهادة أولي العلم عبارة عن إيمانهم به واحتياجهم إليه. وقال بعضهم: إن الشهادة من كلٍ بمعنى واحد، لأنها إما عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم وإما عبارة عن الإظهار والبيان، وكل ذلك حاصل من الله والملائكة وأولي العلم، فالله – تعالى – أخبر بتوحيده ملائكته ورسله عن علم، وبينه لهم أتم البيان، والملائكة أخبروا الرسل وبينوا لهم، وأولو العلم أخبروا بذلك وبينوه عالمين به لا يزالون كذلك. وأقول: إن ما قاله الأولون ضعيف وأقرب التفسيرين للشهادة في القول الآخر أولهما[2]، يقال: شهد الشيء إذا

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ٤/ ٦٨.

(٢) يعني : الإخبار المقرون بالعلم .

حضره وشاهده كقوله - تعالى -: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [1]، وقوله: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ [2]، ويقال: شهد به إذا أخبر به عن مشاهدة بالبصر وهو الأكثر والأصل، أو عن مشاهدة بالبصيرة وهي الاعتقاد والعلم، كقوله - تعالى - حكاية عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [3] وذلك أنهم أخبروا أباهم يعقوب بأن ابنه (شقيق يوسف) سرق عن اعتقاد لا عن مشاهدة بالبصر، وإنما سموا اعتقادهم علماً لأنه لم يخطر في بالهم ما يعارض ما رأوه من إخراج صواع الملك من رحل شقيق يوسف بعد ما نودي فيهم بأن الصواع قد سرق. والحاصل: أن الشهادة بالشيء هي الإخبار به عن علم بالمشاهدة الحسية، أو المعنوية وهي الحجة والدليل، وهو المختار هنا."[4].

(١) سورة البقرة:١٨٥.

(٢) سورة النمل:٤٩.

(٣) سورة يوسف:٨١.

(٤) تفسير المنار ٣/ ٢١٠.

المبحث الثاني : منزلة شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .

أوضح عدد من العلماء منزلة هذه الشهادة ومكانتها وأهميتها، فوصفوا هذه الشهادة بأنها : أكبر الشهادات وأعظمها(١).

قال أبو الحسن الحَرْالِّي المراكشي [ت٦٢٨هـ]" هذه الشهادة التي هي من الله لله هي الشهادة التي إليها قصد القاصدون وسلك السالكون، وإليه انتهت الإشارة، وعندها وقفت العبارة، وهي أنهى المقامات وأعظم الشهادات، فمن شهد بها فقد شهد شهادة ليس وراءها مرمى، ومن شهد بما دونها كانت شهادته مشهوداً عليها لا شهادة" (٢).

كما وصف ابن القيم رحمه الله هذه الشهادة بأنها :" أجل شهادة وأعظمها، وأعدلها وأصدقها من أجلّ شاهد، بأجل مشهود."(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله [ت١٢٨٥هـ]: "اعلم أن أعظم شهادة، وأفرضها على الخلق، قولاً، وعملاً، واعتقاداً، ما شهد الله به لنفسه من اختصاصه بالإلهية، دون جميع خلقه، أزلا وأبدا، قال -تعالى-: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾"(٤).

وعبّر الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله [ت١٣٧٦هـ] عن منزلتها

(١) ينظر : التفسير الكبير ١٢/ ٤٩٧، مجموع الفتاوى ١٤/ ١٨٦.

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي ص: ٥٣٦، وينظر : نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٢٨٩.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤١٨.

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢١٢.

بقوله :"هذه أجل الشهادات الصادرة من الملك العظيم، ومن الملائكة، وأهل العلم، على أجل مشهود عليه."[1].

ومع وضوح هذه المكانة لتلك الشهادة، وأنها أجل الشهادات وأعظمها وأكبرها إلا إن بعض العلماء أورد إشكالاً على هذه الشهادة يتمثل في أنه ربما يعترض ملحد أو مكذب على هذه الشهادة بأنه لايصح أن يكون صاحب الدعوى هو الشاهد نفسه؛ وقد أجاب عن هذا الاعتراض والإشكال عدد من العلماء منهم :

١ – أبو منصور الماتريدي رحمه الله حيث قال :" إن قال لنا ملحد: كيف صح، وهو دعوى؟!

قيل: لأن دعوى من ظهر صدقه في شهادته إذا شهد، وهو مقبول، وهو بما ادعى من الألوهية والربوبية؛ إذا لم يَسْتَقِلهُ أحد – ظهر صدقه، وقهر كل مكذب له في دعواه، وبالله النجاة."[2].

٢ – كما ذكره أبو بكر الباقلاني رحمه الله [ت٤٠٢هـ] وأجاب عنه بقوله: "قالوا : وما معنى هذه الشهادةُ من الله سبحانه، وأي فائدةٍ وحجةٍ فيها على التوحيد وهي شهادة منه لنفسه؟.

والجوابُ عن ذلك : أن هذه الشهادةَ تنزيه منه لنفسه وتعظيم له تعالى عمّا يقول المشركون المتخذون معه إلهاً غيره.

وشيء آخر وهو أنَّه يجوزُ أن يكون معنى شهادتِه لنفسه بذلك هو ما

(١) تيسير الكريم الرحمن ص: ٩٦٣.

(٢) تأويلات أهل السنة ٢/ ٣٣١.

أظهَره من إتقان صُنْعه وعجيبِ تَدْبيره في كل حادثٍ وإلزامه إمارة الصُّنْع والالتجاء إلى صانعٍ صَنَعه ومدبر دبَّره لتقومَ دلالةُ أفعالِه على وحدانيته مقامَ الشهادَةِ بذلك، كما يقال: أفعال زيدٍ تشهدُ بعدالته وتُقاه، وأفعالُ فلانٍ تشهدُ بفجورِه وفسوقِه، يعني بذلك أنَّها تَدلُّ دلالةَ الشهادة عليه وله بذلك، ومعنى شهادةُ الملائكة وأُولي العلم له بذلك، هو إيضاحُهم لهذه الأدلّة والتنبيه عليها والدعاءُ إلى النظر فيها، فيكون تنبيههم قائماً مقامَ الشهادة به."[١].

٣ – وأورد الراغب الأصفهاني هذا الإشكال مع إشكال آخر بقوله:" إن قيل: ما وجه قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ وقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾[٢]، وشهادة المدعي بما يدعيه لا تقتضي زيادة على دعواه.

مع أن هذه الشهادة إن كانت للجاحدين فغير مقبولة، وإن كانت للمؤمنين به ففَضْلَةٌ؟. وهل يكفي النبي ﷺ إذا طولب بالدلالة أن يقول: الله شاهد لي بذلك؟."[٣].

ثم أجاب عنه بقوله : "قيل: الشاهد العالم بالشيء، المبين لغيره، وأصدق شاهد من يعلم المشهود عند الدلالة المنبئة عن صدقه، وعن كون الأمر على ما شهد به، والبارئ سبحانه وتعالى لما جعل في كل شيء تنبؤاً عن وحدانيته صار له في كل شيء لسان يشهد أنه واحد، وهذا ظاهر."[٤].

(١) الانتصار للقرآن للباقلاني ٢/ ٧٤٤.

(٢) سورة النساء:١٦٦.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٢/ ٤٦٣-٤٦٤.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٦٣.

٤ – وفصّل الفخر الرازي الجواب عن هذا الإشكال بوجوه عديدة فقال : "إن قيل: المدعي للوحدانية هو الله، فكيف يكون المدعي شاهداً؟.

الجواب من وجوه:

الوجه الأول: وهو أن الشاهد الحقيقي ليس إلا الله، وذلك لأنه – تعالى- هو الذي خلق الأشياء وجعلها دلائل على توحيده، ولولا تلك الدلائل لما صحت الشهادة[1]، ثم بعد ذلك نصب تلك الدلائل هو الذي وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل، ولولا تلك الدلائل التي نصبها الله – تعالى- وهدى إليها لعجزوا عن التوصل بها إلى معرفة التوحيد، وإذا كان الأمر كذلك كان الشاهد على الوحدانية ليس إلا الله وحده، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾[2].

الوجه الثاني: في الجواب أنه هو الموجود أزلاً وأبداً، وكل ما سواه فقد كان في الأزل عدماً صرفاً، ونفياً محضاً، والعدم يشبه الغائب، والموجود يشبه الحاضر، فكل ما سواه فقد كان غائباً، وبشهادة الحق صار شاهداً، فكان الحق شاهداً على الكل، فلهذا قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

الوجه الثالث: أن هذا وإن كان في صورة الشهادة، إلا أنه في معنى الإقرار، لأنه لما أخبر أنه لا إله سواه، كان الكل عبيداً له، والمولى الكريم لا يليق به أن يخل بمصالح العبيد، فكان هذا الكلام جارياً مجرى الإقرار بأنه

(١) إن كان المقصود لما صحت الشهادة المبنية على تلك الدلائل فقط فصحيح، وإما إن كان المقصود أن الشهادة لم تصّح أصلاً وابتداءً فهذا غير صحيح.

(٢) سورة الأنعام:١٩.

يجب وجوب الكريم عليه [١] أن يصلح جهات جميع الخلق."[٢].

٥ – وذكر ابن عادل الحنبلي ذلك الإشكال وأورد أجوبة الرازي نفسها ، إلا أنه زاد عليها وجهاً آخر جعله هو أول الأجوبة فقال : "إن قيل: المدَّعِي للوحدانية هو الله – تعالى – فكيف يكون المدَّعِي شاهداً؟.

فالجوابُ من وجوهٍ:

أحدها: ما تقدم من أن شَهِدَ بمعنى : قال، أوبَيَّن، أوحَكَم."[٣] ومعنى هذا أنها لا تكون حينئذٍ دعوى يشهد لها مدعيها، بل إنها قول وحكم ملزم.

٦ – نقل القاسمي [ت١٣٣٢هـ] في تفسيره عن الشعراني [ت٩٧٣هـ] في كتابه الجواهر والدرر أنه قال :" سألت أخي أفضل الدين: لم شهد الحق تعالى لنفسه بأنه لا إله إلا هو؟ فقال رضي الله عنه [٤] : لينبّه عباده على غناه عن توحيدهم له، وأنه هو الموحد نفسه بنفسه."[٥].

(١) يعني : أنه هو الذي أوجبه على نفسه.

(٢) التفسير الكبير ٧/ ١٦٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٥/ ٩٤.

(٤) لا خلاف في استحباب الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم، وفي غيرهم حُكي الخلاف. ينظر : معجم المناهي اللفظية ص ٢٥٥.

(٥) محاسن التأويل٢/ ٢٩٦.

المبحث الثالث : مراتب شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .

اعتنى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكذا تلميذه ابن القيم رحمه الله ببيان مراتب هذه الشهادة، وهما وإن اختلف تقسيمهما لتلك المراتب وبيان عددها بحيث جعلها شيخ الإسلام رحمه الله مرتبتين فقال :" الشهادة تضمنت مرتبتين : إحداهما : تكلم الشاهد وقوله وذكره لما شهد في نفسه به. والثاني : إخباره وإعلامه لغيره بما شهد به. "[1]، وجعلها ابن القيم رحمه الله أربع مراتب فقال:" شهادة الله -سبحانه- لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط: تضمنت هذه المراتب الأربعة: علم الله -سبحانه- بذلك، وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره لخلقه به. "[2] إلا إنه اختلاف من باب الزيادة في التنويع والتقسيم، ويظهر ذلك في تداخل بعض المراتب الأربع مع بعضها عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بينما يرى ابن القيم رحمه الله الزيادة في التقسيم عند ذكر هذه المراتب، وهذه المراتب منها ماهو عام في كل شهادة، ومنها ماكان خاصاً بشهادة الله تعالى، وهذه المراتب الأربع[3] قد ساقها ابن القيم رحمه الله أولاً مجملة فقال :" أول مراتبها: علم، ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به، وثبوته، وثانيها: تكلمه بذلك، ونطقه

(١) ينظر : مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٠.

(٢) ينظر : مدارج السالكين ٣/ ٤١٩.

(٣) ذكر هذه المراتب نقلاً عن ابن القيم ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٥ ومابعدها، والشيخ عبدالعزيز السلمان في الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص٣٨ ومابعدها.

به، وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها، وثالثها: أن يعلم غيره بما شهد به، ويخبره به، ويبينه له، ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به." ثم بدأ بتفصيلها مرتبة بعد مرتبة مستفيداً استفادة ظاهرة مما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وسيكون ذكر هذه المراتب على الطريقة نفسها التي ذكرها ابن القيم رحمه الله؛ لأن الزيادة في التقسيم والتفصيل ربما كانت أنسب في العرض والبيان .

المرتبة الأولى: مرتبة العلم :

شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية شهادة متضمنة للعلم بالمشهود به، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الشهادة بالحق تتضمن العلم ضرورة، وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به [(١)]، كما قال الله -تعالى-: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [(٢)]، وهذه المرتبة ليست خاصة بشهادة الله تعالى، بل هي عامة في كل شهادة صادقة[(٣)] وإلا كانت كذباً وزوراً، ولما كانت هذه المرتبة بتلك المثابة لذا –والله أعلم– لم ينصّ عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ لأنها مرتبة تقتضيها أي شهادة حقة، فكيف بشهادة رب العالمين؟،ولكنه أشار إليها بقوله: "قال ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [(٤)] فإنه إذا كان عالماً بالأشياء

(١) ينظر : مدارج السالكين ٣/ ٤١٩.

(٢) سورة الزخرف:٨٦.

(٣) ينظر : حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص: ٢٥.

(٤) سورة العنكبوت:٥٢.

كانت شهادته بعلم."[1].

المرتبة الثانية: مرتبة التكلم والخبر:

عدّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المرتبة أول المراتب فقال: "الشهادة تتضمن كلام الشاهد وقوله وخبره عما شهد به، وهذا قد يكون مع أن الشاهد نفسه يتكلم بذلك ويقوله ويذكره وإن لم يكن مُعْلِماً به لغيره ولا مخبرا به لسواه. فهذه أول مراتب الشهادة."[2].

وقد أوضح شيخ الإسلام رحمه الله أنه لايشترط للاعتداد بهذه الشهادة التلفظ بلفظ الشهادة[3]، بينما أطال ابن القيم رحمه الله النفس في تقرير ذلك مستشهداً بعدد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية فقال: "من تكلم بشيء وأخبر به فقد شهد به، وإن لم يتلفظ بالشهادة، قال -تعالى-: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ﴾[4]، وقال -تعالى-: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[5].

فجعل ذلك منهم شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، ولم يؤدوها عند غيرهم، قال النبي ﷺ: (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله)[6] وشهادة

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٩١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٩.

(٣) ينظر : مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٩.

(٤) سورة الأنعام:١٥٠.

(٥) سورة الزخرف:١٩.

(٦) أخرجه أبوداود في كتاب الأقضية ح٣٥٩٩، والترمذي في كتاب الشهادات ح٢٣٠٠ =

الزور هي : قول الزور، كما قال -تعالى-: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [سورة الحج:٣٠] وعند نزول هذه الآية قال رسول الله ﷺ : (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله) فسمّى قول الزور شهادة، وسمى الله –تعالى– إقرار العبد على نفسه شهادة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ (١).

فشهادة المرء على نفسه: هي إقراره على نفسه، وفي الحديث الصحيح في قصة ماعز الأسلمي: فلما شهد على نفسه أربع مرات رجمه رسول الله ﷺ(٢)، وقال –تعالى–: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ (٣).

وهذا – وأضعافه – يدل على أن الشاهد عند الحاكم وغيره: لا يشترط في قبول شهادته أن يتلفظ بلفظ الشهادة، كما هو مذهب مالك، وأهل المدينة، وظاهر كلام أحمد، ولا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط ذلك، وقد قال ابن عباس شهد عندي رجال مرضيون – وأرضاهم عندي عمر – (أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح، حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس)(٤) ومعلوم أنهم لم

= وقال : هذا حديث غريب، وابن ماجة في كتاب الأحكام ح٢٣٧٢، وضعفه الألباني كما في السلسة الضعيفة ٣/ ٢٣٥.

(١) سورة النساء:١٣٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحدود ٤٤٠٢.

(٣) سورة الأنعام:١٣٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ٥٨١، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين =

يتلفظوا بلفظ الشهادة، والعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة لم يتلفظ في شهادته لهم بلفظ الشهادة، بل قال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة) الحديث[1].

وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشهادة وأنه قد دخل في قوله: (حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) [2]وفي لفظ آخر: (حتى يقولوا لا إله إلا الله)[3] فدل على أن مجرد قولهم : لا إله إلا الله شهادة منهم، وهذا أكثر من أن تذكر شواهده من الكتاب والسنة، فليس مع من اشترط لفظ الشهادة، دليل يعتمد عليه، والله أعلم."[4].

المرتبة الثالثة: مرتبة الإعلام والإخبار:

أوضح شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله أن لهذه المرتبة نوعين، إعلاماً بالقول، وإعلاماً بالفعل، فقال ابن القيم رحمه الله موضّحاً ذلك: "أما مرتبة الإعلام والإخبار، فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر: تارة يعلمه بقوله، وتارة بفعله، ولهذا كان من جعل داراً مسجداً، وفتح بابها لكل من دخل إليها، وأذن بالصلاة فيها:

= وقصرها٢٨٦.

(١) أخرجه أبوداود في كتاب السنة ٤٦٥٠، والترمذي في كتاب المناقب ح٣٧٤٧، وابن ماجة في المقدمة ح١٣٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٧١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ح٢٥، مسلم في كتاب الإيمان ح٣٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ح٣٩٢، ومسلم في كتاب الإيمان ح٣٢.

(٤) مدارج السالكين بين ٣/ ٤١٩-٤٢١.

معلماً أنها وقف، وإن لم يتلفظ به، وكذلك من وجد متقرباً إلى غيره بأنواع المسار: معلما له ولغيره أنه يحبه، وإن لم يتلفظ بقوله، وكذلك بالعكس، وكذلك شهادة الرب - سبحانه وتعالى - وبيانه وإعلامه، يكون بقوله تارة، وبفعله تارة أخرى."[(١)].

النوع الأول: الإعلام بالقول:

أوضّح شيخ الإسلام رحمه الله المراد بهذا النوع فقال :" إعلامه يكون بقوله تارة وبفعله تارة. **فالقول** : هو ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه وأوحاه إلى عباده كما قال: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [(٢)] إلى غير ذلك من الآيات. وقد علم بالتواتر والاضطرار أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد ويشهد أن لا إله إلا هو بقوله وكلامه؛ وهذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه ولهذا قال -تعالى-:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ﴾ [(٣)][(٤)]

النوع الثاني: الإعلام بالفعل:

المقصود بشهادة الله بفعله هو مانصبه الله تعالى في الكون من الأدلة على وحدانيته، ويرى شيخ الإسلام رحمه الله أن هذا النوع يمكن معرفته

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٢٢، وينظر : مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٣.

(٢) سورة النحل:٢.

(٣) سورة الأنبياء:٢٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٤، وينظر مدارج السالكين ٣/ ٤٢١.

بالعقل ولو لم يكن هناك خبر عن الله به حيث قال :" شهادته بفعله فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل وإن لم يكن هناك خبر عن الله "[1]، بينما يرى ابن القيم رحمه الله أن هذا النوع قد تضمنه خبر الله سبحانه فقال " أما بيانه وإعلامه بفعله: فهو ما تضمنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل والفطرة "[2]، ولعل مقصود ابن القيم رحمه الله أن خبر الله سبحانه أرشد إلى استعمال هذه الأدلة التي تدل باستقلالها على وحدانية الله تعالى.

وقد أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى أن هذا النوع يُسمّى شهادة وإن لم يستعمل فيه لفظ الشهادة فقال :" هذا يستعمل فيه لفظ الشهادة والدلالة والإرشاد فإن الدليل يبين المدلول عليه ويظهره، فهو بمنزلة المخبر به الشاهد به كما قيل: سل الأرض من فجر أنهارها وغرس أشجارها وأخرج ثمارها وأحيا نباتها وأغطش ليلها وأوضح نهارها؛ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً. وهو –سبحانه– شهد بما جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه لها فإذا كانت المخلوقات دالة على أنه لا إله إلا هو، وهو سبحانه الذي جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه وبيّن ذلك؛ فهو الشاهد المبين بها أنه لا إله إلا هو، وهذه الشهادة الفعلية ذكرها طائفة.

قال ابن كيسان رحمه الله [ت٢٩٩هـ]: ﴿شهد الله﴾بتدبيره العجيب

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٨.

(٢) مدارج السالكين ١٤/ ٤٢١.

وأموره المحكمة عند خلقه: أنه لا إله إلا هو[١]"[٢]

بل إن ابن القيم رحمه الله صرّح بأنه "قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ، وقد يسمى شاهد الحال نطقاً وقولاً وكلاماً، لقيامه مقامه، وأدائه مؤداه"[٣].

يدل لذلك قوله -تعالى-: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ ﴾ [٤] فهي شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله كما قال ابن عباس رحمهما الله في تفسيرها:"شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام. "[٥] .

ويتضح بذلك تطابق النوعين الإعلام القولي والإعلام الفعلي، كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله حيث قال :" والمقصود: أن الله -سبحانه- يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه، فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية، فتتطابق شهادة القول وشهادة الفعل، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[فصلت: ٥٣] ، أي أن القرآن حق، فأخبر أنه يدل بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية"[٦]

(١) أورده الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٣/ ٣٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٨-١٧٩.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٢١-٤٢٢.

(٤) سورة التوبة:١٧.

(٥) أورده البغوي في تفسيره ٢/ ٣٢٣.

(٦) مدارج السالكين ٣/ ٤٢٢.

المرتبة الرابعة: الأمر بذلك والإلزام به:

وهذه المرتبة خاصة بشهادة الله تعالى؛ إذ إن شهادة المخلوق لاتستلزم مثل ذلك، وقد أبان شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله دلالة شهادة الله تعالى على هذه المرتبة من عدة أوجه، منها[1]:

١ - الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه - فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر، وألزم عباده به، كما قال -تعالى- : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2] وقال -تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾[3].

٢ - إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر وبيّن وأعلم أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد وأنه وحده الإله الذي يستحق العبادة.

٣ - هذه الشهادة تتضمن الأمر بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه، فإن النفي والإثبات في مثل هذا يتضمن الأمر والنهي كما إذا استفتى شخص شخصاً فقال له قائل: هذا ليس بمفت؛ هذا هو المفتي ففيه نهي عن استفتاء الأول وأمر وإرشاد إلى استفتاء الثاني.

وكذلك إذا تحاكم إلى غير حاكم أو طلب شيئا من غير ولي الأمر فقيل له: ليس هذا حاكما ولا هذا سلطان؛ هذا هو الحاكم وهذا هو السلطان فهذا

(١) ينظر : مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٢-١٧٣، ومدارج السالكين ٣/ ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) سورة الإسراء:٢٣.

(٣) سورة النحل:٥١.

النفي والإثبات يتضمن الأمر والنهي.

٤ - العابدون إنما مقصودهم أن يعبدوا من هو إله يستحق العبادة فإذا قيل لهم :كل ما سوى الله ليس بإله، إنما الإله هو الله وحده كان هذا نهياً لهم عن عبادة ما سواه وأمراً بعبادته وحده.

٥ - لو لم يكن هناك طالب للعبادة فلفظ الإله يقتضي أنه يستحق العبادة، فإذا أخبر أنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه كان ذلك أمراً بما يستحقه. وليس المراد هنا " بالإله " من عبده عابد بلا استحقاق فإن هذه الآلهة كثيرة؛ ولكن تسميتهم آلهة والخبر عنهم بذلك واتخاذهم معبودين أمر باطل كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ (١).

٦ - لفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبرية، فيقال للجملة الخبرية قضية وحكم وقد حكم فيها بكيت وكيت، قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٢) فجعل هذا الإخبار المجرد منهم حكما، وقال في موضع آخر: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣) لكن هذا حكم لا إلزام معه، والحكم والقضاء بأنه لا إله إلا هو: متضمن للإلزام.

(١) سورة الحج:٦٢.

(٢) سورة الصافات:١٥١-١٥٤.

(٣) سورة القلم:٣٥-٣٦.

المبحث الرابع : طُرُق بيان الله سبحانه شهادته لنفسه بالوحدانية.

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله طريقين لبيان الله تعالى لهذه الشهادة هما : طريق السمع والبصر[1]، بينما جعلها ابن القيم رحمه الله ثلاثة طرق هي : السمع، والبصر، والعقل[2].

وقبل ذكر هذه الطرق يحسُن التنبيه إلى أن شيخ الإسلام رحمه الله أشار إلى أن هذا البيان لهذه الشهادة، وتعريف الله تعالى لخلقه بها أمر لابد منه وإلا لما حصل من تلك الشهادة فائدة، فقال :" إذا كانت شهادة الله تتضمن بيانه للعباد ودلالته لهم وتعريفهم بما شهد به لنفسه فلا بد أن يعرّفهم أنه شهد فإن هذه الشهادة أعظم الشهادات، وإلا فلو شهد شهادة لم يُتَمَكن من العلم بها لم يُنْتَفع بذلك ولم تقم عليهم حجة بتلك الشهادة كما أن المخلوق إذا كانت عنده شهادة لم يبينها بل كتمها لم ينتفع أحد بها ولم تقم بها حجة."[3].

الطريق الأول : طريق السمع:

بيّن شيخ الإسلام رحمه الله المراد بهذا الطريق بقوله :" إذا كان لا بد من بيان شهادته للعباد؛ ليعلموا أنه قد شهد فهو قد بينها بالطريقين: بالسمع والبصر. فالسميع يسمع آيات الله المتلوة المنزلة، والبصير يعاين

(١) ينظر : مجموع الفتاوى١٤/ ١٨٧.

(٢) ينظر : مدارج السالكين ٣/ ٤٢٩، وينظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٨ حيث ذكر الطرق الثلاثة.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٨٦.

آياته المخلوقة الفعلية."[١].

ثم ذكر أن طريق السمع لايتم إلا عن طريق مايوحيه الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام الذين أعطاهم من الآيات مايدل على صدقهم فقال موضحاً ذلك: " الأنبياء إذا أخبروا عنه بكلامه عُرف بذلك شهادته وآياته القولية، ولا بد أن يُعرف صدق الأنبياء فيما أخبروا عنه؛ وذلك قد عرّفه بآياته التي أيد بها الأنبياء ودل بها على صدقهم، فإنه لم يبعث نبياً إلا بآية تبين صدقه إذ تصديقه بما لا يدل على صدقه غير جائز.... فالآيات والبراهين التي أرسل بها الرسل دلالات الله على صدقهم دل بها العباد، وهي شهادة الله بصدقهم فيما بلغوا عنه، والذي بلّغوه فيه شهادته لنفسه فيما أخبر به"[٢].

وقد لفت ابن القيم رحمه الله عند كلامه على هذا الطريق إلى الرد على نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والمعطلة وغيرهم، وأن سمع الآيات المتلوة يستلزم إثبات ماجاء فيها وعدم تحريفه وتعطيله، وإلا كانت هذه الشهادة ليست حقاً، وللزم من ذلك أن يكون الله تعالى قد كتم الشهادة الحقة، فقال :" كيف يظن بالله –سبحانه– أنه كتم شهادة الحق التي يشهد بها الجهمية والمعتزلة والمعطلة، ولا يشهد بها لنفسه، ثم يشهد لنفسه بما يضادها ويناقضها، ولا يجامعها بوجه ما؟ سبحانك هذا بهتان عظيم! فإن الله –سبحانه– شهد لنفسه بأنه استوى على العرش، وبأنه القاهر فوق

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٨٧.

(٢) المصدر السابق ١٨٨-١٨٩.

عباده، وبأن ملائكته يخافونه من فوقهم، وأن الملائكة تعرج إليه بالأمر، وتنزل من عنده به، وأن العمل الصالح يصعد إليه، وأنه يأتي ويجيء، ويتكلم، ويرضى ويغضب، ويحب ويكره، ويتأذى، ويفرح ويضحك، وأنه يسمع ويبصر، وأنه يراه المؤمنون بأبصارهم يوم لقائه، إلى غير ذلك مما شهد به لنفسه، وشهد له به رسله، وشهدت له الجهمية بضد ذلك، وقالوا: شهادتنا أصح، وأعدل من شهادة النصوص، فإن النصوص تضمنت كتمان الحق وإظهار خلافه.

فشهادة الرب تعالى: تكذّب هؤلاء أشد التكذيب، وتتضمن أن الذي شهد به قد بينه وأوضحه وأظهره، حتى جعله في أعلى مراتب الظهور والبيان، وأنه لو كان الحق فيما يقوله المعطلة والجهمية لم يكن العباد قد انتفعوا بما شهد به –سبحانه–، فإن الحق في نفس الأمر – عندهم – لم يشهد به لنفسه، والذي شهد به لنفسه، وأظهره وأوضحه: فليس بحق، ولا يجوز أن يستفاد منه الحق واليقين."[1]

الطريق الثاني : طريق البصر :

سمّى شيخ الإسلام رحمه الله هذا الطريق بالطريق العياني، وأن من يسلك هذا الطريق لايحتاج إلى معرفة كون القرآن حق، بل يكفيه هذا الطريق لمعرفة صدق الرسول ومن ثم تصديقه فيما يُخبر عن الله تعالى، فقال: " أما الطريق العياني فهو: أن يرى العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلّغته الرسل عن الله حق؛ كما قال –تعالى–:

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٣٠.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [1] أي : أولم يكف بشهادته المخبرة بما علمه وهو الوحي الذي أخبر به الرسول؛ فإن الله على كل شيء شهيد وعليم به، فإذا أخبر به وشهد كان ذلك كافياً وإن لم ير المشهود به، وشهادته قد علمت بالآيات التي دل بها على صدق الرسول، فالعالم بهذه الطريق لايحتاج أن ينظر الآيات المشاهدة التي تدل على أن القرآن حق بل قد يعلم ذلك بما علم به أن الرسول صادق فيما أخبر به عن شهادة الله –تعالى– وكلامه."[2].

كما أوضح ابن القيم رحمه الله هذا الطريق بقوله :" وأما آياته العيانية الخلقية، والنظر فيها والاستدلال بها: فإنها تدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية، وآيات الرب: هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه العباد، وبها يعرفون أسماءه وصفاته، وتوحيده، وأمره ونهيه، فالرسل تخبر عنه بكلامه الذي تكلم به، وهو آياته القولية، ويستدلون على ذلك بمفعولاته التي تشهد على صحة ذلك، وهي آياته العيانية."[3].

الطريق الثالث : طريق العقل :

اكتفى ابن القيم رحمه الله في ذكره لهذا الطريق ببيان أنه يجمع بين طريق السمع وطريق البصر، وأنه يجزم بصحة ماجاء به الرسل عليهم

(١) سورة فصلت:٥٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٨٩-١٩٠.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٣٠.

السلام[1].

ومراده – والله أعلم- أن العقل يصدّق ماجاء في السمع ولايكذّبه، ويؤكد أدلة البصر والتفكر والنظر والاعتبار، ومن ثم فقد اجتمعت في هذه الشهادة الأدلة الثلاثة التي هي – السمع والبصر والفؤاد-، والتي يشير إليها القرآن الكريم مجتمعة في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[2]، وقوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[3] فهذه الأدلة الثلاثة مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد إلى علم بالله تعالى وغيره إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة .[4]

(١) ينظر: مدارج السالكين ٤٣٠-٤٣١.

(٢) سورة الإسراء : ٣٦.

(٣) سورة النحل:٧٨.

(٤) ينظر :تفسير السعدي ص: ٤٤٥.

المبحث الخامس : معنى شهادة الملائكة وأولي العلم لله تعالى بالوحدانية.

اختلفت عبارات العلماء في بيان المراد بشهادة الملائكة وأولي العلم على عدة معان، يمكن إجمالها فيما يلي :

١ – أن شهادة الله تعالى والملائكة وأولي العلم بمعنى واحد، سواء قيل : إن معنى شهادة الله هي الإخبار فالله قد أخبر في القرآن عن كونه واحداً لا إله معه، وأما من الملائكة وأولي العلم فكلهم أخبروا -أيضاً- أن الله سبحانه واحد لا شريك له[١]، أو قيل : إن معنى شهادة الله : البيان والإظهار فالله سبحانه أظهر ذلك وبيّنه بأن خلق ما يدل على ذلك، والملائكة وأولو العلم أظهروا ذلك، وبيّنوه بتقرير الدلائل والبراهين، أما الملائكة فقد بينوا ذلك للرسل عليهم السلام، والرسل للعلماء، والعلماء لعامة الخلق، فالتفاوت إنما وقع في الشيء الذي به حصل الإظهار والبيان [٢].

وربما جعل بعضهم شهادة الملائكة وأولي العلم متطابقة مع شهادة الله سبحانه في الدلالة على الوحدانية كما ذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: " إثبات شهادة أولي العلم يتضمن أن الشهادة له بالوحدانية يشهد بها له غيره من المخلوقين الملائكة والبشر. وهذا متفق عليه يشهدون أن لا إله إلا الله، ويشهدون بما شهد به لنفسه.

هو -سبحانه- يشهد لنفسه بالوحدانية، والملائكة يشهدون، وأولو

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٧/ ١٦٨

(٢) ينظر : المصدر السابق

العلم من عباده يشهدون، والشهادات متطابقة متوافقة.

وقد يقال: هذه الشهادة هي هذه، بمعنى أنها نوعها، وليس نفس صفة المخلوق هي نفس صفة الخالق"[1].

٢ - أن المراد بشهادة الملائكة : الإقرار، والمراد بشهادة أولي العلم : الإيمان بها، والاحتجاج عليها بما ذكر من الأدلة التكوينية والتشريعية[2].

٣ – أن المراد بكلا الشهادتين شهادة الملائكة وشهادة أولي العلم هي : إقرارهم، واعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته، وهو قول أكثر العلماء والمفسرين [3].

٤ – ذكر ابن القيم رحمه الله أنه قد " فُسّرت شهادة أولي العلم بالإقرار، وفُسّرت بالتبيين والإظهار، والصحيح: أنها تتضمن الأمرين، فشهادتهم إقرار، وإظهار، وإعلام، وهم شهداء الله على الناس يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٧٤.

(٢) ينظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ١/ ٢٠٣، وتفسير أبي السعود ٢/ ١٧، وفتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ٢/ ٢٠٣، وروح المعاني للألوسي ٢/ ١٠١، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ١٨٦.

(٣) ينظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٣٢-٣٣، والنكت والعيون للماوردي ١/ ٣٧٩، والوجيز للواحدي ص: ٢٠٢، تفسير الراغب الأصفهاني ٢/ ٤٦٥، وتفسير البغوي ١/ ٤٢٠، والتفسير الكبير للرازي ٧/ ١٦٨، ومجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٨، ومدارج السالكين ٣/ ٤٣٩، وتفسير الخازن ١/ ٢٣٤.

ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾ [١] وقال -تعالى-: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [٢].

فأخبر: أنه جعلهم عدولاً خياراً، ونوّه بذكرهم قبل أن يوجدهم، لما سبق في علمه من اتخاذه لهم شهداء يشهدون على الأمم يوم القيامة، فمن لم يقم بهذه الشهادة - علماً وعملاً، ومعرفة وإقراراً، ودعوة وتعليماً، وإرشاداً - فليس من شهداء الله، والله المستعان." [٣].

والذي يظهر – والله أعلم- أن هذا الاختلاف في العبارات إنما هو من باب التنوع لا التضاد، وتفسير للشيء ببعض معانيه؛ إذ إن القول الأول ظاهر في أنه لايراد به القول بأن شهادة الملائكة وأولي العلم مماثلة لشهادة الله سبحانه، يدل لذلك أنه فرّق بين كيفية إخبار الله وبيانه وإظهاره وإخبار الملائكة وأولي العلم وبيانهم وإظهارهم.

ومن جعل المراد بشهادة أولي العلم الإيمان بها والاحتجاج عليها فلا يتصور منه القول بأنه إيمان واحتجاج خالٍ من الإقرار.

ويحسن التنبيه إلى أن عدم التصريح بذكر الرسل - عليهم السلام - في هذه الشهادة لأن أولي العلم أعم الرسل والأنبياء فيدخلون فيها دخولاً أولياً هم وأتباعهم [٤].

(١) سورة البقرة:١٤٣.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) مدارج السالكين : ٣/ ٤٣٩.

(٤) ينظر : المصدر السابق ٣/ ٤٣٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على ما يسّر من إكمال هذا البحث، الذي كان من نتائجه ما يلي :

١ – الشهادة في اللغة أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، وهي إخبار بما شاهده وشهِدَه ورأه، ومن العلماء من فرّق بين الشهادة والعلم، وبين الشهادة والحضور.

٢ – تنصرف أكثر تعريفات الشهادة في الاصطلاح إلى تعريف الفقهاء للشهادة في الدعوى والقضاء وهي إخبار بحق للغير على آخر ونحو ذلك، وبين المعنى اللغوي والاصطلاحي علاقة ظاهرة يرتبطان بمعنى الحضور والإخبار.

٣ – يمكن تقسيم شهادات الله تعالى الواردة في القرآن إلى قسمين، القسم الأول : **شهادة عامة على كل شيء**، وهي المذكورة في عدد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾، **والقسم الثاني: شهادة الله تعالى على أشياء معينة**، وهي عدة أنواع كشهادته على التوحيد، وصدق الرسول ﷺ، وإنزال القرآن الكريم، وأفعال العباد وأعمالهم، وعلى كذب المنافقين.

٤ – تنوعت عبارات العلماء من أهل التفسير واللغة وغيرهم في بيان معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ منها : حكم، وقضى، وقال، وبيّن، وأظهر، وعلم، وأخبر، وقد ذكر شيخ الإسلام وابن القيم – رحمهما الله – أنها كلها معان صحيحة، وحق لا تنافي بينها.

٥ - اختلف العلماء في المراد بشهادة الله سبحانه المذكورة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، على قولين : **أحدهما** : أن الله شهد بذلك شهادة إخبار وبيان، وشهادة إظهار وإعلام، فتكلم سبحانه بهذه الشهادة ، وأخبر بها، ونَصَبَ الأدلة عليها، **والثاني** : أن المراد بشهادة الله تعالى لنفسه هي نصبه الأدلة على وحدانيته، فيكون وصفها شهادة على سبيل المجاز والاستعارة.

٦ – القول الراجح –والله أعلم– هو القول الأول أن الله سبحانه قد شهد بهذه الشهادة قبل خلق الخلق بألوهيته ووحدانيته، ومعنى هذا أن هذه الشهادة قد حصلت قبل نصب الأدلة التي يقول بها أصحاب القول الثاني.

٧ – بيّن عدد من العلماء منزلة هذه الشهادة ومكانتها فوصفوها بأنها أعظم الشهادات، وأكبرها، وأجلها، وأعدلها، وأصدقها، وأفرضها على الخلق، فمن شهد بها فقد شهد شهادة ليس وراءها مرمى.

٨ – أجاب بعض العلماء عن ما قد يثيره الملحدون والمعاندون في أنه لا يصح أن يكون صاحب الدعوى هو الشاهد نفسه بعدة أجوبة، منها : لأن دعوى من ظهر صدقه في شهادته إذا شهد مقبول، وهو بما ادّعى من الألوهية والربوبية؛ -إذا لم يَسْتَقِلهُ أحد - ظهر صدقه، وأن هذه الشهادةَ تنزيه منه لنفسه وتعظيم له سبحانه عمّا يقول المشركون المتخذون معه إلهاً غيره، وإذا قيل : إن شَهِدَ بمعنى : حَكَم، فمعنى هذا أنها لا تكون حينئذٍ دعوى يشهد لها مدعيها، بل إنها قول وحكم ملزم.

٩ - اختلف تقسيم شيخ الإسلام وابن القيم لعدد مراتب الشهادة، فجعلها شيخ الإسلام رحمه الله مرتبتين، وجعلها ابن القيم رحمه الله أربع

مراتب ، وهو اختلاف من باب الزيادة في التنويع والتقسيم، ويظهر ذلك في تداخل بعض المراتب الأربع مع بعضها عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠ – فصّل شيخ الإسلام وابن القيم – رحمهما الله – القول في هذه المراتب الأربع، وهي العلم والاعتقاد، والتكلم والخبر، والإعلام والإخبار، الأمر والإلزام ، وبيّنوا أدلتها من الكتاب والسنة.

١١ – يرى شيخ الإسلام رحمه الله أن الله تعالى بيّن هذه الشهادة بطريقين هما : طريق السمع والبصر ، وزاد ابن القيم رحمه الله طريقاً ثالثاً وهو العقل.

١٢ – اختلفت عبارات العلماء في بيان المراد بشهادة الملائكة وأولي العلم، فمنهم من جعل شهادة الله تعالى والملائكة وأولي العلم بمعنى واحد، ومنهم من جعل المراد بشهادة الملائكة الإقرار، وشهادة أولي العلم الإيمان بها والاحتجاج عليها، وذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بشهادة الملائكة وأولي العلم هو : الإقرار، وليس هذا الاختلاف من باب التضاد، بل هو تفسير للشيء ببعض معانيه.

هذا ما يسّر الله تعالى الوقوف عليه وبيانه في هذه الدراسة، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده وبتوفيقه وفضله، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسين علي بن إسماعيل الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية ،١٩٧٥م.
- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لموسى بن أحمد الحجاوي، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت.
- الانتصار للقرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
- أنيس الفقهاء، لقاسم بن عبد الله القونوي الرومي، تحقيق : يحيى حسن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤٢٤هـ
- إيجاز البيان عن معاني القرآن، لأبي القاسم محمود النيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ
- بحر العلوم في التفسير، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن

عجيبة الحسني الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الطبعة: ١٤١٩ هـ، القاهرة.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المكتبة العلمية، بيروت، نشر عباس الباز- مكة المكرمة.
- تاج اللغة وصحاح العربية تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٩٠ .
- تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق : د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير المجيد»،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ،الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر ١٩٨٤م.
- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، كلية أصول الدين تطوان، الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
- التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.
- تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله التُستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.
- تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي،

دار النشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ.

- تفسير القرآن ،أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ،المحقق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ،دار الوطن، الرياض السعودية ،الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين عبد السلام ، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
- التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- تفسير يحيى بن سلام ،يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني ،تقديم الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- التقييد الكبير، لأبي العباس أحمد بن البسيلي التونسي ، تحقيق عبد الله بن مطلق الطوالة، ١٤١٢هـ.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق : محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م
- التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين عبد الرؤوف المناوي،

الناشر: عالم الكتب القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق : د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الجامع الصحيح المسند من أحاديث الرسول ﷺ وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ هـ، الطبعة الثالثة.
- الجامع الصحيح، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ،المحقق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.
- حاشية كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- روح المعاني للآلوسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان إدارة الطباعة المنيرية توزيع دار الباز مكة المكرمة.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ .
- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت .
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، مراجعة وضبط وتعليق د. محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض .
- السنن الكبرى للنسائي، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسري حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
- صفوة الآثار والمفاهيم، للشيخ عبدالرحمن الدوسري، نشر مكتبة دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق : زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
- فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بَيروت ١٤١٢ هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق، لشهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي، الناشر: عالم الكتب.
- قاموس اصطلاحات الصوفية لأيمن حمدي، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٠٥م.
- كشاف القناع، لمنصور بن يونس البهوتى، الناشر: دار الكتب العلمية.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم الزمخشري، دار

الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ .
- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبدالعزيز بن محمد السلمان نشر رئاسة إدارات البحوث العلميه والافتاء والدعوه و الارشاد، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٢.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي الشيحي، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ،١٤١٥ هـ.
- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.
- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، دار صادر.
- لطائف الإشارات، لعبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، ط مجمع الملك فهد.
- محاسن التأويل لمحمد جمال القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود،

دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤١٣هـ .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار الحديث، القاهرة .
- معالم التنزيل، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- معاني القرآن وإعرابه ،إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ،عالم الكتب – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معجم المناهي اللفظية، لبكر بن عبد الله أبو زيد الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧ هـ.
- معجم مصطلحات الصوفية لعبدالمنعم الحفني، دار المسيرة - بيروت - الطبعة الثانية – ١٩٨٧ .
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن احمد بن فارس زكريا الرازي، حققه وضبطه عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٣٩٩ .
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار المعرفة، لبنان .
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الإسلام ابن

تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون ،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ .
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عمر الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، تحقيق : محمد بن يعقوب التركستاني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

التفسير النبوي
دراسة تطبيقية من كتاب التفسير في كتاب: سنن الترمذي المسمّى بـ "الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل»

(المصادر- الأنواع – المنهاج)

إعداد:

أ.د. عيسى بن ناصر الدريبي

أ. د. عيسى بن ناصر الدريبي

- الأستاذ بقسم الدراسات القرآنية - كلية التربية – جامعة الملك سعود .
- عضو هيئة تحرير مجلة (تبيان) للدراسات القرآنية.
- حصل على درجة الماجستير من قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: (منهج السمين الحلبي في التفسير في كتابه الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (فتح المنان بتفسير القرآن للحسن عاكش الضمدي من أول الكتاب إلى نهاية سورة المائدة –دراسة وتحقيق)

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،وبعد :

فإن قيمة التفسير تعتمد على مصادره ،ولذا فقد قرر العلماء أن أفضل التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن هو التفسير النبوي فهو أحد التفسير بالوحيين ،وقد قال ﷺ "ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه "[1]،ولذا عني العلماء بهذا النوع من التفسير ،ومن هؤلاء :المحدثون، فقد جمعوا أحاديث التفسير النبوي على شكل باب من أبواب السنة ،وهذا الجهد لا يزال مجالاً خصبا للدراسة من حيث التأصيل والتطبيق ، باستخراج أصول التفسير من خلال استقراء هذه الأحاديث. ولهذا البحث بهذه الطريق قيمة عالية ؛لاعتماده على النص مباشرة وتحليله للخروج بالقاعدة أو الأصل في فهم القرآن عن طريق الوحي الثاني وهو السنة ، وكذا من حيث التطبيق ،فإن جرد واستقصاء دواوين السنة بهذا المنظار سيخرج لنا تفسيراً متميزاً من خلال السنة ، وهذا يحتاج إلى مُكْنة علمية في أصول التفسير، بتطبيق السنة وخاصة فيما يذكره ﷺ مما يصلح أن يكون تفسيراً.

وهذا البحث هو دراسة تطبيقية أردت منه استخراج أنواع ومنهاج التفسير النبوي ومصادره ،وذلك من خلال استقراء وتحليل أحد كتب التفسير من كتب السنة النبوية ،وهو كتاب التفسير من سنن الإمام

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٠ رقم ٤٠٦٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ٥١٦ رقم ٢٦٤٣.

الترمذي، وقد اكتفيت بالنصف الأول من القرآن أنموذجاً للدراسة، وقدمت بمقدمات تمهيدية لأهمية التفسير النبوي ومكانته، وفصل تحدثت فيه: عن الدراسات التي عنيت بالتفسير النبوي.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على خير مبلغ محمد بن عبد الله ﷺ وبعد ،

فقد كانت لي مطالعات وتعليقات حول التفسير النبوي في متون السنة النبوية من خلال استقرائي لبعض كتب السنة النبوية ، ولأهمية هذا الموضوع ،ولسعته فقد عقدت العزم على كتابة بحث تأصيلي له من خلال أحد كتب التفسير في كتب السنة النبوية واخترت له هذا العنوان:

التفسير النبوي دراسة تطبيقية من كتاب التفسير في سنن الترمذي (المصادر، والأنواع ، والمنهاج)

وكانت الدراسة التطبيقية على النصف الأول من القرآن من كتاب التفسير كنموذج .

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية :

١- أن قيمة تفسير القرآن من حيث صحة التفسير تعتمد على أمور أهمها: مصادره، ومن هنا فإن تفسير القرآن بالوحيين له المكانة العالية، والثقة المطلقة ،وهذا أمر يقرّره العلماء باستفاضة -كما سيأتي الحديث عنه في التمهيد-وهذا البحث يتناول التفسير بأحد هذين الوحيين وهو السنة.

٢- أن الناظر في التفسير النبوي القرآن – وهو: الوحي الثاني- يدرك

ولاشك أن هذا المجال من المجالات التي لازالت تحتاج إلى بحوث تأصيلية وتطبيقية ، تأصيلية بحيث يمكن استقراء أحاديث التفسير النبوي لاستخراج أصول التفسير فيما يخص التفسير النبوي، ومن ثمَّ تعتمد كأصول علمية عالية القيمة في أصول التفسير.

٣- وكذا لا يزال هذا المجال خصباً للدراسة والبحث من حيث التطبيق ،باستقراء كتب السنة النبوية ودواوينها ؛ لاستخراج التفسير النبوي للقرآن بمفهومه الواسع، من حيث استخراج الأحاديث التي تصلح أن تكون تفسيراً للقرآن ولو لم يرد ذكر للآية فيها .

فكرة البحث :

كما ذكرت في المقدمة أنه كانت لي مطالعات متعددة سابقة في كتب التفسير في بعض كتب السنة وعلقت بعض الفوائد في مطالعات متفرقة ، ثم أردت أن أطبق الجزء الأول مما ذكرته هنا في مجالات بحوث التفسير النبوي ،وهو الجانب التأصيلي ، ومن خلال دراسة تطبيقية على أحد كتب التفسير في كتب السنة ،وهو كتاب التفسير في سنن الترمذي ، ولأن الموضوع موضوع تأصيل بالدرجة الأولى فقد اكتفيت بالنصف الأول من القرآن في ذلك .

منهج البحث : المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي. واعتمدت المنهجية التالية :

١- قراءة النص النبوي من غير خلفيات مسبقة تستدعي إسقاط الأحاديث على قوالب سابقة في أصول التفسير، مما قد يكون لها أثر

سلبي على الإبداع والتجديد في استخراج أصول التفسير النبوي .

٢- اعتماد منهج السبر والتقسيم في قراءة هذه الأحاديث للخروج بأصول التفسير النبوية.

٣- عدم الالتزام بذكر كل ما ذكره الإمام الترمذي من أحاديث ، لأن بعضها ذكرها على سبيل تعلق الحديث بشيء من السورة ، وهو بهذا يعد مفسرا من الطراز الأول، ولكن هدفي ليس التفسير ،بل هو استخراج أصول التفسير فيما يتعلق بالتفسير النبوي .

٤- اعتمدت في غالب الأمثلة الأحاديث المقبولة (الصحيحة أو الحسنة) معتمداً في ذلك على أحكام الشيخ الألباني رحمه الله .

٥- ذكرت في الهامش أمثلة في نفس المباحث من كتب السنة المختلفة، لتأكيد هذا الأصل، ولأنها كانت هي النواة للبحث في هذا الموضوع، ثم رأيت بعد ذلك أخذ نموذج واحد من كتب السنة، لأبرهن على أن هذا الموضوع كبير وكبير، ويستحق أن يكون مشروعا علمياً.

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة و تمهيد ، وفصلين .

التمهيد وفيه:

المبحث الأول: أهمية التفسير النبوي ، ومكانته .

المبحث الثاني: عناية العلماء بالتفسير النبوي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عناية العلماء المتقدمين بالتفسير النبوي .

المطلب الثاني : عناية المعاصرين بالتفسير النبوي.

الفصل الأول: التفسير النبوي في كتاب التفسير من سنن الترمذي

وفيه مبحثان.

المبحث الأول: مصادر التفسير النبوي . وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : القرآن الكريم.

المطلب الثاني :الحديث القدسي.

المطلب الثالث: المشاهدات.

المبحث الثاني : أنواع التفسير النبوي. وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التفسير الصريح.

المطلب الثاني : التفسير النبوي غير الصريح.

الفصل الثاني: منهاج التفسير النبوي للقرآن . وفيه (١٤) مبحثاً:

المبحث الأول: بيانه ﷺ معنى لفظة أو تركيب أو آية.

المبحث الثاني: تعيين المبهم.

المبحث الثالث: التفسير بالمثال.

المبحث الرابع: بيان من نزلت فيه الآية.

المبحث الخامس:أن يذكر الرسول ﷺ معنى زائداً على ما في الآية.

المبحث السادس:أن يذكر رسول الله في كلامه ما يؤكد معنى الآية.

المبحث السابع: أن يذكر سبب نزول آية.

المبحث الثامن:تفسير الآية بتطبيقها.

المبحث التاسع:تصحيح مفهوم أو بيان إشكال.

المبحث العاشر: بيان أمور مما لم يكن معروفا دلالتها.

المبحث الحادي عشر:حل إشكال أو قضية وقعت لأحد الصحابة.

المبحث الثاني عشر: الإجابة على أسئلة التحدي التي يثيرها أهل الكتاب.

المبحث الثالث عشر: ذكر التفسير دون ذكر الآية.

المبحث الرابع عشر: بيان سبب القصة.

التمهيد

المبحث الأول: أهمية التفسير النبوي ومكانته :

تفسير القرآن بالسنة هو المصدر الثاني من المصادر المعتمدة كما دلت على ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ويكفي في ذلك أن القرآن عدّ أن رسالة الرسول هي : إيضاح القرآن وبيانه في قوله تعالى – مخاطباً نبيه – ﷺ –: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل ٤٤].

ولذا قال الشافعي – رحمه الله –بناء على فهمه لهذه الآية– :" أن كل ما حكم به الرسول – ﷺ – فهو مما فهمه من القرآن". (١)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤] يتناول هذا وهذا" (٢) .

والمعنى: أنه قد بيّن لهم ما يخفى عليهم مما يحتاجون لبيانه، وإلا فإن كثيراً من الآيات يعرف الصحابة ﷺ معناها والمراد بها من خلال معرفتهم بلغة العرب، ومن خلال ما حضروه من القرائن والأحوال والوقائع التي احتفت بالتنزيل.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى –مبيناً لنبيه أنه مأمور بتطبيق أحكام القرآن

(١) الرسالة ص ٣٢ .

(٢) مقدمة التفسير في مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣١).

ولاشك أن هذا التطبيق نوع من البيان للقرآن وتفسير له- قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء: ١٠٥) في آيات أخر، وغيرها.

وأما السنة، فقد قال ﷺ – مؤكدا أن سنته وحي -: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه". (١)

والمراد هنا بقوله " ومثله معه " : السنة كما قرر ذلك العلماء ومنهم الزركشي في البرهان ونقله عنه السيوطي(٢) .

وقد أكد السلف أهمية بيان السنة للقرآن حتى قال مكحول قال: "القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن" (٣) .

وقال يحي بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السنة.

وقد بيّن ذلك الزرقاني بقوله:" والأصل أن معنى احتياج القرآن إلى السنة أنها مبينة له، ومفصلة لمجملاته، لأن لوجازته كنوزاً تحتاج إلى من يعرف خفايا خباياها فيبرزها، وذلك هو المنزل عليه ﷺ، وهو معنى كون السنة قاضية على الكتاب، وليس القرآن مبيناً للسنة، ولا قاضياً عليها، لأنها بيّنة بنفسها، إذ لم تصل إلى حدّ القرآن في الإعجاز والإيجاز، لأنها شرح له،

(1) أخرجه أبو داود في سننه (٥/ ١٠) برقم ٤٦٠٤ ،وابن ماجه في سننه (١/ ٦) برقم ١٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥١٦) برقم ٢٦٤٣

(2) انظر : البرهان ١/ ١٧٦ والإتقان ٦/ ٢٢٧٤ وأكد ذلك ابن القيم قائلا :"هذا هو السنة بلاشك "التبيان في أقسام القرآن، ص١٥٦.

(3) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٩

وشأن الشرح أن يكون أوضح وأبين وأبسط من المشروح"[1] .

وقد قرّر العلماء أهمية التفسير النبوي وأثره في تفسير القرآن ، ومن ذلك :

أن الطبري قسّم رحمه الله التأويل إلى ثلاثة أقسام، فجعل الأول ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول

يقول ابن جرير الطبري: "فقد تبَيَّن ببيان الله -جلَّ ذكره- أنَّ مما أنزل اللهُ من القرآن على نبيه ﷺ ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره ،وواجبه ،وندبه ،وإرشاده، وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه ،وحدوده ،ومبالغ فرائضه ،ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ،وما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسوله لأمته .وهذا وجه لا يجوز القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ بتأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"السنة تفسر القرآن وتدل عليه وتعبر عنه"[3] .

ويؤكد الشاطبي على هذا المعنى بقوله : "... السنة على كثرتها وكثرة مسائلها إنما هي بيانٌ للكتاب ... وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ

(1) مناهل العرفان: ١/ ٢٩٩.

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٣).

(3) دقائق التفسير: ٢/ ٢٦.

ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (النحل:٤٤) ... فعلى هذا لا ينبغي في الاستنباط من القرآن الاقتصارُ عليه دون النظرِ في شرحِه وبيانِه وهو السنة؛ لأنه إذا كان كلياً وفيه أمور كلية كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها فلا محيص عن النظر في بيانه" [1]

وعن حسان بن عطية قال: "كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ، ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك"[2] .

ومصداق ذلك في قوله - تعالى -: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٩، ١٨).

(١) الموافقات (٣/ ٢٧٤-٢٧٦)، وانظر: (٣/ ٢٥٧).

(2) ذكر ذلك القرطبي في مقدمة تفسيره الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٣٩.

المبحث الثاني: عناية العلماء بالتفسير النبوي.

اعتنى العلماء من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين بالتفسير النبوي عناية فائقة، كما سيأتي تفصيله في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: المرحلة الأولى:عناية المحدّثين بجمع أقوال النبي ﷺ في التفسير:

اعتنى علماء الحديث بجمع ما ورد عن النبي ﷺ من أقوال في تفسير القرآن ،وجعلوها باباً من أبواب كتبهم، كباب التفسير مثلاً. ورتّبوا هذه الأقوال على ترتيب السور القرآنية ،ومن أمثلة ذلك :

١- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١٠هـ مطبوع في أربعة أجزاء.

٢- كتاب التفسير في سنن سعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ) قال عنه السيوطي: "سعيد بن منصور له السنن ،وفيها باب عظيم في التفسير يجئ نحو مجلد "[1].

٣- تفسير عبد بن حميد الكشي ت٢٤٠هـ، طبع منه قطعة.

(١) ينظر بحث :مقدمة الدر المنثور د/ حازم حيدر ص ١١٨ ،بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد، محرم ١٤٢٧هـ

وقد طبع من هذا الباب الذي يذكره السيوطي : فضائل القرآن ،وبعض (التفسير) إلى نهاية سورة الرعد بعدد (١١٧٧) مروية من سنن سعيد بن منصور بتحقيق د/ سعد آل حميد في خمسة مجلدات .

٤- تفسير ابن المنذر النيسابوري ت٣١٨هـ، طبع جزء منه بتحقيق د.سعد السعد، ذكرهما الحافظ ابن حجر ضمن التفاسير المسندة [١].

٥- مسند الإمام أحمد ، وقد اشتمل على كثير من الروايات من أحاديث الرسول في التفسير ولكنها متفرقة لأنها مرتبة على المسانيد ، وقد تبين عددها حينما قام الشيخ محمد بن عبد الرحمن البنا بترتيب المسند على الأبواب في الفتح الرباني ،فكان قسم التفسير في مجلد وفيه ٥٤٩ رواية. وقد جمع د. حكمت بن بشير ياسين مرويات الإمام أحمد في التفسير في أربعة أجزاء، ونشرته مكتبة المؤيد في الرياض.

٦- كتاب التفسير في صحيح الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، فقد جمع فيه ٣٨٠ بابا مرتبا على السور ،وذكر فيها ٥٠٣ حديثا [٢].

٧- كتاب التفسير في سنن الإمام الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ،وقد ذكر فيه ١٩٥ باباً مرتباً على السور ،وذكر فيه ٤٢٠ رواية.

٨- كتاب التفسير في السنن الكبرى للإمام النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، وقد ذكر فيه ٧٤٠ رواية [٣].

٩- كتاب التفسير في المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، وقد ذكر فيه ١١٢٩ رواية مرتبة حسب السور .

(١) ينظر: التفسير الصحيح ١/ ٢٠.

(٢) وهذا العدّ بحسب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) وقد طبعه صبري الشافعي وسيد الجليمي بشكل مستقل بعنوان :تفسير النسائي .

١٠- تفسير الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ).

وتفسيره ضخم حافل بمئة وعشرين ألف رواية، صرح بهذا الرقم أبو الحسين بن المنادي في تأريخه فيما رواه عنه القاضي أبو الحسين أبو يعلى حيث ذكر عبد الله وصالح ابني الإمام أحمد فقال: كان صالح قليل الكتاب عن أبيه، فأما عبد الله فلم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه أكثر منه لأنه سمع المسند وهو ثلاثون ألفاً، والتفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفاً سمع منها ثمانين ألفاً والباقي وجادة.. ونقله أيضاً الخطيب البغدادي والذهبي، وأبو موسى المديني في خصائص المسند، وصرح بهذا الرقم ابن الجوزي[1].

وإن صنيع هؤلاء الأئمة يكشف عن قدرتهم التفسيرية لكتاب الله في تتبعهم لأحاديث رسول الله ووضعها في مواضعها في تفسير السور وخاصة فيما لم يأت فيه نص من الرسول على تفسير آية بعينها.

(١) ينظر: التفسير الصحيح ١/ ٢١.

المطلب الثاني: عناية المفسرين بالتفسير النبوي.

فقد كان للمفسرين عناية بهذا النوع من التفسير لمكانته، فهو أفضل درجات التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن. وتنوع عنايتهم بذلك قلة أو كثرة كانت بحسب اتجاهاتهم:

أ) **فأصحاب التفسير بالمأثور**، كانوا مكثرين من هذا التفسير؛ لأنه أحد أعمدة التفسير بالمأثور. ومنهم:

١- الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان، مع توجيهه واستنباطاته لبعض أنواع التفسير بالسنة من خلال قراءته الواعية والدقيقة والعميقة لنصوص السنة وتنزيلها على الآيات.

ومنهم من اكتفى بسرد ما ورد من النبي ﷺ من أقوال في التفسير أثناء ذكره ما ورد في تفسير الآيات من غير تدخل منه مثل:

٢- تفسير القاضي أبي إسحاق بن إبراهيم بن إسحاق البستي ت٣٠٧هـ، حققه د.عوض العمري، و د.عثمان معلم في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٣- التفسير المسند عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ﷺ: الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في تفسيره.

٤- تفسير المعتمد من المنقول فيما أوحي إلى الرسول ﷺ، تأليف بهاء الدين حيدر بن علي بن حيدر القاشي، حققه د. فيصل بن جعفر بالي، د.محمد ولد سيدي ولد حبيب، طُبع في مجلدين، مكتبة التوبة.

٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي، طُبع عدة طبعات، وأرقى الطبعات بإشراف معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن

التركي.

٦- الجوهر المنظوم في التفسير بالمرفوع من كلام سيد المرسلين والمحكوم للعلامة محمد بن أحمد بن عقيلة ت١١٥٠هـ، حُقق في عدة جامعات: جامعة طيبة، وجامعة الملك خالد، وجامعة الملك سعود، وجامعة طيبة.

ب) وأما أصحاب التفسير بالرأي، فهؤلاء ربما لم يكثروا من ذكر ما ورد عن النبي ﷺ من أقوال وأحاديث في التفسير، إلا أن بعضهم استعمل النوع الآخر الأوسع والذي يُعمل فيه رأيه في استنباطاته من السنة ما يصلح أن يكون تفسيراً للقرآن.

المطلب الثالث: عناية المعاصرين بجمع التفسير النبوي.

١- التفسير الصحيح ،موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور.

تأليف :الأستاذ الدكتور / حكمت بن بشير ياسين، أستاذ التفسير في الجامعة الإسلامية –سابقا- ،وموضوع الكتاب كما قرره في مقدمة الكتاب بقوله ص ٦ :"قررت أن اجمع كل ما صح إسناده من التفسير بالمأثور " فهدفه هو جمع ما صح من الراويات عن النبي ﷺ في التفسير، وقد جمع المؤلف في كتابه هذا الأحاديث التي فيها تفسير صريح من النبي للقرآن إضافة إلى الأحاديث التي لا تندرج تحت التفسير مباشرة، وإنما لها علاقة وتتناسب مع الآية المراد تفسيرها –كما ذكر المؤلف في مقدمته ص ٣٢-، طُبع في أربعة أجزاء، دار المآثر، المدينة المنورة.

٢- الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم ، للشيخ : أبي محمد السيد إبراهيم بن أبو عمه ، أورد مؤلفه فيه كل خبر صح عنده من كلام رسول الله ﷺ يتعلق بشيء من كتاب الله سواء أريد به التفسير أو لم يرد، دون التطرق لفقه التفسير وحكمه وفوائده .

٣-مرشد المفسرين والمحدثين إلى ما ورد من التفاسير المصرح برفعها إلى النبي ﷺ مع مبادئ وكليات تساعد على فهم القرآن الكريم ، لمحمد إبراهيم سليم . وهو كتاب مكون من (١٥٨) صفحة أخرج مؤلفه فيه ما أورده السيوطي في كتابه الإتقان من تفسير النبي ﷺ بعرض حسن وعنون لها وحدد مواضع الآي من سورها ، وأضاف إلى ذلك في حاشية الكتاب بيانات لغوية بحتة لبعض ألفاظ الآية الوارد ذكرها .

وختم الكتاب بذكر كليات تساعد على فهم القرآن قالها ابن فارس في كتاب الأفراد، ونقلها عنه السيوطي في كتابه الإتقان منها : " كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه : الحزن ، إلا ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ [الزخرف : ٥٥] فمعناه أغضبونا . وكل ما فيه من ذكر البروج فهي : الكواكب ، إلا ﴿وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ ﴾ [النساء : ٧٨] فهي القصور الطوال الحصينة " [ص ١٥٢] .

وبهذا يتضح ما احتواه هذا الكتاب من كونه تنظيم وترتيب وحسن إخراج لما ذكره السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الإتقان من الأحاديث المفسرة لشيء من القرآن الكريم ، والمبادئ التي نقلها السيوطي عن ابن فارس في كتاب الإفراد .

٤ -التفسير النبوي للقرآن الكريم ، النصف الأول من القرآن : لعواد بلال العوفي ، رسالة ماجستير في عام (١٤٠٢هـ) من الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية .

٥-التفسير النبوي للقرآن الكريم ، من أول سورة مريم إلى آخر القرآن : رسالة دكتوراه للباحث نفسه – عواد العوفي - في عام (١٤٠٨هـ) من الجامعة الإسلامية ، المدينة النبوية .

٦-المسند الصحيح من التفسير النبوي للقرآن الكريم : للقاضي برهون، رسالة دكتوراة في عام (١٩٩٧م) من جامعة محمد الخامس، المغرب.

٧- التفسير النبوي، مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث

التفسير النبوي الصريح، تأليف :خالد بن عبدالعزيز الباتلي، وهي رسالة علمية نال بها درجة الدكتوراه عام ١٤٢٩هـ، وقد طبعت عام ١٤٣٢هـ، وقد جعل بحثه من قسمين ،الأول : الدراسة التأصيلية، وهي مكونة من ثلاثة فصول، الأول وتحدث فيه عن بيان الرسول للقرآن ،والفصل الثاني وتحدث فيه عن خطر القول في القرآن بغير علم ، والفصل الثالث :عناية المحدثين بعلم التفسير، والقسم الثاني :جمع ودراسة الأحاديث المرفوعة في التفسير الصريح مرتبة على سور القرآن، وكما يقول الباحث عن هذا القسم أنه : هو مقصود البحث .

٨-التفسير النبوي للقرآن الكريم وموقف المفسرين منه : لمحمد إبراهيم عبد الرحمن ، كتاب مكون من (٢٩٧) صفحة وهو كتاب اهتم مؤلفه ببيان موقف المفسرين على اختلاف اتجاهاتهم من الاحتجاج بتفسير النبي ﷺ لنصوص القرآن الكريم، ومدى هذا الاحتجاج وكيفيته من تقديم هذا التفسير أو تأخيره أو إهماله، أو ذكره بصورة لا تتلاءم مع أهميته، والقدر الذي احتج به كل مفسر من هذا التفسير النبوي الكريم ، بالإضافة إلى الجانب التطبيقي على بعض كتب التفسير على اختلافها، ثم ذيل هذه الدراسة بملحق ذكر جملة من النصوص النبوية الشريفة من كتب الحديث الصحاح في التفسير، اعتنى المؤلف بتخريجها ، فلم يتناول التفسير النبوي بالتأصيل والتقعيد.

٩-دور الحديث النبوي في التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي: لصبري متولي، كتاب مكون من (٢٣٤) صفحة ، وهو عبارة عن دراسة تطبيقية لدور الحديث وأهميته في التفسير على آيات الحجاب في القرآن

الكريم ، ولم يتعرض للتفسير النبوي وتأصيله .

١٠-التفسير النبوي، خصائصه ومصادره تأليف د. محمد عبد الرحيم محمد، كتاب مكون من (١٥٠) صفحة، والكتاب مقسم إلى ستة مباحث، تناولت تأملات حول المرويات عن النبي ﷺ استنبطها المؤلف من خلال قراءته لبعض مصادر التفسير النبوي للقرآن الكريم وهي ـ كما يقول جامعها ـ تأملات تعد بمثابة مدخل لدراسة هذه المرويات فيما بعد، وهذه التأملات تناولت: مقدار ما فسره النبي ﷺ، ومصادر التفسير النبوي، والوضع على النبي ﷺ في التفسير وبعض سمات التفسير النبوي وخصائصه، وعناية المفسرين بالتفسير النبوي، وكشاف (فهرس) بالآيات المرفوع تفسيرها إلى النبي ﷺ.

وأراد مصنف هذا الكتاب بمصادر التفسير النبوي: مظانه، وبالسمات والخصائص: أنواعاً متفرقة من التفسير النبوي حيث ذكر المصنف في هذا المبحث: التفسير بالقرآن وبسبب النزول والتفسير الفقهي وغريب القرآن وتبيين المجمل وتوضيح المشكل وتخصيص العام وتقييد العام وتوضيح المبهم والتفسير العقدي والتاريخي والوعظي.

وهي بهذا السرد غير مصنفة ولا مرتبة، وتفتقر إلى التأصيل المصنف المرتب الأكثر شمولاً.

١١-التفسير النبوي للقرآن الكريم: لجاسر أبو صفية، مقال من سبع صفحات في مجلة الوعي الإسلامي، العدد [١٩٩] رجب ، ١٤٠١هـ .

١٢-في ظلال التفسير النبوي للقرآن الكريم: لمحمد العفيفي، مقالات منشورة في أربعة أعداد من مجلة الوعي الإسلامي ، أطول مقال

كان في اثنتي عشرة صفحة.

١٣-من الأدب النبوي: التفسير النبوي للقرآن الكريم: لمحمد رجب البيومي، مقال من ثمان صفحات في مجلة الأزهر ، العدد [٣] ربيع الآخر ، ١٤٠٠هـ .

الفصل الأول :
التفسير النبوي في النصف الأول من كتاب التفسير من سنن الترمذي

هذا فصل تطبيقي على كتاب التفسير من سنن الإمام الترمذي –رحمه الله– استقرأت فيه ما ذكره في هذا الكتاب من التفسير النبوي من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف .

– أي النصف الأول من القرآن – وقد قمت بتحليل متون هذه الأحاديث الشريفة وقسمتها إلى ثلاثة أقسام كما في المباحث الآتية:

المبحث الأول: مصادر التفسير النبوي .

المبحث الثاني: أنواع التفسير النبوي.

المبحث الثالث: منهاج التفسير النبوي للقرآن.

وهذه التقسيمات برزت من خلال قراءة تأمّلية لهذه الأحاديث ، مستظهراً أهم أصول فهم كلام الله من الناحية المنهجية كما سيأتي تفصيله في المباحث الآتية:

المبحث الأول : مصادر التفسير النبوي

اعتمد النبي ﷺ عدة مصادر في تفسيره للقرآن، هذه المصادر هي أعلى قيمة بين مصادر التفسير: القرآن الكريم ،الأحاديث القدسية ، ومشاهداته، وهو بهذا ﷺ يضع المنهج لأمته من بعده في رسم المنهج العلمي في مصادر التفسير.

المطلب الأول :المصدر الأول وهو: القرآن الكريم .

فقد اعتمد الرسول القرآن مصدراً أساسياً في تفسير القرآن .

ومن أمثلة ذلك :تفسيره المشهور للظلم الوارد في سورة الأنعام آية (٨٢) في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ بآية أخرى في سورة لقمان

عن عبد الله قال لما نزلت : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ شقّ ذلك على المسلمين ،فقالوا يا رسول الله: وأينا لا يظلم نفسه ،قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ (لقمان: ١٣)؟

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح [1].

(1) أخرجه الترمذي في سننه (٥ / ٢٦٢) برقم ٣٠٦٧ .

ومن أمثلة ذلك :حديث جابر بن عبد الله قال :أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي يقول عند حفصة :"لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد .الذين بايعوا تحتها. =

= قالت :بلى يا رسول الله ،فانتهرها .فقالت حفصة :"وإن منكم الا واردها "مريم ٧١ ، فقال النبي :قد قال الله عز وجل :"ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " (أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب فضائل الصحابة (٤ / ١٩٤٢) برقم ٢٤٩٦)

فالرسول ﷺ هنا فسر آية الورود على النار ،بآية تنجية المؤمنين منها

ومثال آخر :

ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتحُ الغيب خمسٌ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ٣٤]» (أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٢٧).

فالرسول هنا فسر مفاتح الغيب الواردة في آية الأنعام بآية لقمان .

المطلب الثاني :المصدر الثاني : الحديث القدسي .

فيفسر النبي ﷺ الآية معتمداً على الأحاديث القدسية

ومثال ذلك تفسيره ﷺ لقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز و جل -وقوله الحق - إذا همّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها وإذا همّ بسيئة فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها بمثلها فإن تركها وربما قال لم يعمل بها فاكتبوها له حسنة ثم قرأ ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. [1]

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٦٥) برقم ٣٠٧٣،والحديث صححه الألباني ،ينظر: صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٥٧.

المطلب الثالث: المصدر الثالث: المشاهدات.

لقد شاهد النبي ﷺ مشاهدات عظيمة ومعالم عجيبة كما في قصة الإسراء والمعراج، فقد رأى السماوات السبع كلها رأي العين، ورأى الجنة والنار وما فيهما من العجائب والغرائب، كما في حديث حذيفة بن اليمان: أُتي رسول الله ﷺ بدابة طويل الظهر ممدود هكذا خطوه مد بصره، فما زايلا ظهر البراق حتى رأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع[(١)].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين أُريها النبي ﷺ ليلة أُسريَ به إلى بيت المقدس. قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ هي شجرة الزقوم.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[(٢)].

كما شهد الأنبياء الثمانية ووصفهم كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: حين أُسري بي لقيت موسى، قال: فنعته، فإذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الرأس كأنه من رجل شنوءة. قال: ولقيت عيسى قال: فنعيته، قال: ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام. ورأيت إبراهيم قال: وأنا أشبه ولده به[(٣)].

---

(١) سنن الترمذي، باب (ومن سورة بني إسرائيل) حديث رقم ٣١٤٧.

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٣٠٢) برقم ٣١٣٤.

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٣٠٠) برقم ٣١٣٠. وهو متفق عليه، صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة رقم ٣٢٠٧. وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله رقم ٤٦٢.

المبحث الثاني : أنواع التفسير النبوي للقرآن الكريم

ومن خلال استقراء النصف الأول من كتاب التفسير في سنن الترمذي استطعت أن أرسم هذا التصور لبيان صور التفسير النبوي للقرآن الكريم، وقسّمت ذلك لمطالب هي :

المطلب الأول : التفسير الصريح :

ومقصودي به : أن يصرح النبي ﷺ بتفسير آية أو جملة أو كلمة .

وتحت هذا المطلب عدة أنواع:

النوع الأول :أن يفسر الرسول ﷺ القرآن ابتداء (*).

وتحت هذا النوع أسلوبان :

الأسلوب الأول : أن يذكر الرسول ﷺ التفسير ثم يذكر الآية .

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليى أبي وخليل ربي ثم قرأ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية (٦٨) من سورة آل عمران(1).

(*) ومن لفت الانتباه لهذا التقسيم الجديد د/ مساعد الطيار في كتابه البديع: فصول في أصول التفسير ص ٢٧ .

(1) ومثال آخر :ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: "يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً. ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء: آية ١٠٤، إلى آخر الآية (أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب: (وكنت عليهم شهيداً ما دمت =

حدثنا محمود حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبيه عن أبي الضحى عن عبد الله عن النبي ﷺ مثله ولم يقل فيه عن مسروق.

قال أبو عيسى هذا أصح من حديث أبي الضحى عن مسروق [1] .

الأسلوب الثاني : أن يذكر الآية ثم يذكر التفسير .

ومثاله :ما ورد عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) قال:" إنكم تتمّون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله هذا حديث حسن " . [2] [3] .

النوع الثاني : ما فسَّره النبي ﷺ جوابا لسؤال أو استيضاح من الصحابة .

وهذه الصورة تدخل تحت عنوان آخر وهو : بيان إشكال وقع للصحابة في فهم آية. فيلجأون لسؤال النبي عنها.وذلك أن غالب ما سأل

= فيهم) الآية، حديث رقم (٣٦٢٥) ٨/ ٢٨٦.

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٣) برقم ٢٩٩٥.

(2) ومثال آخر ما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ المطففين: آية ٦، حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"أ(خرجه البخاري في الصحيح، (واللفظ له) كتاب التفسير، باب: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ حديث رقم (٤٩٣٨) ٨/ ٦٩٦. ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة، حديث رقم (٢٨٦٢) ٤/ ٢١٩٥.).

(3) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٦) برقم ٣٠٠١.

عنه الصحابة النبي هو مما أشكل عليهم فهمه.

وأسباب هذه الإشكالات عدة أمور ، منها :

١ – التعارض –في الظاهر– مع بعض قواعد الشريعة .

ومثاله : آية سورة المائدة (١٠٥) " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ فظاهرها يتعارض مع قاعدة تبليغ هذا الدين وأنه مسئولية جميع المسلمين ؛ولذا استشكلها الصحابة فسألوا عنها النبي فبيّنها لهم .

عن أبي أُمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له :كيف تصنع بهذه الآية ؟ قال أيّة آية ؟ قلت: قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ قال :أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول ﷺ، فقال :بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ،حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ،وهوى متبعاً ،ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ،فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهنّ مثل القبض على الجمر، للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم،قال عبد الله بن المبارك وزادني غير عتبة قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب

قال الشيخ الألباني : ضعيف لكن بعضه صحيح [1] .

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٥٧) برقم ٣٠٥٨ صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٤٨.

٢- ذكر الآية لأمر غيبي .

وهذا أيضاً من أسباب سؤالات الصحابة للنبي ،وسبب الإشكال فيه واضح ؛لأنها من الأمور المغيبة التي ليس في مقدور البشر معرفتها بغير الوحي .

ومثاله : ما ورد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩]سئل عنها؟ قال: هي الشفاعة.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن و داود الزغافري، هو داود الأودي بن يزيد بن عبد الله -وهو عم عبد الله بن إدريس-.

قال الشيخ الألباني : صحيح [1] .

٣- المشقة المتوقعة من تطبيق ظاهر الآية

ومثال ذلك : ما حصل لهم من خوف من فهمهم لقوله تعالى : ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ (النساء: ١٢٣).

فقد خافوا من هذه الآية وما يترتب عليها من حساب ؛لأن منطوقها يبيّن أن الإنسان يحاسب على كل ما يعمل ،فبين لهم الرسول أن الحكم المستنبط من الآية صحيح، لكن هناك نصوص أخر تخفف من الحكم المترتب عليها .

عن أبي هريرة قال : لما نزل ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ شقّ ذلك

(1) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٣) برقم ٣١٣٧، صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٨.

على المسلمين فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال :"قاربوا وسددوا وفي كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها أو النكبة يُنْكبها."

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب [1] [2] .

ومثال آخر : ما ورد عن أمية أنها سألت عائشة عن قول الله تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤) وعن قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فقالت: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ ،فقال: هذه معاتبة الله العبد فيما يصيبه من الحمى والنكبة ،حتى البضاعة يضعها في كم قميصه فيفقدها فيفزع لها، حتى إن العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة [3] .

---

(1) ومثال آخر :ما أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾... الآية، الأنعام: آية ٨٢ قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بشرك. أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: آية ١٣ .
أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب التفسير، باب: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ حديث رقم (٤٦٢٩) ٨/ ٢٤٩، وأخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (١٩٧) ١/ ١١٤.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٤٧) برقم ٣٠٣٨.

(3) سنن الترمذي (٥ / ٢٢١) برقم٢٩٩١.

٤- وجود الألفاظ المحتملة أكثر من معنى.

ومثاله : الإشكال الذي وقع لأحد الصحابة- وهو عدي بن حاتم- في فهم المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود هل هو المتبادر إلى الذهن من الخيوط المعروفة أو هو أمر آخر، وذلك لتطبيق حكم متى يبدأ الصيام المستفاد من قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ (البقرة: ١٨٧).

عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول الله ﷺ عن الصوم فقال: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ قال: فأخذت عقالين، أحدهما أبيض ،والآخر أسود ،فجعلت أنظر إليهما ،فقال لي رسول الله ﷺ شيئا لم يحفظه سفيان، قال: إنما هو الليل والنهار ".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح [1] .

٥- وجود القيد الذي تحمله الآية في تطبيق حكم .

ومثاله : الإشكال الذي حصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في ربط حكم قصر الصلاة في السفر بالخوف وهل هذا قيد أو وصف حال ؟

عن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب إنما قال الله: ﴿ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾ (النساء: ١٠١) وقد أَمِن الناس ،فقال عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال:" صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته".

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢١١) .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح[1] .

٦- احتمال معنى جديد لم يكن معروفاً عند الصحابة .

وذلك أن الألفاظ من دلالتها اللغوية معروفة عند الصحابة ؛لأن القرآن نزل بلغتهم ، ولكن هذه الألفاظ اكتسبت بعداً جديداً في معناها، وهو دلالتها على معانٍ شرعية .

ومن أمثلة ذلك :تفسير كلمة البشرى في سياق قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (يونس: ٦٤) فدلالة البشرى في اللغة العربية معروفة ، لكنها في هذا السياق لم يعلم الصحابة بمدلولها ،وذلك أنه يراد بها معنى جديد هنا غير المعنى العام للبشرى ،وهو الرؤيا الصالحة .

عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال : ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال : ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت فهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له.

حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح السمان عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء فذكر نحوه

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٤٢) برقم ٣٠٣٤، وقد صححه الألباني ،ينظر :صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٣٠.

عن أبي صالح عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ نحوه وليس فيه عن عطاء بن يسار

قال : وفي الباب عن عبادة بن الصامت [1] .

النوع الثالث :الترجيح بين أقوال الصحابة عند اختلافهم في فهم آية.

وذلك أن رسول الله يقوم بتفسير الآية عند اختلاف الصحابة في فهمها مرجحاً أحد الأقوال .

ومثاله: ما ورد عن أبي سعيد الخدري أنه قال : تمارى رجلان في المسجد" الذي أسس على التقوى من أول يوم" فقال رجل :هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:"هو مسجدي هذا".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عمران بن أبي أنس وقد روي هذا عن أبي سعيد من غير هذا الوجه ورواه أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه .

قال الشيخ الألباني : صحيح

وقد جاء تفصيل أكثر لهذا الخلاف في رواية أحمد

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اختلف رجلان، أو امتريا. رجل من بني خدرة، ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى. فقال الخدري: هو

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٦) برقم ٣١٠٦.

مسجد رسول الله ﷺ. وقال العمري: هو مسجد قباء. فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال: "هو هذا المسجد". لمسجد رسول الله ﷺ... الحديث [1] [2].

(1) رواه أحمد في مسنده : ٣/ ٢٣، والترمذي في السنن، أبواب الصلاة، باب: (ما جاء في المسجد الذي أُسس على التقوى) حديث رقم (٣٢٣) ٢/ ١٤٤، وينظر :صحيح الترمذي، حديث رقم (٢٦٦) ١/ ١٠٣.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣٠٩٩، صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٥.

المطلب الثاني : التفسير النبوي غير الصريح :

وهو أن يذكر رسول الله في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية .

و هذا النوع من التفسير –تفسير نبوي – ؛ لأن كل ما قاله رسول الله ﷺ بيان للقرآن الكريم كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]" [(١)].

والمراد بهذا الوجه أو الصورة: أن يرد في كلامه ﷺ ما يصلح أن تفسّر به الآية، مع أن الآية لم يرد لها ذكر في حديثه ﷺ .

وبهذا التعريف ينبغي أن يدخل تحت التفسير النبوي ،إلا أنه ليس تفسيراً نبوياً صريحاً.

ومثاله ما ورد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :"أبغض الرجال

(١) وهذا النوع وهو التفسير النبوي غير الصريح يمكن للناظر في السنة بتأمل أن ينزل بعض الأحاديث على بعض الآيات لبيان أو تأكيد معناها أو شرح غامض، أو تقييد مطلق ، أو تخصيص عام أو غيرها من دلالات الألفاظ . وهذا نوع من التفسير لنظر المفسر واجتهاده تعلق فيه، حيث إن المفسر قد يقف على بعض الأحاديث فيحمل الآية عليها .وكلما كان المفسر أكثر عمقاً في فهمه للقرآن وإحاطته بالسنة كلما كان اجتهاده أكثر في توظيف أحاديث الرسول في تفسير القرآن.

وهذا الوجه يعتمد على استنباطات الصحابة والتابعين والمفسرين وتطبيقاتهم على أقوال النبي ﷺ ،

ويندرج تحت هذا أنواع متعددة ، تحتاج إلى استقراء أحاديث النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته لاستنباط ما يصلح أن يكون تفسيراً للقرآن ،وما أكثر هذا ،وهو باب بكر لا يزال مجالاً واسعاً للبحث والدراسة.

إلى الله الألد الخصم ".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن [1][2] .

فهذا الحديث يصلح أن يكون تفسيراً لقوله تعالى :" ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ سورة البقرة فهذا الحديث تأكيد لمعنى الآية ؟.

وقد يرد في كلامه ﷺ إشارات تصلح أن تكون تفسيراً للآية بذكر تفاصيل لبعض الأحداث التي وردت

ومثال ذلك : هذا الحديث الذي جاء فيه وصف للبراق الذي أسري به النبي ﷺ وهذا فيه تفصيل لما جاءت الإشارة إليه في سورة الإسراء في قوله تعالى : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾سورة الإسراء آية[1] [3] .

---

(1) ومثال آخر : حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه. إلا مريم وابنها". ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ آل عمران: آية ٣٦(أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ حديث رقم (٤٥٤٨) ٨/ ٢١٢. ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل. حديث رقم (٢٣٦٦) ٤/ ١٨٣٨.)

فقد ربط أبو هريرة بين الآية وبين الحديث. حيث جعل الحديث مبيناً للمراد بالإعاذة في الآية لمريم وذريتها.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢١٤) برقم ٢٩٧٦.

(3) سنن الترمذي (٥ / ٣٠١) برقم ٣١٣١.

عـن أنـس : أن النبـي ﷺ أتي بـالبراق ليلـة أسري بـه ملجـماً مسرجـاً فاستصعب عليه فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا ؟ فما ركبك أحـد أكـرم على الله منه ، قال: فارفض عرقاً"

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق. [1]

(1) سنن الترمذي (٥ / ٣٠١) برقم ٣١٣١،وقد صححه الألباني ،ينظر: صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٣.

الفصل الثاني : منهاج النبي ﷺ في التفسير

وفيه أربعة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: بيانه ﷺ معنى لفظة أو تركيب أو آية.

المبحث الثاني: تعيين المبهم.

المبحث الثالث: التفسير بالمثال.

المبحث الرابع: بيان من نزلت فيه الآية.

المبحث الخامس:أن يذكر الرسول ﷺ معنى زائداً على ما في الآية.

المبحث السادس:أن يذكر رسول الله في كلامه ما يؤكد معنى الآية.

المبحث السابع: أن يذكر سبب نزول آية.

المبحث الثامن:تفسير الآية بتطبيقها.

المبحث التاسع:تصحيح مفهوم أو بيان إشكال.

المبحث العاشر: بيان أمور مما لم يكن معروفا دلالتها.

المبحث الحادي عشر:حل إشكال أو قضية وقعت لأحد الصحابة.

المبحث الثاني عشر: الإجابة على أسئلة التحدي التي يثيرها أهل الكتاب.

المبحث الثالث عشر: ذكر التفسير دون ذكر الآية.

المبحث الرابع عشر: بيان سبب القصة.

المبحث الأول : بيانه ﷺ معنى لفظة أو تركيب أو آية :

من أهم ضروب منهاج النبي ﷺ في التفسير بيانه لألفاظه وتراكيبه .

ومن أمثلة بيانه للمفردات ،بيانه لمعنى كلمة **"مشهوداً"**:

عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٨) قال : "تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار ".

قال : هذا حديث حسن صحيح [1] .

ومن أمثلة بيانه لتركيب :

بيانه ﷺ لقوله تعالى: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ في آية سورة الحجر فكلمة "سبع" معروفة، وكلمة "المثاني" معروفة عند العرب، لكن هذا المركب الإضافي ليس معروفا عند من نزلت فيهم .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :"الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني ".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح [2].

ومثال بيانه لآية:

ما جاء في تفسيره لقوله تعالى :﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم

(1) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٢) برقم ٣١٣٥.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٧) برقم ٣١٢٤ ، وقد صححه الألباني ،ينظر :صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٩٨.

بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فقد أفاض رسول الله ﷺ في شرحها.

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :"إن للشيطان لمّة بابن آدم، وللملك لمّة، فأما لمّة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ،وأما لمّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص [١] .

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢١٩) برقم ٢٩٨٨.

المبحث الثاني : تعيين المبهم .

ومن أمثلته:

بيانه ﷺ للمسجد المقصود في قوله تعالى ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

عن أبي سعيد الخدري أنه قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم؟ فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ :"هو مسجدي هذا ".

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث عمران بن أبي أنس وقد روي هذا عن أبي سعيد من غير هذا الوجه ورواه أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه . (1)

- ومثال آخر : تعيينه ﷺ من هم الرجال المقصودين في قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ (التوبة: ١٠٨).
- عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ قال: "كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم ".
- قال هذا حديث غريب من هذا الوجه.
- قال وفي الباب عن أبي أيوب و أنس بن مالك و محمد بن عبد الله بن سلام (2).

---

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣٠٩٩، وقد صححه الألباني ،ينظر :صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٥.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣١٠٠ ، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٦.

المبحث الثالث : التفسير بالمثال:

فيفسر الرسول ﷺ الآية بذكره مثالاً لها .

وهذا تفسير للآية ببعض أفرادها سواء بذكر مثال قولي أو تطبيق عملي.

ومثال تفسيره ﷺ بالمثال :

ما جاء في تفسيره ﷺ للفوز في قوله تعالى : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (آل عمران: ١٨٥) فقد ذكر مثالا من أمثلة ما يفوز به المسلم في الجنة .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: " إن موضع سوط في الجنة لخير من الدنيا وما فيها، اقرءوا إن شئتم ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ ".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح [1] .

ومثال تفسيره بمثال تطبيقي لبيان معنى الآية :

ما فعله رسول الله -حينما دخل الكعبة وهو يتلو هذه الآية -تطبيقاً لمعنى هذه الآية "قل جاء الحق وزهق الباطل "، ولاشك أن هذا مثال تطبيقي لمعنى الآية ،لأن الآية واسعة الدلالة .

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٣٢) برقم ٣٠١٣، وقد حسنه الألباني ،ينظر :صحيح سنن الألباني رقم ٢٤١١.

عن ابن مسعود قال : دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل النبي ﷺ يطعنها بمخصرة في يده - وربما قال بعود- ويقول ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١) ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (سبأ: ٤٩).

قال هذا حديث حسن صحيح وفيه عن ابن عمر .[1]

(١) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٣) برقم ٣١٣٨، وقد صححه الألباني ،ينظر :صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٩.

المبحث الرابع : بيان من نزلت فيه الآية .

ومثاله : ما ورد عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ قال: "كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم" .

قال هذا حديث غريب من هذا الوجه.

قال وفي الباب عن أبي أيوب و أنس بن مالك و محمد بن عبد الله بن سلام[1].

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣١٠٠، وقد صححه الألباني ،ينظر صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٦.

المبحث الخامس :أن يذكر الرسول ﷺ معنى زائداً على ما في الآية .

ومثاله : ما وردعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :"يا أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا ،وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون: ٥١) وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٧٢) قال: وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ،ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام فأني يستجاب لذلك؟" .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

فقد ذكر رسول الله هنا معنى زائداً على ما في الآية ،إذ معنى الآية يدل على وجوب أكل الطيبات وهو يشمل الحلال، والرسول ذكر هذا المعنى في تفسيره للآية، وزاد عليه ما يتعلق بهذا الأمر فيما يخص موانع إجابة الدعاء، وهي أكل الحرام ، وشربه، ولبسه. فالتفسير النبوي هنا زاد في تفصيل موانع الإجابة وبيان أثر الالتزام بهذا التوجيه [1] .

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٠) برقم ٢٩٨٩.

المبحث السادس :أن يذكر رسول الله في كلامه ما يؤكد معنى الآية .

ومثاله : ما ورد عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :"إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليى أبي وخليل ربي ، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(آل عمران: ٦٨) [1] .

- ومثال آخر :ما ورد عن أسماء بن الحكم الفزاري قال:" سمعت علياً يقول : إني كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا، نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر- وصدق أبو بكر- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي، ثم يستغفر الله إلا غفر له ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ ﴾(آل عمران: ١٣٥) إلى آخر الآية [2] .

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٣) برقم ٢٩٩٥. ، وصححه الألباني ينظر :صحيح سنن الترمذي رقم ٢٣٩٤.أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٢٩٢-٥٥٣).

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٢٨) برقم ٣٠٠٦.

المبحث السابع : أن يذكر سبب نزول آية .

ومثال ذلك :ما ورد عن أنس قال : كانت اليهود إذا حاضت امرأة منهن لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت فسئل النبي ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ (البقرة: ٢٢٢) فأمرهم رسول الله ﷺ أن يواكلهنّ ويشاربوهنّ، وأن يكونوا معهن في البيوت، وأن يفعلوا كل شيء ما خلا النكاح. فقالت اليهود : ما يريد أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه قال : فجاء عباد بن بشر و أسيد بن حضير إلى رسول الله ﷺ، فأخبراه بذلك وقالا : يا رسول الله أفلا ننكحهن في المحيض؟ فتمعّر وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه قد غضب عليهما فقاما فاستقبلتهما هدية من لبن فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهما فسقاهما فعلما أنه لم يغضب عليهما.

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح [1] .

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢١٤) برقم ٢٩٧٧. وأخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٢/ ٣٨٩ ح٦٢٣) من طريق الفضل بن الحباب عن مسدد به، قال محققه: إسناده حسن.وقال ابن حجر: جيد الإسناد (تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٨) وصححه الألباني في (صحيح الجامع برقم ٥٧٣٨).

المبحث الثامن: تفسير الآية بتطبيقها.

وذلك من أوجه التفسير العملية ،فيقوم الرسول بعمل تطبيقي يكون تفسيراً للآية

ومثاله ما ورد عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله.

حدثنا نصر بن علي حدثنا مسلم بن إبراهيم بهذا الإسناد نحوه .

قال أبو عيسى هذا حديث غريب وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال كان النبي ﷺ يحرس ولم يذكروا فيه عن عائشة [1].

عن ابن مسعود قال : دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصباً فجعل النبي ﷺ يطعنها بمخصرة في يده- وربما قال بعود- ويقول ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ (الإسراء: ٨١)

﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (سبأ: ٤٩).

قال هذا حديث حسن صحيح وفيه عن ابن عمر . [2]

---

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٥١) برقم ٣٠٤٦،وقد حسنه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم٢٤٤٠.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٣)برقم ٣١٣٨، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٥٠٩.

المبحث التاسع :تصحيح مفهوم أو بيان إشكال .

مثال بيان إشكال :

قد يبين الرسول إشكال تعارض الآية في الظاهر مع الواقع ومثاله حديث عمر رضي الله عنه .

عن عمر بن الخطاب قال : لما نزلت هذه الآية ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ (هود: ١٠٥) سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله فعلى ما نعمل ؟ على شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه ؟ قال بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسّر لما خلق له ".

هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث عبد الملك بن عمرو .[1]

فعمر هنا استشكل معنى هذه الآية الدال على أن البشر قد فرغ من مصيرهم فما فائدة العمل كما قال رضي الله عنه لشيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام ؟

- **أو لبيان المغيبات :**

ومثاله :ما ورد عن أبي سعيد : عن النبي ﷺ في قول الله عز و جل ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ (الأنعام: ١٥٨) قال: "طلوع الشمس من مغربها ".

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٩) برقم ٣١١١، وقد صححه الألباني ،ينظر :صحيح سنن الألباني رقم٢٤٨٦.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه [١]

عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال ثلاث إذا خرجن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾(الأنعام: ١٥٨) الآية الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب أو من مغربها.

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح و أبو حازم هو الأشجعي الكوفي واسمه سلمان مولى عزة الأشجعية. [٢]

ومثال آخر : بيان المراد بالمقام المحمود في قوله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩) سئل عنها؟ قال:" هي الشفاعة ".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن وداود الزغافري هو داود الأودي بن يزيد بن عبد الله وهو عم عبد الله بن إدريس. [٣]

ومن أمثلته : بيان المراد بالزيادة في قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ .

---

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٦٤) برقم ٣٠٧١، وقد صححه الألباني، ينظر :صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٥٥.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٦٤) برقم ٣٠٧٢، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم٢٤٥٦.

(3) سنن الترمذي (٥ / ٣٠٣)برقم ٣١٣٧، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم٢٥٠٨.

عن صهيب : عن النبي ﷺ في قول الله عز و جل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦) قال :"إذا دخل أهل الجنة نادى مناد إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا: ألم تبيض وجوهنا وتنجينا من النار وتدخلنا الجنة ؟ قال فيكشف الحجاب قال فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ".

قال أبو عيسى :حديث حماد بن سلمة هكذا روى غير واحد عن حماد بن سلمة مرفوعا وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله: ولم يذكر فيه عن صهيب عن النبي ﷺ. (١)

عن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨) قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم .

قال هذا حديث غريب من هذا الوجه.

قال وفي الباب عن أبي أيوب و أنس بن مالك و محمد بن عبد الله بن سلام . (٢)

عن البراء : عن النبي ﷺ في قول الله ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧)قال:" في

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٦) برقم ٣١٠٥، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم٢٤٨١.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٠) برقم ٣١٠٠، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٧٦.

القبر إذا قيل له من ربك، وما دينك، ومن نبيك ؟ "

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. (١)

عن مسروق قال : تلت عائشة هذه الآية ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾(إبراهيم: ٤٨) قالت يا رسول الله فأين يكون الناس ؟ قال على الصراط قال هذا حديث حسن صحيح

وروي من غير هذا الوجه عن عائشة. (٢)

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٥)برقم ٣١٢٠، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٩٥.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٦)برقم ٣١٢١، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٩٦.

المبحث العاشر: بيان أمور غير معروفة الدلالة.

فكلمة "البشرى" معروف معناها في لغة العرب ، لكن المراد بها في هذه الآية مما يخفى على الصحابة فسألوا عنه.

عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (يونس: ٦٤) قال : ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ فقال : ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت فهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له.

حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح السمان عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء فذكر نحوه .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ،حدثنا حماد بن زيد ،عن عاصم بن بهدلة، عن أبي صالح عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ نحوه وليس فيه عن عطاء بن يسار.

قال : وفي الباب عن عبادة بن الصامت [1] .

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٦)برقم ٣١٠٦.

المبحث الحادي عشر :حل إشكال أو قضية وقعت لأحد الصحابة .

عن أبي هريرة قال : لما نزل ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ (النساء: ١٢٣) شقّ ذلك على المسلمين، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال:" قاربوا وسددوا، وفي كل ما يصيب المؤمن كفارة حتى الشوكة يشاكها أو النكبة ينكبها".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .[1]

فالرسول في تفسيره لهذه الآية أزال الإشكال الذي فهمه الصحابة من الشرط والجزاء الذي دلت عليه الآية بأن الإنسان محاسب على مايعمله، فذكر أنه يرفع ذلك ما يصيب الإنسان من مصائب حتى ولو كانت صغيرة.

عن أبي بكر الصديق قال : كنت عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٢٣) فقال رسول الله ﷺ :"يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي ؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فأقرأنيها ،فلا أعلم إلا أني قد كنت وجدت انقصاماً في ظهري، فتمطّأت لها ،فقال رسول الله ﷺ :ما شأنك يا أبا بكر ؟ قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأيّنا لم يعمل سوءاً وإنا لمجزون بما عملنا؟ فقال رسول الله ﷺ: أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٤٧) برقم ٣٠٣٨، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٣٣.

الدنيا، حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب .وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة ".

قال أبو عيسى هذا حديث غريب وفي إسناده مقال موسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد و أحمد بن حنبل ومولى ابن سباع مجهول وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح أيضا وفي الباب عن عائشة

قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب [1] .

عن علقمة و الأسود عن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني عالجت امرأة في أقصى المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، وأنا هذا فاقض في ما شئت. فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك. فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ شيئا ،فانطلق الرجل ،فأتبعه رسول الله ﷺ رجلاً فدعاه فتلا عليه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ (هود: ١١٤) إلى آخر الآية، فقال رجل من القوم : هذا له خاصة ؟ قال : لا بل للناس كافة ".

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وهكذا روى إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن علقمة و الأسود عن عبد الله عن النبي ﷺ نحوه[2].

عن أبي اليُسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً فقلت :إن في البيت تمراً أطيب منه، فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٤٨) برقم ٣٠٣٩.وقد ضعف إسناده الألباني

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٨٩) برقم ٣١١٢.

ذلك له. قال: استر على نفسك وتُبْ ولا تخبر أحداً، فلم أصبر، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال :"أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟! حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة حتى ظن أنه من أهل النار ؟ قال وأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحى الله إليه ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ إلى قوله: ﴿ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ قال أبو اليسر فأتيته فقرأها علي رسول الله ﷺ فقال أصحابه :يا رسول الله ألهذا خاصة أم للناس عامة ؟ قال:" بل للناس عامة". وهذا حديث حسن صحيح.

قال وروى شريك عن عثمان بن عبد الله هذا الحديث مثل رواية قيس بن الربيع قال: وفي الباب عن أبي أمامة و واثلة بن الأسقع و أنس بن مالك [١] .

عن ابن مسعود : أن رجلا أصاب من امرأة قبلة حرام فأتى النبي ﷺ فسأله عن كفارتها فنزلت: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ فقال الرجل ألي هذه يا رسول الله ؟ فقال: "لك ولمن عمل بها من أمتي ".

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح [٢] .

---

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٢) برقم ٣١١٥،وقد حسنه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٨٩.

(2) سنن الترمذي (٥ / ٢٩١) برقم ٣١١٤، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٨٨.

المبحث الثاني عشر: الإجابة على أسئلة التحدي التي يثيرها أهل الكتاب

كما حصل من اليهود حينما أرادوا تحدي رسول الله بإحراجه بسؤالات عن أمور من المغيبات في الماضي أو في أمور كونية .

عن ابن عباس قال : أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا :يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال:" ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع ؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا :صدقت فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال :اشتكى عرق النسا فلم يجد شيئا يلائمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها قالوا صدقت "

قال هذا حديث حسن غريب . [1]

(1) سنن الترمذي (٥ / ٢٩٤) برقم ٣١١٧، وقد صححه الألباني ،ينظر : صحيح سنن الألباني رقم ٢٤٩٢.

المبحث الثالث عشر: ذكر التفسير دون ذكر الآية:

وبذلك يصلح الحديث لتفسير عدة آيات كما في بيان الحشر في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم، قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: إن الذين أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[٢].

فقد ورد ذكر الحشر في عشرات الآيات، وكذلك ذكر جهنم والنار، فقد ورد ذكره في مئات الآيات، وقد بينها حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سلّ السيف على أمتي، أو قال: على أمة محمد.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول[٣].

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٣٠٥) برقم ٣١٤٢.

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٢٩٧) برقم ٣١٢٣.

المبحث الرابع عشر: بيان سبب القصة:

وهذا المنهج فريد من نوعه كما في حديث ابن عباس:

أن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب بني إسرائيل ليس بموسى صاحب الخضر قال كذب عدو الله سمعت أبي بن كعب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول قام موسى خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم ،فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ،فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب فكيف لي به؟ فقال له: احمل حوتا في مكتمل فحيث تفقد الحوت فهو ثَمَّ، فانطلق وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون ويقال يوسع، فجعل موسى حوتاً في مكتل فانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة فرقد موسى وفتاه فاضطرب الحوت في المكتل حتى خرج من المكتل فسقط في البحر، قال وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق، وكان للحوت سرباً وكان لموسى وفتاه عجباً، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، ونسي صاحب موسى أن يخبره فلما أصبح موسى ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]قال :ولم ينصب حتى جاوز المكان الذي أمر فيه ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال موسى ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ قال: فكانا يقصان آثارهما قال سفيان يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة ولا يصيب ماؤها ميتا إلا عاش قال وكان الحوت قد أكل منه فلما قطر عليه الماء عاش قال فقصا آثارهما

حتى أتيا الصخرة فرأى رجلاً مسجى عليه بثوب، فسلم عليه موسى فقال أنى بأرضك السلام ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل ؟ قال: نعم قال يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه فقال موسى ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ قال له الخضر ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ قال نعم فانطلق الخضر وموسى يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلماه أن يحملوهما فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل وإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله قال له موسى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ قال وهذه أشد من الأولى ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [يقول مائل] فقال الخضر بيده هكذا ﴿فَأَقَامَهُۥ ﴾ ف ﴿قَالَ ﴾ له موسى قوم أتيناهم

فلم يضيفونا ولم يطعمونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ قال رسول الله ﷺ يرحم الله موسى لوددنا أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال و قال رسول الله ﷺ الأولى كان من موسى نسيان، قال وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر ،فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر. قال سعيد بن جبير وكان يعني ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا .

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ وقد رواه أبو إسحاق الهمداني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ[1].

قال أبو عيسى سمعت أبا مزاحم السمرقندي يقول سمعت علي بن المديني يقول حججت حجة وليس لي همة إلا أن أسمع من سفيان يذكر في هذا الحديث الخبر حتى سمعته يقول حدثنا عمرو بن دينار وقد كنت سمعت هذا من سفيان من قبل ذلك ولم يذكر فيه الخبر

قال الشيخ الألباني : صحيح

فهذا الحديث يبين لنا سبب ذهاب موسى إلى مجمع البحرين ولم يذكر

(١) سنن الترمذي (٥/ ٣٠٩) برقم ٣١٤٩.

ذلك في القرآن الكريم وإنما في السنة النبوية[١].

إن هذه المنهجية النبوية كان لها الأثر العظيم في تفاسير الصحابة والتابعين فهم الذين رووا هذه الأحاديث واستفادوا من ذلك المنهج وقاسوا عليه وتفاسيرهم حافلة بذلك.

(١) أفدت هذا المصدر من فضيلة أ.د.حكمت بن بشير بن ياسين. في محاضرة له بعنوان : الاستنباطات المبتكرة من معجزة الاسراء والمعراج ،محاضرة في جامعة الملك عبدالعزيز بتاريخ ٢٤/ ٥/ ١٤٣١هـ

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ،

فقد وقفت في بحثي هذا في دراستي لكتاب التفسير من سنن الإمام الترمذي على معالم هامة في التفسير النبوي من حيث أنواعه ،ومصادره ، والمنهاج النبوي في التفسير وأوجه التفسير النبوي ، مما يؤكد أهمية العناية بهذا المصدر من مصادر التفسير ،لقيمته العالية فهو يعتمد على الأصل الثاني من أصول الشريعة .

وهذه الدراسة التطبيقية يمكن أن نخرج منها بعدة نتائج ،من أهمها :

١- أهمية التفسير النبوي كمصدر أصيل يجب أن يكون أمام أعين أي مفسر لكلام الله قبل أن يخوض فيها برأي أو اجتهاد.

٢- أهمية استقراء دواوين السنة النبوية للخروج بأمرين هامين، هما :

أولاً: تفسير النبي ﷺ للقرآن ،وهذا على كل الأنواع التي ذكرناها، وخاصة التفسير النبوي غير الصريح ،فهذا مجال لا يزال يحتاج إلى دراسات متعددة،وهو مجال خصب للبحث بشكل مشاريع موسوعية تجرد كتب السنة وتستقرؤها ،للخروج بتفسير نبوي للقرآن كله وسيكون هذا التفسير عالي القيمة ،وهذا المشروع يحتاج إلى أمرين :الاستقراء الحاصر ،والمكنة العلمية للمستقرئ لأصول التفسير واستحضاره واستظهاره للقرآن الكريم .

ثانيا: أصول التفسير النبوي من خلال التفسير النبوي للآيات، ولاشك أن هذا سيكون له القيمة العالية لأن النبي أصّل لطريقة التفسير تطبيقاً ،وهذا التطبيق يحتاج إلى فهم دقيق واستيعاب لأصول

التفسير للخروج بأصول التفسير النبوي.

٣- أن المحدثين الذين جمعوا في دواوينهم التفسير النبوي كالبخاري والترمذي والنسائي يعدّون مفسرين من الطراز الأول – إن صح التعبير- وخاصة في التفسير النبوي غير الصريح ،وقد ظهر لي هذا في استقرائي لما ذكره الترمذي في كتاب التفسير ،بحيث إنه جمع في كل سورة ما يرى أنه يصلح أن يكون تفسيراً لها وإن لم يكن تفسيرا صريحاً، وهذا ملحظ هام محل بحث ودراسة .

فهرس أهم المراجع والمصادر

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- إعلام الموقعين، لابن القيم، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل- بيروت ١٩٧٣م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث – القاهرة.
- التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، تعليق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.
- التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ.د.حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، ١٤٢٠هـ.
التفسير النبوي، خصائصه ومصادره، د. محمد عبدالرحيم محمد. مكتبة الزهراء، ط الأولى ١٤١٣هـ.
- التفسير النبوي، مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح، خالد الباتلي، دار كنوز أشبيليا – الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.
- تفسير النسائي، تحقيق: صبري الشافعي، وسمير الجليمي. مكتبة السنّة- القاهرة- ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: د/ عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي. تحقيق د/ عبدالله التركي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- الجوهر المنظوم في التفسير بالمرفوع من كلام سيد المرسلين والمحكوم

للعلامة محمد بن عقيلة (رسالة دكتوراه) دراسة وتحقيق: د.هند بنت إبراهيم التويجري، إشراف أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين، ١٤٢٩هـ.

- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية.جمع وتقديم وتحقيق محمد السيد الجليند ،مؤسسة علوم القرآن ،سوريا ،دمشق ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- دور الحديث النبوي في التفسير الموضوعي والتفسير التحليلي، صبري المتولي.
- الرسالة، الشافعي. تحقيق :أحمد شاكر ،مكتبة دار التراث ،القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ
- سنن الترمذي، الإمام الترمذي.تحقيق أحمد محمد شاكر دار احياءالتراث العربي، بيروت.
- سنن سعيد بن منصور، دراسة وتحقيق: د. سعد بن عبدالله الحميد، دار الصميعي – الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط الثانية ١٤٢١هـ.
- صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام، الرياض، ط الثانية ١٤٢١هـ.
- الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن الكريم، أبو محمد السيد إبراهيم بن أبو عمه، دار الصحابة للتراث – مصر، ط١، ١٤١٠هـ.
- صحيح سنن الترمذي، الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الجزء الثالث.

- فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر، الدولي- الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد.ط:المصرية .
- المستدرك على الصحيحين، الإمام محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المعتمد من المنقول فيما أوحي إلى الرسول ﷺ، بهاء الدين حيدر بن علي القاشي، تحقيق: د. فيصل بن جعفر بالي، د.محمد ولد حبيب، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤٢٠ه.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمدعبدالعظيم الزرقاني. طبعة :دار الفكر.
- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي.شرح عبدالله دراز وآخرين، نشر دار الكتب العلمية ،بيروت

- **المجلات:**
- مجلة الأزهر، العدد (٣)، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ.
- مجلة البحوث والدراسات الفقهية، تصدر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد الأول، محرم ١٤٢٧هـ.
- مجلة الوعي الإسلامي، العدد (١٩٩)، رجب ١٤٠١هـ.

رسالة مفيدة

في بيان موضوع علم التفسير وتعريفه واستمداده وغايته

تأليف

محمد بن خليفة بن صدر المدرسين الشيخ سعد الدين المرحومي الشوبري

(ت بعد ١٠٨٢هـ)

تحقيق ودراسة

إعداد:

د. تركي بن سعد بن فهيد الهويمل

د. تركي بن سعد بن فهيد الهويمل

- **الأستاذ** المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه – كلية أصول الدين ـــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصل على درجة الماجستير من قسم القرآن الكريم وعلومه – كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (ترجيحات الشنقيطي في أضواء البيان من أول سورة مريم إلى نهاية سورة المؤمنون).
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن الكريم وعلومه – كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (خواص القرآن الكريم ـ دراسة نظرية تطبيقية)

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين... أما بعد:

فإن من أجل العلوم وأشرفها، بل أجلّها وأرفعها علم التفسير، الذي هو تبيين معاني كلام الله – عز وجل – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وقد يسَّر الله – عز وجل – أن وقفت على مخطوطة قيمة، ورسالة لطيفة في بيان معنى التفسير لغة وعرفاً، وبيان النسبة بينه وبين التأويل، وذكر موضوعه، وغايته، واستمداده، وبيان الحاجة إليه، وشرفه، وهي بديعة في موضوعها وعرضها، واضحة المعنى، جيدة الصياغة، تشبه في سبكها متون المتأخرين، وتشتمل على جملة من المعارف المعينة على فهم القرآن الكريم وتفسيره، ومعرفة معانيه وأحكامه، فاستخرت ثم استشرت، ثم عزمت وعلى الله ربي توكلت في دراسة وتحقيق هذه الرسالة، وإخراجها للباحثين، خدمة لتراثنا الرصين، ونهوضاً بهمة المستفيدين، وتقديمها في صورة تتيح الإفادة منها في يسر وسهولة، فلله الحمد رب العالمين.

وجعلت العمل في هذه المخطوطة على قسمين:

القسم الأول: القسم الدراسي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

المطلب الثاني: مكانته العلمية.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المطلب الرابع: وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلَّف (المخطوط)، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم المخطوط، ونسبته إلى مؤلفه.

المطلب الثاني: وصف المخطوط، ومكان وجوده.

المطلب الثالث: موضوع المخطوط، وقيمته العلمية.

القسم الثاني: النص المحقق.

- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.
- الفهارس العامة.

- **منهج التحقيق:**

اتبعت في تحقيق هذا المخطوط (الكتاب) المنهج الآتي:

- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع بيان أرقامها وعزوها إلى سورها.
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما، وإذا كان في غيرهما أخرجه من المصادر الأخرى المعتمدة، مع ذكر أقوال أهل العلم فيه والحكم عليه.
- تخريج الآثار الواردة في النص.
- الاعتماد في التحقيق على النسخة الفريدة التي سيأتي الكلام عنها.
- توثيق الأقوال والآراء المنسوبة إلى القائلين بها من مؤلفاتهم، أو من المصادر المعتمدة.
- ضبط الكلمات المشكلة والغريبة من مصادرها المعتبرة.
- شرح المفردات اللغوية الغريبة.
- التعليق بذكر ما يستدعيه المقام من مزيد بيان، أو إضافة مناسبة، تخدم النص المحقق أو تناقشه.
- التعريف بالأعلام غير المشهورين.
- كتابة النص حسب قواعد الإملاء والرسم المتعارف عليها في الوقت المعاصر.

هذا، وقد سرت على هذا المنهج من أجل إخراج النص كما أراده المؤلف، إخراجاً صحيحاً سليماً من الأخطاء اللغوية والإملائية، سائلاً المولى – عز وجل – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وفي خدمة كتابه، وسنة نبيه محمد ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

القسم الأول
قسم الدراسة

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّف
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن خليفة بن صدر المدرسين الشيخ سعد الدين المرحومي الشَّوْبَري الشافعي[(١)].

والشوبري: بفتح الشين المعجمة، وسكون الراء، وفتح الباء، وبعدها راء، نسبة إلى قرية بمصر[(٢)]. وهي من قرى مصر بالمنوفية[(٣)].

وفي كشف الظنون: «والشوبري: نسبة إلى «شوبر» قرية مصرية بالغربية»[(٤)].

المطلب الثاني: مكانته العلمية

جاء في ثبت شمس الدين البابلي (ت١٠٧٧هـ): «ومِن الآخذين على البابلي: الشيخ شمس الدين محمد بن خليفة الشوبري الشافعي.

أخذ عن الشمس الشوبري (ت١٠٦٩هـ)، والشمس البابلي، وكان معيد[(٥)] درسه، والمزَّاحي (ت١٠٧٥هـ)، روى وحدَّث وأفتى بالأزهر في

(١) اسم المؤلف كما ذكر في أول المخطوطة، وآخرها، وفي فهارس الكتب والمصنفات.

(٢) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبِّي ١/ ١٧٥.

(٣) ينظر: لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي ١/ ٩٨.

(٤) ينظر: كشف الظنون ١/ ١٥٢، وينظر للزيادة: هدية العارفين ٥/ ٢٨٧.

(٥) المعيد: هو الذي إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف، أعاد هو للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه. انظر: «صبح الأعشى» للقلقشندي ٥/ ٤٦٤.

حياة شيوخه»[١].

فهو معيد الدرس، وهذا يدل على مكانته عند شيخه، وتميزه بين أقرانه من طلاب العلم، وكان – أيضاً – يقرأ صحيح البخاري على شيخه، وفي إعادة الدرس، والقراءة على الشيخ ما يدل على منزلته وتمكنه، ورفعة شأنه في العلم والتحصيل في حياة شيوخه، فكيف بعد وفاتهم.

وفي خلاصة الأثر[٢]، في ترجمة سقر بن عمر المصري (ت١٠٢٦هـ) قال: «وأخذ عنه جمع من العلماء المحققين منهم: محمد بن خليفة الشوبري...»، ففي وصفه بالعالم المحقق ما يدل على مكانته في العلم.

وجاء في آخر المخطوطة وصفه بقوله: «خادم العلم الشريف بالجامع الأزهر عمره الله تعالى...» [٣].

وفي أولها: «الإمام العالم العلامة مفيد الطالبين...» [٤].

(١) ينظر: ثبت شمس الدين البابلي المسمى (منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد)، ويليه: المربَّى الكابُلي فيمن روى عن الشمس البابلي للزبيدي (ص٢٠٢). وينظر للزيادة: مقدمة مخطوطة للمؤلف بعنوان: «معنى الحديث الشريف رواية ودراية...» فقد اشتملت على توثيقات أفادت في ترجمة المؤلف، وفيها شيوخه، وسند المؤلف إلى البخاري، وسيأتي بيانها في مبحث مؤلفاته – إن شاءالله تعالى –.

(٢) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ١/ ١٥٠، وينظر للزيادة: مشيخة أبي المواهب الحنبلي (ص٦٠).

(٣) ينظر: آخر المخطوطة (لوحة ٢٣).

(٤) ينظر: غلاف المخطوطة.

المطلب الثالث: مؤلفاته

بعد النظر والمطالعة في فهارس الكتب والمصنفات، ومعاجم المؤلفين، نُسب للمؤلف الآتي ذكره:

١ – رسالة في بيان أقسام الحديث.

ورد ذكرها في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (الحديث النبوي) [١]، وذكروا أماكن وجودها في:

١ – جامعة الإمام محمد بن سعود ٣/ ١/ ٤٠٠ [٣٧٧٤] – (و٣٣أ – ٤٤أ) ضمن مجموع – ١١٥٤هـ.

٢ – الأوقاف/ بغداد ١/ ٢٤٦ [٤/ ١٠٢٩ مجاميع] – (و٥) ضمن مجموع – ١١٥٥هـ.

٣ – دار الكتب/ القاهرة (قسم حماية التراث) ١/ ٢٢٦ [١٥٣] – (٥و).

وقد قمت بالاطلاع على نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ووجدت بياناتها مطابقة لما ذكر في الفهرس الشامل، وهي رسالة تتحدث عن أقسام الحديث الضعيف وشروطه... إلخ.

٢ – رسالة في معنى الحديث:

ورد ذكرها في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (الحديث النبوي) [٢]، وذكروا مكان وجودها في:

---

(١) ينظر: الفهرس الشامل للتراث (مؤسسة آل البيت) ٢/ ٨٢٢.

(٢) ينظر: الفهرس الشامل للتراث (مؤسسة آل البيت) ٢/ ٨٤٦.

١ – تشستربتي ٦/ ١١١ [٤٨٣٠] – (و٢٤ب – ٤٢) ضمن مجموع – ١٠٨٢هـ، بخط المؤلف.

وقد قمت بالاطلاع عليها ضمن مصورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحصلت على نسخة منها، فوجدتها بنفس الرقم، وهي رسالة فيها تعريفات وتوثيقات، وذكر شيوخه، وسنده في صحيح البخاري، وقراءته على شيوخه، وبياناتها واضحة ومطابقة كما ذكر في الفهرس الشامل.

٣ – رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٣].

ورد ذكرها في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن) [(١)]، وذكروا مكان وجودها في:

١ – خزانة تطوان (ق.ع) ١٦٧ [٣٤٥/ ١٥ع] – ١٣و، ولم يتيسر الحصول عليها، أو النظر فيها من خلال الوسائل التي تعين على ذلك.

المطلب الرابع وفاته

بعد البحث والمراجعة لم أقف بالتحديد على سنة وفاته، ولكن الذي ورد في فهارس الكتب والمصنفات، وكتب المعاجم، وفهارس المخطوطات أنه كان حيًّا سنة (١٠٨٢هـ)، وذلك بناءً على تاريخ نسخ المخطوط الذي

(١) ينظر: الفهرس الشامل للتراث (مؤسسة آل البيت) – علوم القرآن ٢/ ٨٦٥، وينظر: فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم (فهرس مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) ٢/ ٨٥٢.

بخط يده سابقاً (رسالة في معنى الحديث)، وهو أمر محتمل، وعلى كل حال هذه الدلالة لا تفيدنا في تحديد سنة وفاته بدقة، ولكن بالنظر إلى ذلك وإلى تاريخ وفاة شيوخه: سلطان المزاحي (ت١٠٧٥هـ) والبابلي (ت١٠٧٧هـ) والشمس الشوبري (ت١٠٦٩هـ)، فيظهر لي أنه توفي في حدود العقد الثاني أو الثالث من القرن الثاني عشر، والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلَّف (المخطوط)
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم المخطوط، ونسبته إلى مؤلفه

كتب في صفحة العنوان (الغلاف): «رسائل مفيدة في بيان موضوع علم التفسير وتعريفه واستمداده وغايته، للإمام العالم العلامة مفيد الطالبين محمد بن خليفة بن صدر المدرسين الشيخ سعد الدين المرحومي الشوبري...».

وهذا العنوان صرَّح به المؤلف في اللوحة الأولى من المخطوط ولكن بالإفراد حيث قال: «أما بعد فهذه رسالة لطيفة في بيان معنى التفسير لغة وعرفاً، وبيان النسبة بينه وبين التأويل، وذكر موضوعه، وغايته، واستمداده، وبيان الحاجة إليه، وشرفه؛ لتكون على بصيرة فيه، فنقول وبالله التوفيق...»، فهنا رسالة وليست رسائل.

وجاء في آخر المخطوط ما نصه: «هذا ما تيسر لي في بيان معنى التفسير لغة وعرفاً، والنسبة بينه وبين التأويل، وبيان موضوعه، وغايته، واستمداده، والحاجة إليه، وشرفه، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، قاله العبد الفقير الحقير محمد بن خليفة بن صدر المدرسين الشيخ سعد الدين، خادم العلم الشريف بالجامع الأزهر عمَره الله تعالى...».

فيظهر من خلال ما تقدم في أول المخطوط، وآخره ثبوت اسم المخطوط، وثبوت نسبته إلى مؤلفه على وجه التصريح، والحمد لله رب العالمين.

فلذلك اخترت له هذا العنوان «رسالة مفيدة في بيان موضوع علم

التفسير وتعريفه واستمداده وغايته»، وتركت الأوصاف وبقية العنوان لوضوحه من العنوان المختار كما يظهر لنا من الغلاف وخاتمة النسخة.

وسيأتي مزيد من البيان في وصف المخطوط، ومكان وجوده في المبحث القادم – إن شاءالله تعالى –.

المطلب الثاني: وصف المخطوط، ومكان وجوده

بعد البحث والنظر لم أجد إلا نسخة واحدة فريدة لهذا المخطوط، وقد كتبت بخط نسخي واضح ومعتاد، وكتب على غلاف المخطوط عنوانها، واسم مؤلفها، وفي آخر صفحة الغلاف: وقف السيد محمد الدواخلي على جميع طلبة العلم، ومقره برواق الشوام، ونظره للسيد المحروقي.

وفي آخر لوحة من المخطوط ذكر ما نصه: «قاله العبد الفقير محمد بن خليفة بن صدر المدرسين الشيخ سعد الدين، خادم العلم الشريف بالجامع الأزهر عمَره الله تعالى...».

ولم يذكر الناسخ، ولا تاريخ النسخ.

وهذه النسخة تقع في ثلاث وعشرين (٢٣) لوحة، كل لوحة تشتمل على وجه واحد، وعدد الأسطر (٢١) سطراً، والمقاس ١٢ × ٢٢سم، وبعض العناوين مكتوب بالحمرة.

وتوجد هذه النسخة في جامعة هارفارد، تحت القيد رقم ٠٠٧٣٦٧٤٩٥

http://ocp.hul.harvard.edu/dl/ihp/٠٠٧٣٦٧٤٩٥

حيث ذكر فهرس جامعة هارفارد أن معها شرح الرحبية للسيوطي، وشرح بغية الطالب الحثيث في معرفة علم مصطلح الحديث لمحمد بن الشمني، وهي موجودة بعد مخطوطتنا ضمن مجموع – رقم (١٤٤٥٥).

المطلب الثالث: موضوع المخطوط، وقيمته العلمية

موضوع البحث في هذا المخطوط هو ما ذكره المؤلف في أوله بقوله: «فهذه رسالة لطيفة في بيان معنى التفسير لغة وعرفاً، وبيان النسبة بينه وبين التأويل، وذكر موضوعه، وغايته، واستمداده، وبيان الحاجة إليه، وشرفه...».

وتبرز قيمته العلمية في النقاط الآتية:

١ – أن المخطوط في نظري من المتون العلمية التي يحتاج إلى تدريسها وشرحها، كمقدمات التفاسير الأخرى التي يحتاج إليها المفسر قبل شروعه في التفسير، لاشتمالها على الموضوعات المتعلقة بالتفسير وعلومه.

٢ – أن من مصادر المؤلف أمهات كتب التفسير، وعلوم القرآن، وشروح كتب السنة، وكتب اللغة ومصادرها، فقد نقل المؤلف عن ابن الجوزي والأصفهاني، وأبي حيان، والبيضاوي، والكازروني، والزركشي، والسيوطي، وابن حجر، والقسطلاني، والجوهري، والفيروزآبادي، وغيرهم كما سيأتي بيانه في النص المحقق – إن شاءالله.

٣ – ظهور شخصية المؤلف فلم يقتصر على مجرد النقل؛ بل هناك إضافات علمية، وتعليق وشرح وبيان عند الحاجة لذلك، وقد ظهر ذلك عند مراجعة الإحالات على المصادر والكتب العلمية للعلماء الذين نقل عنهم،

وسيتبين ذلك جليًّا أثناء تحقق النص – كما سيأتي إن شاءالله تعالى-.

٤ – حسن تقسيم الموضوعات، مع جودة العرض والترتيب، وجودة الأسلوب.

٥ – اشتمال المخطوط على ذكر بيان الحاجة إلى علم التفسير، وشرفه، وهذه من العلوم التي يحتاجها عموم المسلمين، فضلاً عن طلبة العلم الشرعي المتخصصين، فهو خير معين بعد توفيق الله تعالى على فهم القرآن الكريم، وتدبره، وبيان معانيه والعمل به، وهذا أعظم مقصود في إنزاله على عباده المؤمنين، والحمد لله رب العالمين.

القسم الثاني
النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي نزل الكتاب تذكرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلم والحِكَمِ العجب العجاب، وجعله أجلّ الكتب قدراً، وأرفعها ذكراً، وأعذبها نظماً، وأغزرها علماً، وأبلغها في الخطاب، قرآناً عربيًّا غير ذي عوج لا شبهة فيه ولا ارتياب، أحمده حمداً يليق بجلاله، وأشكره على إنعامه وأفضاله، وأتوكل عليه، وإليه متاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي عنت لقيوميته الوجوه، وخضعت لعزته الرقاب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليله، المبعوث[1] من أكرم الشعوب، وأشرف الشعاب، إلى خير أمة بأفصح كتاب، اللهم صلِّ وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، وشيعته، ووارثيه، وحزبه السادة القادة الأئمة الأنجاب، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم المئاب، أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة في بيان معنى التفسير لغة وعرفاً، وبيان النسبة بينه وبين التأويل، وذكر موضوعه، وغايته، واستمداده، وبيان الحاجة إليه، وشرفه؛ لتكون على بصيرة فيه فنقول وبالله التوفيق.

التفسير لغة: الإبانة، وكشف الغطاء، نقول: فسَّرتُ الشيء، بالتشديد أفسِّرُه تفسيراً، إذا بيَّنته، وفَسَرتُ الشيء أفْسِرُه، وأفسِرُه من باب نَصَرَ وضَرَبَ،

(١) في الأصل (المنعوت) ولعل الصواب ما ذكرته أعلاه (المبعوث)، فهو المبعوث إلى خير أمة.

فَسراً، إذا كشفته/ ، وأظهرته، فهو مأخوذ من الفَسْر بمعنى الكشف. وقيل: من /٢
الفَسْر بمعنى نظر الطبيب إلى المريض ليتعرف خصوص علته. وقيل: من فَسرتُ الفرس إذا ركضتها محصورة لتطلق حَصَرها. وقيل: بل هو مأخوذ من التَّفْسِرة، وهي القارورة التي ينظر إليها الطبيب؛ ليتعرف منها حقيقة المرض، لكن يرد على هذا الأخير وإن نقله الجلال السيوطي[١] في التحبير[٢]، والإتقان[٣]، وأقره قول الجوهري[٤] في صحاحه[٥]: «أظن التَّفْسِرة مُوَلَّدة»[٦]. وعلى هذا

(١) هو: أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ، له نحو (٦٠٠) مصنف، منها: الدر المنثور، الإتقان في علوم القرآن، والجامع الصغير، وغيرها. توفي سنة (٩١١هـ). ينظر: الضوء اللامع ٤/ ٦٥، والكواكب السائرة ١/ ٢٢٧، والبدر الطالع ١/ ٣٢٨.

(٢) ينظر: التحبير في علم التفسير (ص٣٦)

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦١.

(٤) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، إمام في النحو واللغة والصرف، أخذ عن أبي علي الفارسي والسيرافي، يضرب بحسن خطه المثل. من مؤلفاته: الصحاح، وهو أعظمها، وله كتاب في العروض، توفي سنة (٣٩٨هـ)، وقيل غير ذلك. ينظر: إنباه الرواة ١/ ٢٢٩، والبلغة (ص٦٦)، وبغية الوعاة ١/ ٤٦٦.

(٥) ينظر: الصحاح ٢/ ٧٨، مادة (فسر).

(٦) ونص قول الجوهري في الصحاح: «الفَسْرُ: البيان. وقد فَسَرتُ الشيء أَفْسِرهُ بالكسر فَسْراً، والتفسير مثله. واستفسرته كذا، أي سألته أن يفسره لي، والفَسْرُ: نظر الطبيب إلى الماء، وكذلك التفْسِرَةُ، وأظنّه مُوَلَّداً». قلت: والمراد بقوله: «وأظنه مولداً». المولد في اللغة: اسم مفعول من التوليد، بمعنى إخراج شيء من شيء أصلي، وفي الاصطلاح العربي: هو لفظ استخرجه المولدون من اللغة الأصلية مع شيء من التصرف، وليس مستعملاً في كلام الأعراب. مثل البداية المأخوذة من البداءة. ويقال لهذا أيضاً =

لا يصح الاشتقاق منها. ثم الظاهر أن الفرق بين المأخذ الأول وما بعده، أن الأول لم ينظر فيه لمأخذ شيء خفي مدركه لأنه مأخوذ من مطلق الكشف والإظهار بخلافه على ما بعده فإنه منظور فيه إلى تعرف أمور خفية وهي حقيقة تلك العلة التي أريد كشفها فيحتاج إلى نظر وتدبّر، ومن ثم عرفه ابن الجوزي[1]: بأنه إخراج الشيء المعلوم الخفاء إلى مقام التجلي[2]. وقيل: أنه مأخوذ من السفر بتقديم السين نقول: أسفر الصبح إذا أضاء، وسَفَرت المرأة عن وجهها كشفته، فهو كقولهم: جذب وجبذ، فكما أن الجذب والجبذ واحد، فكذلك السفر والفسر. والحاصل أن معنى التفسير لغة يدور على الكشف والإظهار.

وأما اصطلاحاً فله إطلاقان: يطلق على ما يقابل التأويل، عند من فرق بينهما، وسيأتي بيانه.

= المستحدث والعامي. والمولدون هم جماعة من العجم ولدوا ونشأوا ونموا في بلاد العرب، أو العكس. والمولدون أيضاً: هم جماعة من العرب أو الأعراب اختلطوا بالأعاجم. والعرب يقولون لمثل هؤلاء المستعربة والمتعربة. وإنما إطلاق هذه الكلمة على المولد في اللغة أو الناس هو من باب المجاز. ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ٤/ ٣٠.

(١) هو: أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد التيمي البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الجوزي، علامة عصره، وإمام وقته في الحديث والوعظ، له مؤلفات كثير جداً، منها: المنتظم، والموضوعات، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، وزاد المسير، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن، وغيرها كثير. توفي سنة (٥٩٧هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ٦٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣٩٩.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ١/ ٤.

ويطلق على العلم المبين لكلام الله، الشامل لتفسيره وتأويله جميعاً، وله بهذا الإطلاق تعاريف، منها قول شيخ الإسلام[١]، في حواشي تفسير القاضي[٢]، تبعاً للعلامة/ السعد[٣]، في شرح الكشاف، علم التفسير: هو ٣/
العلم الباحث عن أحوال كلام الله عز وجل، من حيث الدلالة على المراد. فقوله: (العلم) جنس. وقوله: (الباحث عن أحوال كلام الله تعالى) فَصْلٌ أخرج الباحث عن أحوال غيره، كالفقه، والحديث، والنحو، وغيرها من سائر الموضوعات. وقوله: (من حيث الدلالة على المراد) أخرج ما يبحث فيه عن أحوال كلام الله تعالى، لا من حيث الدلالة المذكورة، بل من حيث الأداء، والسند، وكيفية النزول، فليست من علم التفسير، وإن توقف على تحريرها، لأنها من تعلق الرواية، والتفسير متعلق بالدراية. ولا يرد على هذا التقرير قوله عقبه تبعاً للعلامة السعد، فشمل التعريف التفسير أي: ما يتعلق بالرواية، والتأويل، أي: ما يتعلق بالدراية؛ لأن مراده بما يتعلق بالرواية ما دل على المراد بطريق الرواية عنه – صلى الله تعالى عليه وسلم –

(١) هو السيوطي.

(٢) هو البيضاوي أبوالخير، قاضي القضاة، عبدالله بن عمر البيضاوي الشاعي، كان إماماً عالماً باللغة وبالتفسير، تولى قضاء شيراز، من مصنفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، والمنهاج في الأصول، توفي سنة (٦٨٥هـ). ينظر: طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ١٥٧، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٤٢، وشذرات الذهب ٧/ ٦٨٥.

(٣) هو التفتازاني مسعود بن عمر التفتازاني، سعدالدين، عالم مشارك في النحو والبيان والفقه وغيرها، من مصنفاته: شرح تلخيص المفتاح، حاشية على الكشاف للزمخشري في التفسير، توفي سنة (٧٩٢هـ). ينظر: الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٠، البدر الطالع (ص٨٢١)، ومعجم المؤلفين ٣/ ٨٤٩.

وأصحابه، وبالدراية ما دل عليه بطريق الاستنباط، والأخذ من قواعد العلوم الموصلة إليه، ومنه عُلِمَ أن التفسير له إطلاقان كما مرّ، وعلم مما تقرر أن علم التفسير هو الباحث عن مدلولات ألفاظ القرآن المستفادة من اللغة، وأحكامها الإفرادية، والتركيبية، المستفادة من الصرف، والنحو، والبيان، والمعاني المتعلقة بالأحكام، من بيان المجمل والمبين، والمطلق والمقيد/ ، والعام والخاص، والعام المخصوص، والعام الذي أريد به الخصوص، وإيضاح المبهم، وما اشتمل منه على تقديم، وتأخير، وحذف، كآية الوضوء، ونحو ذلك، كأسباب النزول؛ لأن سبب النزول يعرف به معنى الآية المنزلة فيه، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[1] ، فإن نفي الجناح ظاهره الجواز المستوي الطرفين، مع إن أمر السعي دائر بين الركنية، كما قاله الإمام الشافعي[2]، والإمام مالك[3]، والوجوب، كما قاله الإمام أبو حنيفة[4]، والندب كما قاله

٤/

(١) سورة البقرة، رقم الآية (١٥٨).

(٢) هو: أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، الإمام، صاحب المذهب، فقيه الملة، القرشي المطلبي المكي، له عدد من المصنفات، منها: الأم، والرسالة، وغيرها، توفي سنة (٢٠٤هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٤/ ١٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥، وشذرات الذهب ٣/ ١٩.

(٣) هو: مالك بن أنس بن مالك المدني، أحد أئمة المذاهب الأربعة، إمام دار الهجرة، من أعلام الإسلام، من مؤلفاته: الموطأ، وغيرها، توفي سنة (١٧٨هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٤/ ١٣٤، وحلية الأولياء ٦/ ٣١٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٨.

(٤) هو: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، ولد بالكوفة سنة (٨٠هـ)، وبها نشأ، من أئمة =

الإمام أحمد[١]، والجواز المستوي لا يوافق واحداً منها، حتى إنه أشكل على عروة بن الزبير[٢] فسأل عائشة[٣] – رضي الله عنها – فقال لها: كيف يجب السعي والله يقول: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فقالت له عائشة: بئسما فهمت كلام ربك يا ابن أختي، فإن الله إنما نفى الجناح لأن المسلمين وجدوا في أنفسهم كراهية للسعي؛ لأن الجاهلية كانوا إذا سعوا تبركوا بصنم فوق الصفا يقال له إساف، وآخر فوق المروة يقال له نائلة، وأزالهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح فظن المسلمون أن السعي من آثار الجاهلية فلا ينبغي موافقتهم فيه، فنفى الله عز وجل ذلك بقوله: ﴿فَلَا

= الفقه، طلب للقضاء فامتنع، من مؤلفاته: الفقه الأكبر، وغيره، توفي ببغداد سنة (١٥٠هـ). ينظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣، ووفيات الأعيان ٥/ ٤٠٥.

(١) هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي، أبو عبدالله، إمام في الحديث والفقه، صاحب المذهب الحنبلي، توفي سنة (٢٤١هت). ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٠، وسير أعلام النبلاء: ١/ ١٧٧.

(٢) هو: عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي الأسدي، أبو عبدالله المدني، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهم –، وهو أحد الفقهاء السبعة، توفي سنة (٩١هـ)، وقيل غير ذلك. ينظر: تهذيب التهذيب ٣/ ٩٢، وشذرات الذهب ١/ ٣٨٢.

(٣) هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنها وعن أبيها – دخل بها النبي ﷺ في شوال سنة اثنتين من الهجرة، ولم يتزوج بكراً سواها، توفيت سنة (٥٧هـ). ينظر: أسد الغابة ٧/ ١٨٨، الإصابة ٧/ ١٨٨، والحديث بين عروة وعائشة – رضي الله عنهما – عند البخاري في كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، رقم الحديث (١٦٤٣)، وعند مسلم في كتاب الحج، رقم (١٢٦٢).

﴿ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾، وعبر به موافقة للسبب. والمراد بنفي الجناح الجواز الصادق بالوجوب والركنية في الحج لا المقابل لهما كما دل على ذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استقبل القبلة في السعي/ وقال: /٥
(يا أيها الناس اسعوا، فإن السعي قد كتب عليكم) [(١)]. ففهم منه الإمام مالك والشافعي الركنية، وفهم منه الإمام أبو حنيفة الوجوب. قال القاضي: وأخذ الإمام أحمد بظاهر الآية، فقال بسنيته، وبه قال أنس[(٢)]، وابن عباس[(٣)]؛ لأن قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ يفهم منه التخيير. قال القاضي: وهو ضعيف لأن نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه، انتهى[(٤)]. وهذا التعريف المتقدم، تعقبه الشهاب أحمد بن

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد (٢٧٤٧٥، ٢٧٤٧٤) – ٦/ ٤٢١، والدارقطني ٢/ ٢٥٥، والطبراني في الكبير ٢٤/ ٢٢٦، رقم (٥٧٣)، وفي إسناده الواقدي، وهو متروك. وينظر: العلل لابن أبي حاتم ١/ ٢٦٩، وفي رواية أخرى في المسند ٢٧٥٧٠ – ٦/ ٤٣٧ «كتب عليكم السعي، فاسعوا» وفي إسناده ضعف؛ لضعف موسى بن عبيدة.

(٢) هو: أنس بن مالك بن النضر من بني النجار، أبو حمزة الأنصاري – رضي الله عنه –، صحابي جليل، خادم رسول الله ﷺ، توفي سنة (٩٣هـ). ينظر: أسد الغابة ١/ ١٥١، والإصابة ١/ ٢٥٣.

(٣) هو: عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب – رضي الله عنهما – حبر الأمة، وإمام التفسير، ابن عم رسول الله ﷺ، صحابي جليل، دعا له النبي ﷺ بالفقه في الدين، توفي سنة (٦٨هـ). ينظر: أسد الغابة ٣/ ٢٩٠، الإصابة ٢/ ٣٣٠.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل ٢/ ٢٣٠ للقاضي البيضاوي. وينظر للزيادة: المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٢٢٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٦٩.

عبدالحق[١] في شرح نقاية العلوم، فقال: إن فيه قصوراً، والأولى أن يقال هو العلم الباحث عن أحوال كلام الله من جهة إنزاله وسنده، وأدائه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بألفاظه، ومعانيه المتعلقة بالأحكام، وما هو كالتتمة له كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ. انتهى[٢].

ووجه قصوره أن الثلاثة الأول وهي إنزاله وسنده وأداؤه خارجة بحيثية الدلالة على المراد، إذ لا دلالة له فيها كما علم مما مر، وقد يجاب بأن من ذَكَر المتعلق بالنزول في التعريف نظر إلى توقفه على تحريرها، والنطق بها على الصواب الذي وردت به الرواية، ومن أسقطها منه نظر إلى أن ذلك على وجه الشرطية فقط لا لكونه جزءاً من علم التفسير. وعرفه البدر الزركشي[٣] رحمه الله تعالى في البرهان[٤] بقوله: «التفسير علم يفهم به كتاب

(١) هو: أحمد بن أحمد عبدالحق السنباطي، المصري، الشافعي، شهاب الدين، عالم مشارك في أنواع من العلوم، من تصانيفه: شرح البسملة لزكريا الأنصاري، روضة الفهوم بنظم نقاية العلوم للسيوطي، ثم شرحه وسماه فتح الحي القيوم بشرح روضة الفهوم والنقاية، وغيرها، توفي سنة (٩٩٥هـ). ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، وإيضاح المكنون للبغدادي ١/ ٩٥.

(٢) بعد البحث والمراجعة لم أقف عليه في مظنته.

(٣) هو: بدر الدين أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي الشافعي، العلامة المصنف المحرر، انقطع للاشتغال بالعلم، ورحل في طلبه – أيضاً –، من مصنفاته: البحر في أصول الفقه، والنكت على البخاري، وشرح جمع الجوامع للسبكي، توفي سنة (٧٩٤هـ). ينظر: الدرر الكامنة ٤/ ١٧، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٥٧، ١٥٨، وشذرات الذهب ٨/ ٥٧٢، ٥٧٣.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٠٤، ١٠٥، والعبارة فيه: «التفسير علم يعرف به =

الله المنزل على نبيه محمد – صلى الله تعالى عليه وسلم – وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه» كذا/ نقله عنه الجلال السيوطي في ٦/
الإتقان[١]، وكذا القسطلاني[٢] في شرح البخاري[٣]، من غير عزو إليه، ولم يتعرضا لبيانه. وقوله: (يفهم به كتاب الله) أخرج ما لا يفهم به كتاب الله من العلوم، أي: ما لا يتحصل به فهم كتاب الله تعالى، وإن كان له مدخل في فهمه فلا يرد أن كلاً من النحو، والمعاني، والأصول، ونحوها، لها مدخل في فهمه، مع أنها لا تسمى تفسيراً، بل هي مواد التفسير، ثم إن هذا العلم الذي يفهم به كتاب الله يشتمل على نوعين: نقلي، ونظري. فالأول: كأسباب النزول، والقراءات، واللغات، والمكي، والمدني، وما ورد في معنى

= فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمَه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ».

قلت: قد جمع الزركشي – يرحمه الله – في هذا: تعريف التفسير، واستمداده، وما يحتاج لمعرفته. وقد بين ذلك المؤلف في المخطوط – كما سيأتي – بيانه والتعليق عليه بما يلزم – إن شاءالله –.

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦٥.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس، محدث، مؤرخ، فقه، ومقرئ، ولد بمصر، ونشأ بها، وقدم مكة، من تصانيفه: إرشاد الساري على صحيح البخاري، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية، وفتح الداني في شرح حرز الأماني في القراءات، وغيرها. توفي بالقاهرة سنة (٩٢٣هـ). ينظر: الضوء اللامع للسخاوي ٢/ ١٠٣، وشذرات الذهب ٨/ ١٢١، والكواكب السائرة للغزي ١/ ١٢٦.

(٣) ينظر: إرشاد الساري على صحيح البخاري ٣/ ١٧٩.

شيء من القرآن متضمن لقصة لا تمكن معرفته إلا بها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [١] فإن النسيء في اللغة[٢] تأخير الشيء. وأما كونه تأخير حرمة شهر معين، كمحرم إلى صفر إذا أهلّ والكفار في قتال، فهذا إنما عرف بالورود عن الشارع لا من مدلول اللفظ اللغوي. والثاني: كطرق استنباط الأحكام من معرفة المجمل، والمبين، والمطلق، والمقيد، والعام، والخاص، والحلال، والحرام، ونحو ذلك، فإن من عرف أن العام لفظ يستغرق الصالح له، من غير حصر. فهم من أن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عام، وقس على ذلك، فقد شمل النوعين قوله تعالى، (علم يفهم به كتاب الله)، كما يفيده أيضاً قول الزركشي: واستمداده من علم اللغة والنحو الصرف والبيان وأصول الفقه والقراءات. انتهى[٣].

فإن غالب ما ذكر/ يتحصل من العلوم المذكورة، وقوله: (وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه) أشار به إلى أن علم التفسير اسم لما جمع أموراً ثلاثة أحدها: ما يفهم به كتاب الله، وهو المسائل المشتملة على أسباب النزول، واللغات، وطرق استنباط الأحكام، وطرق الاشتقاق، والإعراب، وغير ذلك، مما هو لفهمه بمنزلة علم مصطلح الحديث، لفهم متنه وسنده. ثانيها: نفس بيان معانيه وإيضاحها، المشتمل على نسبة ٧/

(١) سورة التوبة، رقم الآية (٣٧).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٣/ ٨٢، مادة [نسأ]، والصحاح ١/ ٧٦، يقال: نَسَأْتُ الشيء نسأً: أَخَّرْتُهُ، وكذلك: أَنْسَأْتُهُ. وينظر للزيادة: مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٤٢٣.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٠٥.

محمولاته لمصنوعاته، مع فك تراكيبه، وتوجيه إعرابه، وما اشتمل عليه من لغة، وتصريف، واشتقاق، وغيرها. ثالثها: استخراج أحكامه المستنبطة منه، كدلالة قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[1]. على أن الجنابة لا تمنع صحة الصوم؛ لأن الحل الذي تضمنته الآية صادق بآخر جزء من الليل، فتصادف الجنابة أول جزء من النهار. وكاستخراج حكمه أيضاً، وهي ما تضمنه من النكات البيانية، والبديعية، فعلم مما تقرر أن قوله وبيان معانيه إلخ. عطف على قوله: (علم) ليكون بيان المعاني، واستخراج الأحكام، من مسمى التفسير المعرف، وليس عطفاً على قوله: (كتاب)؛ لأنه ينحل إلى قولنا: علم يفهم به كتاب الله، ويفهم به بيان معانيه، ويفهم به استخراج أحكامه؛ فلا يفيد أن البيان والاستنباط من مسمى التفسير؛ وإنما مسماه ما يفهمان به مع أن ذلك قد علم من قوله أولاً: (يفهم به كتاب الله) لشموله له، وأيضاً يبعد الحكم/ على وسيلة البيان بأنه ٨/
تفسير دون نفس البيان، فعلم أن التفسير مشتمل على أمرين، أحدهما: علمي، وهو ما يفهم كتاب الله، والثاني: عملي، وهو بيان المعاني واستخراج الأحكام. والثاني بشقيه مترتب على الأول. والشق الأول خصه بعضهم بالتفسير، والثاني باسم التأويل، فأشار لشمول التعريف للأمرين جميعاً. (والله تعالى أعلم، هذا ما ظهر لي في بيان هذين التعريفين)[2]. وقال الجلال السيوطي في التحبير[3]: وأما التفسير اصطلاحاً، فلهم فيه عبارات،

(١) سورة البقرة، رقم الآية (١٨٧).

(٢) ما بين القوسين مستدرك على هامش النسخة الخطية.

(٣) ينظر: التحبير في علم التفسير (ص٣٦، ٣٧)، قلت: وفي نقل المؤلف عن السيوطي في =

أحسنها قول أبي حيان[١]: «هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي يحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك»[٢]. قال أبو حيان: فقولنا (علم) جنس، وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هو علم القراءة، وقولنا: (ومدلولاتها) أي: مدلولات تلك الألفاظ، هذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف، والبيان، والبديع. أي: والنحو، وكان الأولى أن يعبر به بدل الصرف. قال: وقولنا: (ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب) يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز، وقولنا: (وتتمات لذلك) مثل معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم، انتهى[٣]. قلت: مثال ما صرف عن الحقيقة إلى المجاز قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٤] فإن الاستواء الحقيقي الذي هو الاستقرار محال على الله عز وجل/ فيحمل على معنى الاستيلاء، والنكتة في العدول إليه ما في /٩

= التحبير تصرف يسير؛ لا يؤثر على النص المنقول.

(١) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي النحوي، خدم النحو والصرف أكثر عمره، ورحل إلى المشرق، من مؤلفاته: البحر المحيط وهو في تفسير القرآن الكريم، وإتحاف الأريب، توفي سنة (٧٥٤هـ). ينظر: الدرر الكامنة ٥/ ٧٠، وبغية الوعاة ١/ ٢٨٠، ونفح الطيب ٢/ ٣٥٣، وشذرات الذهب ٨/ ٢٥١.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١/ ١٣، ١٤.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١/ ١٥.

(٤) سورة طه، رقم الآية: (٢٠).

الاستواء من التمكن على الشيء والغلبة التي ليست في مطلق الاستيلاء[1].

وعلم من هذا التعريف أن علم التفسير مركب من مجموع علوم، هي علم القراءات، واللغة، والنحو، والبيان، وكذا الأصول، وإن لم ينبه عليه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ؛ ولعله على ضرب من التسامح باعتبار أن علم التفسير لا يخرج عنها، فلا ينافي ما تقدم عن الزركشي[2] أن هذه العلوم مواد للتفسير، وليس هو اسماً لمجموعها؛ لأن التفسير هو معرفة، أو بيان مفردات القرآن ومركباته المستفادة من قواعد تلك العلوم لا تلك العلوم بعينها، ألا ترى أن من عرف الفاعل، والمبتدأ، والخبر، وباقي المرفوعات من النحو نزَّل عليها بعض المرفوعات المناسب لها من القرآن، وكذا من عرف العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، نزَّل عليها ما في القرآن من ذلك، فالمسائل المنزل عليها عبارات القرآن مواد التفسير، وتنزيلها عليها هو علم التفسير. وههنا تنبيه لا بأس بذكره، وهو

(١) قلت: ما ذكره المؤلف جار على مذهب الأشاعرة المتكلمين الذين يصرفون نصوص الصفات التي لا يثبتونها من الحقيقة إلى المجاز، والاستواء عند السلف فسِّر بالعلو والارتفاع والاستقرار، ولا يلزم من ذلك ما يلزم من استواء المخلوق على المخلوق. ينظر للزيادة: التدمرية (ص٨١)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ١٩٤، حيث يقول: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله» الفتاوى ٥/ ١٩٥.

(٢) تقدم قريباً تعريف الزركشي – يرحمه الله – للتفسير.

أنهم لم يعدوا المنطق من آلاته المستمد منها؛ ولعله اكتفى بكونه مركوزاً في الطباع السليمة؛ لكن قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى: «وأما تخريج القرآن على القواعد المنطقية فهو حرام، وقد اتفق أهل عصرنا من يبيح المنطق منهم ومن لا يبيحه على التغليظ على بعض العجم حيث خرج بعض الآيات/ عليه وأفتوا بتعزيره وزجره، وأنه أتى باباً من العظائم» انتهى[١]. /١٠

وأما التأويل فهو مأخوذ من الأول، وهو الرجوع فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني. وقيل: من الإيالة، وهي السياسة، كأن المؤول للكلام ساسه، ووضع المعنى في موضعه. قال في القاموس[٢]: «أوّل الكلام تأويلاً، وتأوّله، دبره، وقدره، وفسره»، قال: وقال ثعلب[٣]: «التفسير، والتأويل واحد»، وهو كشف المراد عن المشكل. والتأويل: «رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر» انتهى[٤].

وبالترادف قال أبو عبيد[٥] وطائفة، وأنكره قوم حتى قال ابن حبيب

(١) ينظر: التحبير في علم التفسير (ص٣٢٦).

(٢) ينظر: القاموس المحيط (ص ٩٦٣)، والعبارة فيه: «أوَّل الكلام تأويلاً، وتأوَّله: دبَّرَهُ وقدَّرَهُ وفسَّرَهُ».

(٣) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني الكوفي، إمام في النحو واللغة. وله معرفة بالقراءات، اشتهر بالحفظ وصدق اللهجة، من أشهر مصنفاته: الفصيح، وله كتاب في معاني القرآن، توفي سنة (٢٩١هـ). ينظر: طبقات النحويين واللغويين (ص١٤١)، وإنباه الرواة ١/ ١٧٣.

(٤) ينظر قول ثعلب بنصه في القاموس المحيط (ص٤٥٦)، وينظر للزيادة: الإتقان للسيوطي ١/ ١٧٠.

(٥) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام الأنصاري البغدادي، المقرئ الفقيه اللغوي، صاحب =

النيسابوري[1]: «قد نبغ في زماننا مفسرون، لو سألوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه» انتهى[2].

والقائلون بالفرق بينهما، يتحصل من كلامهم عشر عبارات في الفرق بينهما؛ لكن بعضهما متداخل، فمنها ما تقدم عن القاموس، أن التفسير: كشف المراد عن المشكل. والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر. ومنها: أن التفسير: بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والتأويل: توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة لواحدٍ منها، بما ظهر من الأدلة. ومنها: أن التفسير بيان وضع اللفظ، إما حقيقة، أو مجازاً، والتأويل: تفسير باطن اللفظ، مأخوذاً من الأَوْلِ، وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل إخبارٌ عن

= التصانيف الكثيرة المفيدة، أثنى عليه العلماء كثيراً، من كتبه: الناسخ والمنسوخ، فضائل القرآن، توفي سنة (٢٢٤هـ). ينظر: إنباه الرواة ٣/ ١٢، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٧، وغاية النهاية ٢/ ١٧، وبعد المراجعة والنظر لم أقف على هذا القول في كتبه. قلت: ولعل المراد أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة (٢١٠هـ)، وقد ذكر في مجاز القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥ﴾ سورة آل عمران: ٧، أن المراد بالتأويل: التفسير. ينظر: مجاز القرآن ١/ ٨٦، وعند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ سورة الأعراف: ٥٢، أي: «هل ينظرون إلا بيانه ومعانيه وتفسيره». ينظر: مجاز القرآن ١/ ٢١٦، فلعله المراد، والعلم عند الله تعالى.

(١) هو أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب، أبو القاسم النيسابوري، إمام عصره في معاني القرآن وعلومه، كان أديباً نحوياً عارفاً بالمغازي والقصص والسير، من تصانيفه: التفسير المشهور، وعقلاء المجانين، وغيرها من كتب التفسير والآداب، توفي سنة (٤٠٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٣٧، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٣٥)، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١٤٤، وبغية الوعاة ١/ ٥١٩.

(٢) ينظر: قوله في البرهان ٢/ ٢٨٨، والإتقان ٦/ ٢٢٦١.

حقيقة المراد، والتفسير إخبارٌ عن دليل المراد. مثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [١]. تفسيره إنه من الرَّصَد، يقال:/ رَصَدْته رَقَبْتهُ، والمرصاد: ١١/
مِفْعال منه، وتأويله: التحذير من التهاون بالله والغفلة عن الأُهبة والاستعداد للعرض عليه؛ فإن قواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة[٢]. ومنها: أن التفسير ما وقع مبيناً في كتاب الله، ومعيناً في السنة الصحيحة؛ لأن معناه قد وضح وظهر، وليس لأحد أن يتعرض له باجتهاد ولا غيره؛ بل يحمله على المعنى الذي ورد، لا يتعداه إلى غيره. والتأويل: ما استنبطه العلماء العالمون لمعاني القرآن، الماهرون في آلات العلوم[٣]، وهنا جرى عليه شيخ الإسلام في حواشي القاضي. ومنها: أن التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط[٤]، أي: والتفسير ما عدا ذلك. ومنها أن التفسير أعم من التأويل؛ لكنه أكثر ما يستعمل في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها[٥]. ومنها: أن التفسير:

(١) سورة الفجر، رقم الآية (١٤).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦٢، ٢٢٦٣، وعزاه إلى أبي طالب التغلبي.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦٤، وعزاه بقوله: «وقال قوم».

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٨٦، وعزاه إلى ابن حبيب النيسابوري، والبغوي، والكواشي، وغيرهم. وقال الزركشي: «قالوا: وهذا غير محظور على العلماء بالتفسير، وقد رخص فيه أهل العلم...». وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦٤.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٨٥، والإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦١، ٢٢٦٢، =

إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام الظهور. والتأويل: نقل الكلام عن موضوعه، إلى ما يحتاج إثباته إلى دليل، ولولاه ما ترك ظاهر اللفظ[1]. قال بعضهم: وأحسن ما فرق به بينهما، قول الإمام أبي منصور الماتريدي[2]، «التفسير: القطع بأن المراد من اللفظ كذا، والشهادة على الله بأنه عني به ذلك، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح،/ وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي ١٢/
عنه. والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله بأنه عنى باللفظ هذا المعنى» انتهى[3].

فالتأويل أقل حرجاً، ولهذا اختلف كثير من الصحابة والسلف في تأويل آيات، ولو كان عندهم فيها نص عن النبي ﷺ لم يختلفوا، فعلم أن التفسير بالرأي حرام؛ لما فيه من الشهادة على الله، والقطع بأنه مراده، وأما

= وعزوه إلى الراغب. وينظر للزيادة: مقدمة جامع التفاسير (ص٤٧).

(١) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي١/ ٤ وقال: «وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: آل الشيء إلى كذا، أي صار إليه».

(٢) هو: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور السمرقندي الحنفي، من علماء الكلام، وإليه يُنسب مذهب الماتردية، من مؤلفاته: التوحيد، تأويلات القرآن، تأويلات أهل السنة، توفي سنة (٣٣٣هـ). ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣/ ٣٦٠، والفوائد البهية (ص١٩٥). وينظر للزيادة: تأويلات أهل السنة للماتريدي (ص٥)، والإتقان للسيوطي ٦/ ٢٦٢٢، والتحبير للسيوطي (ص ٣٨)، وقد عزاه السيوطي فيهما إلى الماتريدي.

(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة (ص ٥).

التأويل فاختلف فيه، فمنعه قوم سدًّا للباب؛ لما صح عن النبي ﷺ، والصحابة، أن التفسير بالرأي حرام، فقد قال ﷺ: «من قال في القرآن برأيه، أو قال بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار» رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، وله طرق متعددة[١]. قلت: وهذا محله في غير ما هو نص في مدلوله، لا يحتاج لبيان، فما تتبادر الأفهام إلى معرفته ليس من محل الخلاف، وهو النصوص المتضمنة لشرائع الأحكام، ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً، يعلم أنه مراد الله، فهذا القسم كما قال الزركشي[٢] لا يلتبس تأويله على أحد، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣]، وأنه لا شريك له في الإلهية، وإن لم يعلم أن (لا) موضوعة في اللغة للنفي، و(إلا) للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر[٤]، ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟

(١) الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله ﷺ، رقم (٣٦٥١)، بلفظ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وأما الحديث الذي ذكره المؤلف فقد أخرجه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم (٢٩٥٠)، وقال الترمذي: «حديث حسن»، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٥٦٩)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (١٧٨٣).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٠٧.

(٣) سورة محمد، رقم الآية (١٩).

(٤) في المخطوط «وأن مقتضى هذه الحصر الكلمة»، والصواب ما أثبتناه، اعتماداً على ما في البرهان ٢/ ٣٠٧.

﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] ونحوه طلب إيجاد المأمور به، وإن لم يعلم أن صيغة «افعل» للوجوب فما كان من هذا القسم لا يعذر أحد يدعي الجهل بمعاني ألفاظه؛/ لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة. وأما ما يعلمه العلماء ويرجع ١٣/
إلى اجتهادهم فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وذلك استنباط الأحكام ونحوه، وهو محل الخلاف، فمنعه قوم كما مرَّ، وجوَّزه آخرون لمن كان عالماً بخمسة عشر علماً[2]، وخصصوا الخبر بغير العالم بها، أحدها: علم اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها. الثاني: علم النحو؛ لأن المعنى يختلف ويتغير باختلاف الإعراب. الثالث: التصريف، ولم يذكره بعضهم، قال السيوطي: «وهو الأصوب» أي[3]: لأن القرآن منظور فيه إلى خصوص اللفظ الوارد، والمقصود من التصريف صحة الكلمة وإعلالها، والتفسير لا يتوقف على ذلك. قال[4]: «ووجه من ذكره

(١) سورة البقرة، رقم الآية (٤٣).

(٢) وقد ذكر هذه العلوم السيوطي في الإتقان ٦/ ٢٢٩٣ – ٢٢٩٨، وفي التحبير (ص ٣٢٨ – ٣٣٠)، وهي العلوم التي يحيط بها المفسر لكلام الله – عز وجل –.

(٣) يعني: عدم ذكره، والعلم به (علم التصريف).

(٤) أي السيوطي قاصداً علم التصريف. ينظر: الإتقان ٦/ ٢٢٩٤، والتحبير (ص ٣٢٨).
وقال السيوطي بعد ذكر هذا العلم «علم التصريف». قال ابن فارس: «ومن فاته علمه فاته المُعْظَم؛ لأن «وجد» مثلاً كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها».
وقال الزمخشري: «من بدع التفاسير قول من قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ سورة الإسراء: ٧١، جمع: «أمّ»، وإن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم» قال: «وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف؛ فإن أُمّاً لا تجمع على إمام». ينظر: الإتقان للسيوطي ٦/ ٢٢٩٤، والكشاف للزمخشري ٢/ ٦٨٢.

أن بـه تعـرف الأبنيـة والصـيغ». الرابـع: الاشـتقاق؛ لأن الاسـم إذا كـان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح، هل هو من السياحة، أو من المسح؟. الخامس: المعاني؛ لأن بـه تعـرف خـواص تراكيـب الكلام مـن جهـة إفادتهـا المعنـى. السـادس: البيـان؛ لأن بـه يعـرف خـواص التراكيـب مـن جهـة اختلافهـا بحسـب وضـوح الدلالـة وخفائهـا. السـابع: البديع؛ لأن به يعرف وجوه تحسين الكلام[1]. الثـامن: علـم القـراءات؛ لأن به يعرف كيفيـة النطـق بـالقرآن، وبـالقراءات تـرجح الوجـوه المحتملـة عـلى بعض. التاسع: علـم أصـول الـدين؛ لمـا في القـرآن مـن الآيـات/ التـي تـدل /١٤ بظاهرها على ما لا يجوز على الله، فالأصـولي يـؤول ذلـك، ويسـتدل عـلى مـا يستحيل، وما يجب، وما يجوز. العاشر: أصول الفقـه؛ لأن بـه يعـرف وجـوه الاسـتدلال عـلى الأحكـام والاسـتنباط. الحـادي عشر: أسـباب النـزول؛ إذ سبب النزول يعـرف معنـى الآيـة المنزلـة فيـه بحسـب مـا أنزلـت فيـه. الثـاني

(١) وهذه العلوم: الخامس، والسادس، والسابع (علم المعاني، والبيان، والبديع)، هـي علـوم البلاغة، قال السيوطي في الإتقان ٦/ ٢٢٩٥: «وهذه العلوم الثلاثـة هـي علـوم البلاغـة، وهـي مـن أعظـم أركـان المفسر؛ لأنـه لا بـد لـه مـن مراعـاة الإعجـاز، وإنـما يـدرك بهـذه العلوم».

وقال السيوطي – أيضـاً – قـال السـكاكي: «اعلـم أن شـأن الإعجـاز عجيـب يـدرك ولا يمكـن وصـفه، كاسـتقامة الـوزن تـدرك ولا يمكـن وصـفها، وكالملاحـة، ولا طريـق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا التمرُّن في علمي المعاني والبديع».

وقال – أيضاً – وقال غيره: «معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمـدة التفسـير المطلـع على عجائب كلام الله، وهـي قاعـدة الفصـاحة، وواسـطة عقـد البلاغـة». ينظـر للزيـادة: الإتقان ٦/ ٢٢٩٦.

عشر: الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره. الثالث عشر: علم الفقه؛ لأن بعض الأحكام قد يتوقف عليه، كما في قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[1]، فإن كون مفهوم الشرط لا يتصور معه إكراه إنما يعلم من علم الفقه؛ لأن قواعده إن ما يفعله الشخص لداعية فيه لا يتحقق فيه الإكراه. الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. الخامس عشر: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله لمن عَمِل بما عَلِمَ، وإليه الإشارة بحديث: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»[2]، قال ابن أبي الدنيا[3]: «وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له». قال: «فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه» قال[4]: «والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من القرآن والسنن التي

(١) سورة النور، رقم الآية (٣٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٥، وحكم بأنه موضوع، ووافقه الألباني في «الضعيفة» (٤٢٢)، وهو مروي عن جماعة من السلف من قولهم غير مرفوع. وينظر للزيادة: كشف الخفا للعجلوني ٢/ ٣٤٧، رقم (٢٥٤٢).

(٣) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي البغدادي، المشهور بابن أبي الدنيا، صاحب التصانيف، المتوفى سنة (٢٨١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٧٧، تاريخ بغداد ١٠/ ٨٩.

(٤) يعني ابن أبي الدنيا.

تلقوها من النبي ﷺ»[١]. قال الجلال: «ولعلك قد يشكل عليك علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان تحصيله/ ، وليس كما ظننت من الإشكال، وقد خطر لي تشبيهه بقولهم: في حد المجتهد: هو فقيه النفس، أي: حديد الفهم بالطبع لمقاصد الكلام بحيث يقدر على الاستنباط» انتهى[٢]. /١٥

قال الزركشي: «وكأن السبب الحامل لكثير على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط، ليحيل على الاعتماد في المنقول وعلى النظر في المستنبط». انتهى[٣]، قلت: وهذا لا يتم إلا إذا قال المفسر عقب

(١) بعد البحث والنظر لم أقف على أقواله في مظانها، وقد نقلها السيوطي في الإتقان ٦/ ٢٢٩٧، ٢٢٩٨، وفي التحبير – أيضاً – ص (٣٢٩، ٣٣٠).

(٢) ينظر: الإتقان ٦/ ٢٢٩٨ وفيه: «والطريق في تحصيله – يعني علم الموهبة – ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد». وهذا القول الذي ذكره في المخطوط بنصه في التحبير للسيوطي (ص٣٣٠).

قال السيوطي في الإتقان ٦/ ٢٢٩٨ بعد ذكره لعلم الموهبة: «قال في البرهان: اعلم أنه لا يحصل للناظر في فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا، أو وهو مُصِرٌّ على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض».

قلت – يعني السيوطي –: «وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ سورة الأعراف: ١٤٦».

قال سفيان بن عيينة: «أنزع عنه فهم القرآن» أخرجه ابن أبي حاتم. ينظر للزيادة: الإتقان ٦/ ٢٢٩٨، والبرهان للزركشي ٢/ ٣١٩، ٣٢٠.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٣١٢ بتصرف يسير في المخطوط.

آية: تأويلها كذا، وعقب أخرى: تفسيرها كذا، ويصرح بالنقل في بعض الآيات ويتركه في بعض، وأما من يذكر التفسير على أسلوب واحد فلا يتميز من كلامه التأويل من التفسير.

تنبيه: قال البدر الزركشي في البرهان[1]: «للناظر في القرآن لتفسيره مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة: الأول: النقل عن النبي ﷺ، وهذا هو الطراز المعلم[2] لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع؛ فإنه كثير، ولهذا قال الإمام أحمد: «ثلاث كتب لا أصل لها: المغازي، والملاحم، والتفسير»، وقال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير، كتفسير الظلم بالشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[3]، والحساب اليسير بالعرض[4]، والقوة

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣، بتصرف يسير في المخطوط.

(٢) في البرهان: «وهذا هو الطراز الأول» بدلاً من: «المعلم».

(٣) ورد ذلك في حديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم الحديث (٣٢)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ سورة الأنعام: ٨٢، قال أصحاب رسول الله ﷺ: أيُّنا لم يظلم؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ سورة لقمان: ١٣». وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث (١٢٤)، ولفظه: «وقالوا: أيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ سورة لقمان: ١٣)».

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الانشقاق، باب: ﴿فَسَوْفَ =

بالرمي في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١]».

قال في الإتقان[٢]: «قلت الذي صح من ذلك يسير جداً، بل أصل المرفوع في غاية القلة/ . ١٦/

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ، كما قاله الحاكم[٣] في مستدركه»[٤]. قال الجلال السيوطي: «وما

= ﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ سورة الانشقاق: ٨، رقم الحديث (٤٩٣٩)، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك، قالت: قلت يا رسول الله! جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: ذاك العرض، يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك».

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، رقم الحديث (٢٨٧٦).

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم الحديث (١٩١٧) عن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول:« ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ الأنفال: ٦٠، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٨٥.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد الضبي النيسابوري، يعرف بابن البَيِّع، لقب بالحاكم لسعة حفظه للأحاديث، سمع من نحو ألفي شيخ، وله في ذلك أسانيد عالية، من مؤلفاته: المستدرك على الصحيحين، ومعرفة علوم الحديث، توفي سنة (٤٠٥هـ)، ينظر: تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٦٢.

(٤) ينظر: المستدرك ٢/ ٢٥٨، كتاب التفسير.

قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح[1] وغيره من المتأخرين: بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول، أو نحوه مما لا مدخل للرأي فيه. قال: ثم رأيت الحاكم صرح في علوم الحديث بهذا القيد، فقال: «ومن الموقوفات تفسير الصحابة، وأما من يقول: إن تفسير الصحابة مسند فإنما يقوله فيما فيه من سبب النزول»، فقد خصص هنا، وعمم في المستدرك فاعتمدوا الأول والله أعلم»[2].

قال الزركشي[3]: «وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل[4] المنع، وحكوه عن شعبة[5]؛ لكن عمل المفسرين على خلافه، فقد حكوا في كتبهم أقوالهم؛ لأن غالبها تلقوها عن الصحابة وربما

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الكردي الشهرزوري الشافعي، المعروف بابن الصلاح، إمام حافظ فقيه، من فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، ومن أهل الفتوى في زمانه، من مؤلفاته: مقدمته في علوم الحديث، توفي سنة (٦٤٣هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٠، وطبقات الشافعية ٨/ ٣٢٦.

(٢) ينظر للزيادة: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٨٦، وعلوم الحديث لابن الصلاح (ص٥٠)، وعلوم الحديث للحاكم (ص٣٢).

(٣) نقله المؤلف بتصرف عن كتاب البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٩٤، ٣٠٢، وينظر للزيادة: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٨٦، ٢٢٨٧.

(٤) هو علي بن عقيل بن محمد أبو الوفاء الظفري الحنبلي البغدادي، من أعلام زمانه في العلم والنقل والذكاء، من تصانيفه: الواضح في الأصول، والفصول في فقه الحنابلة، توفي سنة (٥١٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٣، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٤٢.

(٥) هو شعبة بن الحجاج بن الورد، أبو بِسْطام الأزدي البصري، مولاهم الواسطي، عالم أهل البصرة، ورأى الحسن البصري، توفي سنة (١٦٠هـ). ينظر: وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢.

يحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ فيظن من لا فهم عنده أنه اختلاف محقق، فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون واحد منهم ذكر معنى في الآية لكونه أظهر عنده، أو أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً[(١)]؛ فإن لم يمكن الجمع بين القولين عن الشخص الواحد لم يقدم أحدهما إن استويا في الصحة عنده، وإلا فالصحيح المقدم. الثالث: الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربي، وهذا قد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد[(٢)]/ عنه أنه سئل عن القرآن يُمثِّل له الرجل ببيت من الشعر؟ فقال: ما يعجبني. فقيل: ظاهره المنع؛ ولهذا قال بعضهم[(٣)]: «تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد. وقيل: الكراهة تحمل على من صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا تؤخذ غالباً إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها. الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، وهو ما يفهم عند اللفظ، ولا يكون منطوقاً به، لكنه من ضرورة المنطوق

١٧/

(١) وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا في قاعدته المعروفة حول اختلاف التنوع والتي بينها ووضحها في رسالته «مقدمة في أصول التفسير» ص (٢٨).

(٢) هو الفضل بن زياد أبو العباس القطان البغدادي، من أصحاب الإمام أحمد المتقدمين، وكان الإمام يعرف قدره ويكرمه، له مسائل كثيرة عن الإمام أحمد، ولم تذكر سنة وفاته. ينظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢٥١، والمقصد الأرشد ٢/ ٣١٢.

(٣) ينظر: للزيادة: الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٢٧٧، والإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٨٧.

بـــــه، نحـــــو ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[1] أي: فضربـــه فـــانفجرت، ونحـــو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[2]، وكالمقتضى المقتضب من قوة الشرع، وهو المستنبط، وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس حيث قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»[3]، والذي عناه علي[4] بقوله: «إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن»[5] ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل برأيه على مقتضى نظره، والله أعلم.

وأما موضوعه فهو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ؛ لأن موضوع كل علم ما يبحث فيه عن أحواله العارضة له، قال المحقق ابن قاسم[6]:

---

(١) سورة البقرة، رقم الآية (٦٠).

(٢) سورة يوسف، رقم الآية (٨٢).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٦٦، وهو في الصحيحين بألفاظ مقاربة، فقد أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم الحديث (١٤٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل ابن عباس – رضي الله عنهما – رقم الحديث (٢٤٧٧).

(٤) هو علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – الخليفة الراشد الرابع، أمير المؤمنين، ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج بنته فاطمة – رضي الله عنها – توفي سنة (٤٠هـ)، ينظر: الإصابة ٧/ ٢٧٥.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم رقم (١١١)، ولفظه: «أو فهمٌ أعطيه رجل مسلم»، وهو عند البخاري – أيضاً – في مواضع أخرى.

(٦) هو العبادي، والله أعلم، أحمد بن قاسم العبادي القاهري، الشافعي، شهاب الدين، عالم فقيه، توفي سنة (٩٩٤هـ)، من مصنفاته: المحررات على مختصر السعد، حاشية على شرح =

«والمراد بالبحث عن الأعراض الذاتية حملها على موضوع العلم، كقولنا في موضوع أصول الفقه الكتاب يثبت الحكم، أو على أنواعه/ ، كقولنا فيه: ١٨/
الأمر يفيد الوجوب، أو على أعراضه الذاتية، كقولنا: العام يتمسك به في حياة النبي ﷺ، أو على أعراضه العرضية، كقولنا: العام المخصوص حجة فيما بقي». انتهى[١].

ولا يخفى أن القرآن الكريم ذو جزاء، قال المحقق الكازروني[٢] في موضوع التفسير: إما أن يكون المفهوم الكلي الصادق على ما بين الدفتين وهو كلام الله المنزل على نبيه، أو يكون موضوعه السور أو الآيات، وحينئذ لقائل أن يقول: ليس المذكور أولاً وثانياً موضوعاً؛ لأن البحث في التفسير ليس عن المفهوم الكلي المذكور ولا عن المجموع من حيث هو مجموع، فبقي الاحتمال الثالث، ولا يخفى بُعد أن تكون كل آية موضوعاً حتى تكون موضوعاته تقدر عدد الآيات، ويمكن أن يقال: إن المفهوم الكلي موضوع التفسير، لكن البحث عن أفراده وهي الآيات باعتبار أنه يستفاد منه أحوال المفهوم الكلي، كما وقع في سائر العلوم من البحث عن أنواع الموضوع، فإن الكلمة موضوع النحو، ويبحث فيه عن أنواعها، بل عن أنواع الاسم

= جمع الجوامع للسبكي. ينظر: معجم المؤلفين ١/ ٢٣٠، شذرات الذهب ٨/ ٤٣٣.

(١) بعد البحث والمراجعة لم أجد كلام ابن القاسم، والعبارة معروفة في كتب أصول الفقه وحواشيه كجمع الجوامع وحاشيته للعطار.

(٢) هو أبو الفضل القرشي الصديقي الخطيب، المشهور بالكازروني، من علماء التفسير، من أشهر مصنفاته: حاشية الكازروني على تفسير البيضاوي، توفي في حدود سنة (٩٤٥هـ). ينظر: كشف الظنون ٢/ ١٩٥.

كالفاعل، والمفعول، والمبتدأ، والخبر، ومثل ذلك ما في المواقف[1] من أن: موضوع الكلام هو مفهوم المعلوم والبحث عن أفراده وأنواعه، فتأمل! قال: والأولى أن يقال إن موضوعه مجموع السور ويبحث فيه عن أحوال أجزائه باعتبار أن البحث عنها يؤول إلى البحث عنه كما لا يخفى على المتفطن، ونظير ذلك كثير من العلوم، فإن موضوع الطب بدن الإنسان/ ١٩/ من حيث يصح ويمرض ويبحث فيه عن أحوال الأدوية باعتبار أن البحث عنها راجع إلى البحث عنه، فإن قولهم في العسل راجع إلى البحث عن أن بدن الإنسان يسخن بوصوله إلى جوفه ومثل قول الأصولي مفهوم اللقب لا يعتبر، فإن هذا البحث في الظاهر ليس بحثاً عن أحوال موضوعه لكنه يرجع إليه بنوع تصرف. قال: ومن أراد تفصيل بحث الموضوع فعليه بمطالعة الحواشي التي كتبناها على شرح المواقف» انتهى[2].

وأما فائدته، فهي كما قال شيخ الإسلام في حواشي القاضي[3]: الاطلاع على عجايب كلام الله عز وجل، وامتثال أوامره، ونواهيه.

وأما استمداده، فهو كما تقدم عن الزركشي[4] من اللغة، والنحو، والصرف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من باقي العلوم المتقدمة.

---

(١) انظر: المواقف (ص٧)، لعضد الدين الإيجي، وشرح المواقف للجرجاني ١/ ٣٨ وما بعدها.

(٢) ينظر: حاشية الكازروني على البيضاوي ١/ ٥، ٦.

(٣) بعد البحث والمراجعة لم أقف عليه.

(٤) تقدم قريباً، وينظر للزيادة: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٠٤، ١٠٥.

وأما بيان الحاجة إليه، فهو أن القرآن نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، وأما دقائق باطنه، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر، مع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر، كسؤالهم لما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [١]. فقالوا وأيُّنا لم يظلم نفسه، ففسره النبي ﷺ بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [٢]، وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير، فقال: «ذلك العرض»[٣]، وكقصة عدي بن حاتم[٤] في الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك/ مما سألوا عنه، ونحن محتاجون إلى ذلك وزيادة عليه، مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير علم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى علم التفسير. ٢٠/

ومعلوم أن تفسيره منه ما هو من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، ومنه ما هو من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض[٥].

---

(١) سورة الأنعام رقم الآية (٨٢).

(٢) سورة لقمان، رقم الآية (١٣).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ سورة البقرة: ١٨٧ رقم الحديث (٤٥١٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، رقم الحديث (١٠٩٠).

(٥) ينظر للزيادة: البرهان في علوم القرآن ١/ ١٠٧، ١٠٨، والإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦٧.

قال بعضهم: علم التفسير عسر يسير، أما عسره فظاهر من وجوه، أظهرها: أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان الوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها، فإن الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه، وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يُعلم إلا بأن يسمع من النبي ﷺ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته»[1] انتهى.

وأما بيان شرفه: فإنه لا يخفى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]، وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»[3].

وعن ابن عباس مرفوعاً: «الحكمة القرآن». قال ابن عباس: «يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البر والفاجر»[4]/ ٢١/

(١) هذا الكلام بنصه عزاه الزركشي في البرهان للقاضي شمس الدين الخُوَيِّي (ت٦٣٧هـ)، وكذا في الإتقان للسيوطي ٦/ ٢٢٦٨.

(٢) سورة البقرة، رقم الآية (٢٦٩).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٣٥١، رقم (٢٨٢٢)، وابن جرير في تفسيره ٥/ ٩، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٤٨، وعزاه إلى ابن المنذر.
ينظر للزيادة: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦٩.

(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦٦، وعزاه إلى ابن مردويه، وينظر للزيادة: الإتقان =

وعن أبي الدرداء[١]: «﴿يُؤْتِ الْحِكْمَةَ﴾ أي: قراءة القرآن، والفكرة فيه»[٢]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٣].

وعن عمرو بن مرة[٤] قال: «ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني، لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾»[٥]. وعن الحسن[٦] قال: «ما أنزل الله آية إلا

= في علوم القرآن – أيضاً – ٦/ ٢٢٦٩. وعزاه إلى ابن مردويه من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً، قال محققو الإتقان: «لكنه ضعيف، في إسناده جويبر بن سعيد الأزدي، ضعيف جداً».

(١) هو عويمر بن زيد، الأنصاري الخزرجي، اختلف في اسمه واسم أبيه، وهو مشهور بكنيته وباسمه جميعاً، من أصحاب رسول الله ﷺ، مات في خلافة عثمان – رضي الله عنه –، ينظر: الإصابة ٧/ ٥٦٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٥٣٣، رقم (٢٨٣١)، وينظر للزيادة: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٦٩، وعزاه لابن أبي حاتم، عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال محققو الإتقان: «ضعيف جداً، في إسناده محمد بن كثير بن مروان الفهري، متروك»، كما في التقريب، رقم ٦٢٩٥.

(٣) سورة العنكبوت، رقم الآية (٤٣).

(٤) هو عمرو بن مرة بن عبدالله المرادي، أبو عبدالله الكوفي الأعمى، روى له الجماعة، توفي سنة (١١٦هـ)، ينظر: تهذيب الكمال ٥/ ٤٦٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ٥٧٦، وأورده السيوطي في الإتقان ٦/ ٢٢٧٠، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، عن عمرو بن مرة. وهو عند أبي عبيد في فضائل القرآن، باب فضل علم القرآن والسعي في طلبه (ص٤٢) بلفظ مقارب.

(٦) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، سيد أهل زمانه علماً وعملاً، مناقبه وآثاره كثيرة جداً، توفي سنة (١١٠هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار ١/ ١٦٨، وتهذيب التهذيب =

وهو يحب أن يعلم فيم نزلت وما أريد بها»[1].

وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات[2]. وأجل العلوم الشرعية.

وقد حقق العلامة الأصبهاني[3] بيان شرفه بوجوه ثلاثة، فقال: اعلم أن أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن العظيم، بيان ذلك: أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها، وإما بشرف غرضها، وإما بشدة الحاجة إليها، فشرف الموضوع مثاله: أن الصياغة أشرف من الدباغة؛ لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة، وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة، وشرف الغرض مثاله: أن صناعة الطب أشرف من الكناسة؛ لأن إزالة المرض عن الإنسان أفضل من تنظيف الأماكن الدنسة، وشدة الحاجة إليها مثاله الفقه، فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب، إذ ما من واقعة في الكون من أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه؛ لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين، بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض

= ١/ ٣٨٨.

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، باب فضل علم القرآن والسعي في طلبه (ص٤٢)، وينظر للزيادة: الإتقان في علوم القرآن ٦/ ٢٢٧٠.

(٢) نقل الإجماع السيوطي في الإتقان ٦/ ٢٢٧٢، وعبارته: «وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية».

(٣) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، له تصانيف منها: المفردات في ألفاظ القرآن، ومحاضرات الأدباء، اختلف في سنة وفاته، وقيل: توفي في حدود سنة (٤٣٥هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٠، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٢٩.

الناس في بعض الأوقات». قال: «إذا عرف ذلك فصناعة التفسير/ قد /٢٢
حازت الشرف من الجهات الثلاثة، أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله – عز وجل – الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا تنقضي عجائبه ولا تحصى غرائبه، وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى»[(١)].

فعلم مما تقرر أن علم التفسير أشرف العلوم بأسرها ويدل على ذلك قول القاضي: «فإن أعظم العلوم شرفاً» [(٢)]؛ لكن بحث فيه المحقق الكازروني[(٣)] بما صرح به في الطوالع من أن أعظم العلوم وأرفعها ورئسها ورأسها علم الكلام، قال: «وقد يجاب بأن المراد من العلوم هنا غير علم الكلام بقرينة ما في الطوالع، قال: لكن الاعتماد على مثل هذه القرينة بعيد جداً، ويمكن أن يقال إن لكل منهما شرفاً ومزية على الآخر من وجه، أما مزية الكلام فلأن إثبات موضوع التفسير موقوف على الكلام، فإنه متوقف على وجود إله متكلم مُرْسِل للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذه ثبتت من علم الكلام، وإما مزية التفسير فلأن كثيراً من مسائل الكلام

(١) ينظر: مقدمة جامع التفسير (ص ٩١).
(٢) ينظر: أنوار التنزيل ١/ ٥.
(٣) ينظر: حاشية الكازروني على البيضاوي ١/ ٥.

ثبتت بالآيات كإعادة الأجسام، ولا يلزم الدور لاختلاف الموقوف والموقوف عليه؛ لكن/ ظاهر هذا مخالف لما في شرح المواقف حيث قال: إن علم الكلام أشرف العلوم بحسب جميع جهات الشرف فليتأمل»[1]. /٢٣

هذا ما تيسر لي جمعه في بيان معنى التفسير لغة، وعرفاً، والنسبة بينه وبين التأويل، وبيان موضوعه، وغايته، واستمداده، والحاجة إليه، وشرفه، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، قاله العبد الفقير الحقير محمد بن خليفة بن صدر المدرسين الشيخ سعد الدين خادم العلم الشريف بالجامع الأزهر عمره الله تعالى. آمين.

(١) ينظر: الحاشية السابقة. قلت: يقصد المؤلف بعلم الكلام علم العقائد والتوحيد، فله منزلة عند الأشاعرة على وجه الخصوص، والحق أنه لا يعدل بالبحث في علم التفسير أي علم آخر، لأنه متعلق بكلام الله – عز وجل – (القرآن الكريم) وبعلم التفسير نعرف ونتبين مسائل توحيد الله عز وجل، بينما علم الكلام يدخل فيه مباحث المتكلمين التي ليست من مسائل أهل السنة والجماعة وغير ذلك مما لا يخفى.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تقضى الحاجات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في خاتمة البحث:

١ – أن موضوع البحث في هذا المخطوط في بيان معنى التفسير لغة وعرفاً، وبيان النسبة بينه وبين التأويل، وذكر موضوعه، وغايته، واستمداده، وبيان الحاجة إليه، وشرفه.

٢ – من مصادر المؤلف أمهات كتب التفسير وحواشيها، وعلوم القرآن، وشروح كتب السنة، وكتب الأصول، وكتب اللغة ومصادرها، وهذا يتضح جلياً من خلال النظر في المخطوط.

٣ – ظهور شخصية المؤلف، فلم يقتصر على مجرد النقل؛ بل هناك إضافات علمية، وتعليق وشرح وبيان عند الحاجة لذلك، وهو ظاهر أثناء العمل والتحقيق في المخطوط.

٤ – حسن تقسيم الموضوعات، مع جودة العرض والترتيب.

وفي الختام، أسأل الله التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، وأن يكتب القبول في الدارين، وأن يعفو عن الخطأ والزلل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تقديم وتعليق الدكتور: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية: لأبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد القسطلاني، دار إحياء التراث – بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن عزالدين علي بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق وتعليق: محمد البنا، ومحمد عاشور، ومحمود فايد، دار الشعب، القاهرة
- الإصابة في تمييز الصحابة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور: عبدالله التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- أصول في التفسير، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الولى ١٤٢٣هـ.
- الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشر، ١٩٩٧م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي،

القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني، مؤسسة شعبان – بيروت.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- البحر المحيط، لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ
- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، والشيخ جمال حمدي الذهبي، والشيخ إبراهيم عبدالله الكردي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: للفيروزأبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ١٤٠٧هـ.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

- التحبير في علم التفسير، لجلال الدين السيوطي، تحقيق د. فتحي عبدالقادر فريد، دار المنار – القاهرة، ١٤٠٦هـ.
- التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقق د. محمد السعوي، مكتبة العبيكان، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.
- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة الباز، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- تقريب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية: محمد عوامة، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- تهذيب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون ومجموعة من الباحثين.
- ثبت شمس الدين البابلي المسمى (منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد، ويليه المزيّ الكابلي للزبيدي)، دار البشائر

الإسلامية.
- ثبت شمس الدين البابلي المسمى (منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد)
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي، عناية: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- جمال القراء وكمال الإقراء، لأبي الحسن علي السخاوي، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- الجواهر المضية في تراجم الحنفية: لعبدالقادر بن محمد القرشي الحنفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، تحقيق: د. عبدالفتاح محمد الحلو.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين المحبي، دار

صادر – بيروت.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تأليف الإمام: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- الذيل على طبقات الحنابلة: للحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
- سنن أبي داود: لأبي دود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر: دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- سنن الترمذي «جامع الترمذي» : لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، الناشر: دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- سنن الدارقطني، للحافظ علي بن عمر الدارقطني، إشراف الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ
- سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المشهور (بابن العماد) تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م
- شرح المواقف للجرجاني، طبعة عالم الكتب، بدون تاريخ، بيروت.
- شرح المواقف، لعضد الدين الإيجي، مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ، مصر.
- شروط المفسر وآدابه، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- صبح الأعشى لأحمد بن علي القلقشندي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتعليم، ١٣٨٣هـ.
- الصحاح، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ
- صحيح البخاري: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق الدكتور: محمود الطناحي، والدكتور: عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد، دار التحرير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.
- طبقات المفسرين: لمحمد بن علي الداوودي، تحقيق: عبدالسلام عبدالمعين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- طبقات المفسرين، تصنيف جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- طبقات النحويين واللغويين، لمحمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية.
- علل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ
- فنون الأفنان في عيون علم القرآن، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: د.حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- الفهرس الشامل للتراث العربي الشامل المخطوط (الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله) مخطوطات التفسير وعلومه، الناشر: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان ١٩٨٩م
- فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم (فهرس مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية: لأبي الحسنات محمد بن عبدالحي اللكنوي الهندي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، بيروت، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون، لمحمد بن علي التهاوني، تحقيق د. لطفي عبدالبديع، وزارة الثقافة – المؤسسة المصرية العام ١٣٨٢هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، ترتيب: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني، تصحيح وتعليق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد

الغزي، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العليمة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

- لب اللباب في تحرير الأنساب لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، للدكتور: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
- مجاز القرآن صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي: تحقيق: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي مصر، ودار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ.
- المحرر الوجيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، إشراف الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
- المسند الصحيح المختصر من السنن (صحيح مسلم) للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار السلام

للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

- مشيخة أبي المواهب الحنبلي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر – دمشق.
- المعجم الكبير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، الزهراء الحديثة، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ
- معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للإمام شمس الدين أبي عبدالله بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور: طيار آلتى قولاج، منشورات مركز البحوث الإسلامية، تركيا، الطبعة الأولى.
- مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (المعروف بابن تيمية) تحقيق الدكتور: عدنان زرزور، دار الرسالة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ.
- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لإبراهيم بن محمد بن مفلح، تحقيق د.عبدالرحمن العثيمين، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: لمحمد علي التهانوي، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦هـ، تحقق: د. علي دحروج.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد بن محمد المقري التلمساني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

منهج القرآن الكريم
في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد

إعداد:

د. علي بن عبدالله القرني

د.علي بن عبدالله القرني

- الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ـ حصل على درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها)
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (كتاب العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) من أول الكتاب إلى نهاية باب ما جاء في كثرة أمة سيدنا محمد ﷺ ومن يدخل الجنة بغير حساب - دراسة عقدية -)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للتلقي عند أهل السنة والجماعة وهذه ميزة امتازوا بها على سائر الفرق والطوائف، وليست مجرد دعوى يرددونها ويزعمونها بل هي عقيدة يدينون الله بها ويتعبدون له بذلك.

والرد على المخالف لمنهجهم القويم، وصراطهم المستقيم، جهاد أمرهم به ربهم تعالى، ورفع لوائه نبيهم – صلى الله عليه وسلم –، وسار من ورائه أئمتهم الكرام في سائر الأمصار ومختلف الأزمان فحموا حوزة الدين وذبّوا عنه ضد كل ضال مضل أثيم، وهذا بحث متواضع في هاتين القضيتين المهمتين حاولت فيه إظهار معالم القضية الثانية ورسم منهجها من خلال القضية الأولى.

فكانت هذه الورقات المعدودة هي حصيلة هذه المحاولة المتواضعة، وجعلت عنوانها (منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد).

أسباب اختيار الموضوع :

١ –إبراز منهج القرآن الكريم (المصدر الأول للتلقي عند أهل السنة والجماعة) في الرد على المخالفين ، لالتزامه والسير على هداه .

٢ – لأني حسب علمي المحدود لم أقف على كتابة متخصصة مستقلة فيه [١]

(١) وقفت بعد انتهائي من البحث على عنوان حول هذا البحث وهو: "منهج القرآن الكريم =

مع الحاجة الماسة لذلك في هذا العصر الذي كثرت فيه الآراء والردود وأسأل الله تعالى أن يقيض له عَلَماً من العلماء الأجلاء ليسد هذه الحاجة ويفيد فيها.

ولكون جوانب هذا الموضوع كثيرة جداً فإني لم أتعرض لها كاملة في هذا البحث المختصر وإنما اخترت ما تيسر من تلك الجوانب، ولم أسهب فيها لأن بعض هذه الجوانب جدير بأن يكون بحثاً مستقلاً بذاته.

وقد سرت في هذا البحث وفق الخطة التالية:

المقدمة – وهي ما نحن بصدده الآن –.

الفصل الأول: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أهمية الرد على المخالف.

الفصل الثاني: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: بعض المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم في مسائل الاعتقاد.

الخاتمة.

الفهارس.

= في الرد على اليهود والنصارى" د/ نادية الشرقاوي ولم أطلع على مضمونه.

أما المنهج الذي سرت عليه في إعداد هذا البحث فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث استقرأت القرآن الكريم وجملة من تفاسيره والكتب المصنفة في علومه الأخرى لاستخراج الطرق والأساليب والوسائل التي استعملها القرآن الكريم في رده على المخالفين.

وقد وضعت لكل أسلوب أو طريقة منها عنواناً يعبر عنها، وذكرت تحت كل عنوان الشاهد عليه من الآيات، ثم أذكر كلام العلماء الذي ينص على دلالة الآية على ذلك الأسلوب أو الطريقة.

أما صياغة البحث فقد سلكت فيها المنهج العلمي المتبع في ذلك ومنه:

١- عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها.

٢- تخريج الأحاديث التي ترد في البحث وذكر كلام العلماء في بيان درجتها إن لم تكن في الصحيحين.

٣- وثقت كلام أهل العلم الذي أوردته في تفسير الآيات من مصادره.

٤- لم أترجم للأعلام طلباً للاختصار.

٥- أخرت بيانات المراجع إلى فهرس المراجع.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون وفقت فيما سطرته في هذا البحث للحق والصواب.

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم.

المبحث الثالث : أهمية الرد على المخالف .

المبحث الأول: التعريف بعنوان البحث

المنهج: (النهج) الطريق الواضح، يقال طريق نهج بيّن واضح، والمنهاج كالمنهج، ونهج: كمنع ووضح. وأوضح الطريق: سلكه. وأنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً. ونهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه.

قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨].

وفي الحديث: "لم يمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى تركهم على طريق ناهجة"(١). أي واضحة بينة. ونهج الأمر وأنهج لغتان. إذا وضح(٢).

ومن خلال هذه التصاريف لكملة (منهج) يتبين أن المنهج هو الطريق الواضح المستبين المؤدي إلى المقصود والمراد.

والطريق المقصود في العنوان هو: الطريق الذي سلكه القرآن الكريم، وهو الطريق الذي سنّه الله تعالى لعباده في شؤون حياتهم جميعاً.

ولما كانت هذه الأمة مأمورة باتباع منهج القرآن الكريم في جميع شؤون الحياة قُيّد هذا البحث بالرد على المخالف حتى يتبين المراد والمقصود بالحديث عن منهج القرآن الكريم في هذا البحث.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: ٥/ ٤٣٤.

(٢) لسان العرب: مادة (نهج) ٦/ ٤٥٥٤، والقاموس المحيط: باب الجيم فصل النون: ص ٢٦٦.

القرآن الكريم :

اختلف العلماء في المراد بالقرآن في اللغة: فقال جماعة هو اسمٌ علمٌ غير مشتق خاص بكلام الله، وقال آخرون: هو مصدر قرأ، زيدت فيه الألف والنون كما زيدت في الغفران والرجحان، واختلف فيه فقيل: إنه مصدر بمعنى اسم المفعول فمعنى القرآن المقروء أي المظهر المبرز أو المتلو، وقال آخرون – أيضاً –: إنه مصدر بمعنى اسم الفاعل، فالقرآن بمعنى القارئ أي جامع ثمرات الكتب المتقدمة. وحاوٍ لكل ما فيها من العلوم والمعارف.

ولا مانع من حمل كلمة القرآن على المعنيين لكونه جاء ليقرأ ويتلى وتظهر للناس أحكامه وتعاليمه، وأنه جاء أيضاً جامعاً لثمرات الكتب المتقدمة فقصره على أحد المعنيين لابد له من دليل [(١)].

هذا من حيث اللغة، أما من حيث المعنى الشرعي للقرآن الكريم فهو: كلام الله تعالى "سوره وآياته وكلماته. تكلم به بحروفه ومعانيه. ولم يُنزله على أحدٍ قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – أسمعه جبريل عليه السلام، وأسمعه جبريل محمداً – صلى الله عليه وسلم –، وأسمعه محمد – صلى الله عليه وسلم – أمته، وليس لجبريل ولا محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – إلا التبليغ والأداء وهو المكتوب في اللوح المحفوظ، وهو الذي في المصاحف، يتلوه التالون بألسنتهم، ويقرؤه المقرئون بأصواتهم، ويسمعه السامعون بآذانهم، وينسخه النساخ، ويطبعه الطابعون بآلاتهم، وهو الذي في صدور

(١) تفسير الطبري: ١/ ٦٧-٦٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي:٢/ ٣٣٩ – ٣٤١.

الحفاظ، بحروفه ومعانيه، تكلم الله به على الحقيقة، فهو كلامه على الحقيقة لا كلام غيره، منه بدأ، وإليه يعود، وهو قرآن واحد منزل، غير مخلوق، كيفما تصرّف: بقراءة قارئ، أو بلفظ لا فظ، أو بحفظ، حافظ، أو بخط كاتب، وحيث تُلي، وكتب، وقرئ، فمن سمعه فزعم أنه مخلوق فقد كفر"[1].

الرد: صرف الشيء ورجعه والرد مصدر رددت الشيء، ورده عن وجهه يرده رداً ومرداً وترداداً: صرفه، ورده عن الأمر ولدّه أي صرفه عنه برفق.

ورده عليه: لم يقبله وخطأه. والارتداد:الرجوع [2].

وفي المفردات، الرد: صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله.

يقال: رددته فارتد، قال تعالى:﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، فمن الرد بالذات قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٨]،ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله: ﴿ يَرُدُّوكُم عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

والارتداد والردة الرجوع في الطريق الذي جاء منه، لكن الردة تختص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره [3].

(١) العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية: ٨٠ .

(٢) انظر: القاموس المحيط، بال الدال فصل الراء: ٣٦٠ .

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن: ١٩٢.

والمراد بالرد في عنوان هذا البحث:

إبطال القرآن الكريم للآراء والدعاوى المخالفة للحق مع بيان فسادها وضلال القائلين بها.

المخالف: المخالف اسم فاعل من خالف يخالف فهو مخالف، وأصل هذه الكلمة من "خلف" وله معانٍ عدة أكتفي منها بخمسة، وهي:

١- التغيير:

"يقال: خلف الرجل عن خلق أبيه يخلف خلوفاً: إذا تغير عنه" [(١)].

ويقال: خلف فم الصائم خلوفاً: إذا تغيرت رائحته، وخلف اللبن والطعام إذا تغير طعمه أو رائحته [(٢)].

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: "قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، فو الذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك" [(٣)].

٢- النقيض:

فالخلف: نقيض الوفاء بالوعد والإخلاف: أن لا يفي بالعهد. وأن يعد الرجل العدة فلا ينجزها، ورجل مخلاف كثير الإخلاف لوعده، ويقال للذي لا يكاد يفي إذا وعد: إنه لمخلاف، ورجل مخالف: لا يكاد يوفي

(١) لسان العرب: ٩/ ٩٣.

(٢) انظر: المصباح المنير: ١/ ١٧٨ ولسان العرب: ٩/ ٩٢-٩٣.

(٣) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم: ٢/ ٢٢٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام ٢/ ٨٠٦، رقم ١٦١.

بوعده، والاسم من ذلك الخُلف بالضم [1].

٣- العصيان:

يقال: "خالفه إلى الشيء: عصاه إليه، أو قصده بعدما نهاه عنه" [2].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨]. أي لست أنهاكم عن شيء وأرتكبه كما لا أترك ما أمرتكم به.

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور: ٦٣].

وفي لسان العرب: "خلف فلان بعقبى: وذلك إذا ما فارقه على أمر ثم جاء من ورائه فجعل شيئاً آخر بعد فراقه" [3].

٤- عدم الاتفاق:

يقال: "تخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد منهم إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"[4].

ومنه الخلفة واللجوج.

"وتخالف الأمران واختلفا أي لم يتفقا وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف" [5].

وقيل: سمّي شجر الصفصاف بشجر الخلاف، لأنه نبت مخالفاً لأصله[6].

---

(١) انظر: لسان العرب: ٩/ ٩٤.

(٢) المصدر السابق: ٩/ ٩٠.

(٣) المصدر السابق: ٩/ ٩٠.

(٤) المصباح المنير: ١/ ١٧٩.

(٥) لسان العرب: ٩/ ٩١.

(٦) انظر: المصدر السابق: ٩/ ٩٧.

٥- **المضادة:**

يقال خالفه إذا ضاده، ومنه قولهم في المثل:

إنما أنت خلاف الضبع؛ لأن الضبع إذا رأت الراكب هربت منه [١].

وفي المفردات: "الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قال تعالى: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴾ [مريم: ٣٧]. وقال: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨]. وقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٦]، قيل: أتوا فيه بشيء خلاف ما أنزل الله [٢].

هذا من حيث اللغة – وهو بعضٌ من معاني هذه الكلمة – أما في الاصطلاح: فعلى ضوء ما توفر لدي من اجتهادات حول تعريفه – أقول والله تعالى أعلم بالصواب- .

المخالف هو: من اعتقد أو قال أو فعل ما يضاد أو يغاير أو يناقض الدليل الصريح الصحيح أو الراجح أو الأولى.

وهذا التعريف – في نظري – هو الذي يؤدي المراد بالمخالف. والله أعلم.

(١) انظر: المصدر السابق: ٩/ ٩٠.

(٢) المفردات: ١٥٦.

المبحث الثاني: أسباب اختيار منهج القرآن الكريم

سبب الاقتصار على منهج القرآن الكريم دون سائر المناهج المخالفة له، ما يلي:

١- الأدلة الكثيرة الواردة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في الأمر بالالتزام بالقرآن الكريم، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

- قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥ – ١٥٧].

- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

- قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وغير ذلك من الآيات كثير جداً.

ومن الأدلة الواردة في السنة ما يلي:

- قوله – صلى الله عليه وسلم – "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ..." (١).
- قوله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه: "أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى. قال: إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً"(٢).
- قوله – صلى الله عليه وسلم – إذا خطب: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها... " (٣).
- ما ورد عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه خط يوماً خطاً ثم قال: "هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب حجة النبي – صلى الله عليه وسلم – ٢/ ٨٩٠، رقم ١١٢٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب الوحي باب ذكر نفي الضلال عن الأخذ بالقرآن ١/ ٣٢٩، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب فضائل القرآن باب في التمسك بالقرآن ٦/ ١٢٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٩:" رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح" .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩٢، رقم ٨٦٧.

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).

- وفي الحديث سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه ستكون فتن، فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تختلف به الآراء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"(٢).

قال شيخ الإسلام – ابن تيمية – بعد ذكره لهذا الحديث: "وفي ذلك بيان أن كل علم دينٍ لا يطلب من القرآن فهو ضلال..." (٣).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير ٢/ ٢٦١، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن حبان في صحيحه ١/ ١٨٠، وأحمد في مسنده ٧/ ٢٠٧، حديث رقم ٤١٤٢، وابن أبي عاصم في السنة ص ١٣، وحسنه الألباني في تحقيقه لها، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٨٠، وحسنه الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل القرآن: ٥/ ١٧٢، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال، والدارمي في سننه كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن: ٢/ ٥٢٦، والبزار في مسنده: ٣/ ٧٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٢٦.

(٣) الاستقامة : ١/ ٢٠.

وطلباً للاختصار أكتفي بهذا القدر اليسير مما ورد في القرآن والسنة من الأمر باتباع القرآن والالتزام به.

٢- أن السلف متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب وهو أعلى منها درجة، وهيمنته عليها من وجوه متعددة منها: أنه شاهد بصدقها وبكذب ما حرف منها، ومعجز في نفسه لا يقدر الخلائق أن يأتوا بمثله، وفيه من ضرب الأمثال وبيان الآيات على تفصيل ما جاء به الرسول مالو جمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن عندهم إلا بعض ما جاء به القرآن ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر ولا كتاب آخر فضلاً عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه عن غيره، سواءً كان من علوم النقل أو علوم العقل [١].

٣- أنه لما نزل القرآن الكريم تباينت منه مواقف الناس، واختلفت اتجاهاتهم مع قصدها جميعاً النيل من قداسته، والإساءة إليه، وهذا يجعلنا نحرص على معرفة منهجه في التعامل مع هذه الاتجاهات والمواقف المتباينة لنتخذ منه منهجاً نسير عليه في سائر مواقفنا مع المخالفين، لاسيما وأن العقل البشري يتطلع دائماً إلى قوة الإقناع عن طريق الحجة والبرهان والعلم [٢].

٤- لأن طريقة القرآن الكريم في الاستدلال والإقناع أولى وأبلغ، ولو سُوّغ لناظر أن يعارض هذه الطريقة برأيه ومعقوله لما كان هناك أمر مضبوط

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٧/ ٤٣-٤٥.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٦.

يحصل له به علم ولا هدى، بل سيقع فيما يوجب حيرته وشكه، ولن يظفر بيقين يطمئن إليه، ولا معرفة يسكن بها قلبه، وقد أخبر بهذا الفخر الرازي وهو ممن جرب المسالك العقلية المخالفة لطريقة القرآن فقال: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن الكريم، اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]،﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]،﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي [١].

ولهذا لا يعرف في قديم الزمان ولا حديثه أن أحداً أقام دليلاً صحيحاً وحجة قاطعة يعارض بها أدلة القرآن الكريم وحججه، بل لم يذكروا إلا ما يدل على عجزهم وانقطاعهم.

٥- لأن من تأمل القرآن الكريم وتدبره اطلع فيه "من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة وذكر النقض والفرق المعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه" [٢].

٦- لأن القرآن الكريم لم يخضع يوماً من الأيام لقواعد وضعها البشر، فلم يلتزم طريقة المناطقة والمتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج، بل

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٧/ ٣٤٦، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٨١.

(٢) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٣٠.

جاء بلسان العرب وطريقتهم في التخاطب، فطريقته تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير، ووضوح التعبير وسلامة التركيب دون إخلال بالصورة البيانية التي تثير الضمير وتوقظ المدارك النفسية وتدفع بالعقول إلى النظر، دون ارتباط بالاصطلاحات المنطقية الفلسفية المعقدة.

والقرآن الكريم يرشد المخالف إلى العقل الصريح؛ لأن العقل هو أغلى ما يفاخر به من يناظر ويجادل، والقرآن لا يخشى نتائج العقل لأنها دائماً – إذا كانت صحيحة صريحة – لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، ولذلك أمر القرآن الكريم في نصوص كثيرة بإعمال الفكر والنظر.

وعناية القرآن واشتماله على الأدلة العقلية الصريحة جعلته حجة على كل الناس، لاسيما الذين غلبت عليهم الدراسات العقلية والفلسفية [1].

يقول الزركشي: "القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة، وأنه ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد ينبئ عن كليّات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين لأمرين:

أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[إبراهيم: ٤].

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل

(١) مناهج الجدل: ١٠٥، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٨٢- ٣٩٣.

من الكلام" [1].

٧- لأن "الاعتماد في الاستدلال على ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس دون عمل فكري عميق أقوى أثراً وأبلغ حجة، وقد اشتملت أدلة القرآن الكريم وبراهينه على ما فطرت عليه النفوس، وما تشهد بصحته العقول دون إخلال بأحكام الحجة وروعة البيان وسلامة المنطق، فهو في تناول الخاصة والعامة يأتي من الحقيقة البرهانية بما يرضي العقول، ومن المتعة الوجدانية ما يهز القلوب ويحرك المشاعر.

فالقرآن الكريم في استدلاله يفتح أمام العقل البشري آفاقاً من الحكم والعظات ويدخل على القلب أنواعاً من الأحاسيس الوجدانية من تشويق وترقيق وتحذير وتنفير وتهويل وتعجب، وإنك لتلمس ذلك في مطالع سوره وآياته [2].

قال تعالى: ﴿ مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

٨- أن القرآن الكريم "يستهدف الحقائق في ذاتها، ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة على الأمور المعينة مثل الأمور الغيبية كقصة نوح وخطابه لقومه وأحواله المعينة، وإبراهيم مع قومه وأحواله المعينة، ومثل موسى وعيسى وأحوالهما المعينة، وليس شيء من ذلك يمكن أن

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٤.

(٢) مناهج الجدل: ١٠٦- ١٠٧.

يعرف بالقياس لا البرهاني ولا غيره" [١].

فالقرآن الكريم في ردّه على المخالف إذا أراد إفحامه وإلزامه فعل ذلك بأقرب الطرق وأقواها إلزاماً وإفحاماً.

٩- لأن القرآن الكريم تعامل مع كل مخالف بما يتناسب مع حالته العلمية والاعتقادية، والأصل في هذه المعاملة أن تكون بالتي هي أحسن، ولا يعدل القرآن عنها إلا إذا كان المخالف "لم يصغ للحق ولم يستخدم عقله فيما يلقى إليه من بيان معزز بالبراهين والحجج ولعل ذلك يفهم من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[العنكبوت: ٤٦][٢].

فالغالب في القرآن الكريم مجادلة المشركين "جدل هداية ودلالة، وقد يشتمل على تخطئة بعض مزاعمهم، بينما يكون جدل القرآن مع أهل الكتاب جدل تخطئه وإلزام لأنهم على علم. أما جدل القرآن مع المنافقين فتبدوا عليه سمات الشدة والقسوة مصحوباً بالتهديد والوعيد"[٣].

ولابد من العلم بأن القرآن الكريم مع رده على كل مخالف بما يتناسب معه، فإنه "لا يُذكر فيه مخاطبة كل مبطل بكل طريق، ولا ذكر كل ما يخطر بالبال من الشبهات وجوابها، فإن هذا لا نهاية له ولا ينضبط، وإنما يذكر الحق والأدلة الموصلة إليه لذوي الفطر السليمة... فإن مثل هذا الكتاب

(١) مناهج الجدل: ٤٢٩، ومنهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: ١/ ٣٨٥.

(٢) مناهج الجدل: ٤٣٣.

(٣) المصدر السابق: ٤٣٣، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٩٣- ٣٩٦.

العزيز لا يليق أن يذكر فيه من الطرق ما يثقل على جمهور الخلق ويستركّونه ويعدونه لكنة وعياً لا يحتاج إليه، ويرونه من باب إيضاح الواضحات..."[1].

١٠- ما امتاز به القرآن الكريم من ضم للأدلة، بعضها إلى بعض فتجد "في الآية الواحدة أو في عدد من الآيات المتتابعة عدداً من الأدلة كلها تدل على مدلول واحد ولا شك أن هذا الأمر يعطي الدليل قوة، ويزيد المدلول تأكيدا" [2].

ويزيد في سبل الإقناع وضروب الهداية حتى يوافق مشارب الناس على تباين مقاصدهم وتفاوت مداركهم، فتجد كل طائفة منهم في القرآن ما يقنعها أو يرشدها أو يقطعها، وهذه الميزة مفقودة في ما سوى منهج القرآن الكريم وطريقته.

١١- لأن منهج القرآن الكريم يربط بين العقيدة والعمل "وهذه الصفة لا توجد في المناهج الوضعية التي تهدف إلى مجرد التصديق والإقناع والانتصار على الخصم، وطريقة القرآن لا تكتفي بذلك، بل تطلب لازم الإيمان والتصديق وهو العمل والعبادة لأن النفس لا تكمل بالعلم وحده إن لم يتبعه العمل" [3].

قال ابن تيمية – رحمه الله -: "مفارقة الطريقة القرآنية الكلامية، أن الله

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٨/ ٨٨-٨٩.

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: ٣٢٩، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٩٠.

(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: ٣٤٣.

أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحها، وغايتها، ونهايتها، لم يقتصر على مجرد الإقرار به، كما هو غاية الطريقة الكلامية....، فالقرآن أخبر بالعلم به والعمل له، فجمع بين قوتي الإنسان العلمية والعملية: الحسية والحركية، الإرادية الإدراكية، والاعتمادية: القولية، والعملية" [(١)].

١٢- لأن منهج القرآن الكريم قائم على نفي كل شبهة وغبش حول العقيدة فهو يفصل فصلاً تاماً بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، بخلاف ما سوى القرآن من المناهج التي تثير الشبه لاحتمالها أكثر من معنى [(٢)].

يقول ابن القيم معلقاً على قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. "فتأمل هذا الكلام وعجيب موقعه في قطع الخصوم، وإحاطته بكل ما وجب في العقل، وأخذه بمجامع الحجة التي لم تبق لطاعن مطعناً ولا سؤلاً" [(٣)].

١٣- لتضمن القرآن الكريم "بشكل لا يرقى إليه شك أصول المبادئ المنهجية العلمية في البحث والتفكير، استمدها العلماء المسلمون فدونوا في مؤلفاتهم وصفاً دقيقاً لها واعتمدوها في بحوثهم" [(٤)].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢/ ١٢.

(٢) انظر: عقيدة التوحيد: ٣٤٥.

(٣) الصواعق المرسلة: ٢/ ٤٨٩.

(٤) أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: ٦١.

قال شيخ الإسلام – ابن تيمية –: "اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة، التي توجد في كلام جميع العقلاء من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم... ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال" (١).

١٤- ما ورد في القرآن الكريم من أسس ومبادئ المنهج الاستقرائي والمنهج الاستدلالي. وقد نصيت على هذين المنهجين بسبب تغني الغرب بهما وادعائهم السبق إلى اكتشافها(٢).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية:٢/ ٤٦- ٤٧.

(٢) أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: ٦٢.

المبحث الثالث: أهمية الرد على المخالف

إن الرد على المخالف له أهميته العظمى في الإسلام، لاسيما وقد انتهجه القرآن الكريم، ومُلأت به السنة الشريفة، وقام به علماء الإسلام على مر العصور، لحماية جناب هذا الدين الحنيف والذب عنه. والكلام حول هذه الأهمية جدير بأن يكون بحثاً مستقلاً لا مبحثاً ضمن هذا البحث المتواضع[1].

وحسبي هنا الإشارة إلى بعض الشواهد والأمثلة – من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأفعال علماء الأمة وأقوالهم – الدالة على اهتمام هذا الدين العظيم وعلمائه بالرد على المخالف، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: القرآن الكريم:

لقد دلّ القرآن الكريم على أهمية الرد على المخالف من خلال آيات كثيرة جداً يمكن حصرها تحت **ثلاثة أوجه رئيسة:**

الوجه الأول:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ

(١) من الكتابات المعاصرة حول أهمية الرد على المخالف:

أ-الرد على المخالف من أصول الإسلام، للشيخ د/ بكر أبو زيد – رحمه الله -.

ب-الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، للشيخ أحمد الصويّان.

ج -فقه التعامل مع المخالف، للشيخ عبد الله الطريقي.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ [النحل:٣٦- ٣٩].

"فإن قوله – سبحانه – ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا ﴾ ، – على أحد التفسيرين – فيكون المعنى (بعثناه ليبين لهم الذي يختلفون فيه)... فبيان الخلاف بإظهار الحق من الباطل: مقصد عظيم من مقاصد بعثة الرسل؛ لتزول عن الأمة غشاوة الخلاف الطائش، والاختلاف الجائر" [1].

الوجه الثاني:

أن الرد على المخالف سبب رئيس من أسباب نزول القرآن الكريم مفرقاً ومنجماً، فقد سمّى الله سبحانه وتعالى الشبه التي أوردها الكفار أمثالاً فقال تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٤٨]. ثم بعد هذه التسمية قال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٢ – ٣٣].

ومعنى قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بحجة وشبهة ﴿ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ أي: ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم [2].

(١) الرد على المخالف: ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦/ ١١٨.

فتبين أن القرآن نزل مفرقاً ليرد على أقوال المخالفين المعارضين وعلى شبههم.

الوجه الثالث:

ما ورد في القرآن الكريم من الآيات التي ذكرت الجدال والمحاجة بين الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وبين أقوامهم، وأيضاً الآيات التي أشارت إلى آداب المجادلة والمحاجة أو ما حصل من الحوارات في الأمم السابقة – أي غير ما حصل بين الأنبياء وأقوامهم – وأيضاً ما رد الله به على شبه الكفار وأهل الكتاب وغيرهم من أهل الضلال.

ومن الآيات التي تدل على ما سبق ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٥].

٢- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ

مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٨ – ٢٦٠].

٣- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَىٰةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِىُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٥ – ٦٨].

٤- قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَٰتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ

رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨١ – ١٨٤].

٥- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

٦- قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨٣].

٧- قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨ – ١٥٠].

٨- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ...إلى قوله: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٩- ٩٥].

وقد حوت هذه الآيات قصص عددٍ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما حصل مع أقوامهم خلال دعوتهم لهم، وقد حوى المقطع ردوداً صريحة منهم على اتهامات أقوامهم.

٩- قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩١ – ١٩٩].

١٠- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠ – ٣١].

١١ – قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [يونس: ٣١ – ٤١].

١٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ٢٥- ١٠٠].

وفي هذه الآيات أيضاً ذكر لحال الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – مع أقوامهم وردهم عليهم.

١٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

١٤- قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

١٥- قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤٢ – ٤٣].

١٦- قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٨ – ٥٢].

١٧- قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾ [مريم: ٤١-٤٨].

١٨- قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

١٩- قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢٠- قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٧٨-٨٣].

٢١- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف:٤-١٢].

وغيرها من الآيات في الكتاب العزيز كثير جداً، ولكن ما سبق ذكره يدل مع الوجهين السابقين على اهتمام القرآن الكريم بالرد على المخالف إما تأصيلاً كما سبق في الوجهين الأولين وإما الرد عملياً – إن صح التعبير – من خلال ما ذُكر في الوجه الثالث من الآيات.

ثانياً: السنة النبوية:

دلّت السنة المطهرة على أهمية ومشروعية الرد على المخالف بجميع أنواعها: سواءً السنة القولية أو الفعلية أو التقريريّة، وسأذكر هنا نماذج منها فقط من غير حصر ولا توسع:

- عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال بينما نحن عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: "ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خِبت وخسرت إن لم أكن أعدل ... الحديث"[(١)].
- عن سعد بن أبي وقاص قال: "ردّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على عثمان ابن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصنا" [(٢)].
- عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[(٣)].

وهذا الحديث أصل عظيم في هذا الباب، وبه أختم ما يتعلق بدلالة السنة على هذه القضية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ٨/ ٥٢، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧٤٤، رقم ١٤٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء ٦/ ١١٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور ٣/ ١٦٧، ومسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ٣/ ١٣٤٣، رقم ١٧١٨.

ثالثاً: أقوال الصحابة ومواقفهم:

سار الصحابة – رضي الله عنهم – على ما رسمه المصطفى – عليه الصلاة والسلام – في هذه القضية سواءً بقوله أو فعله أو تقريره.

وما ورد عن الصحابة – رضوان الله عليهم – في هذا الباب كثير جداً، ويصعب حصره في هذا المقام، لذا سأكتفي ببعض النماذج مما ورد عنهم – رضي الله عنهم – من الرد على المخالفين، ومن ذلك:

١- ما حدث في عهد عمر – رضي الله عنه – مع صبيغ بن عسل التميمي: "عن نافع أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص، إلى عمر بن الخطاب فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال أين الرجل؟ قال في الرحل، قال عمر أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة، فأتاه به فقال عمر: تسأل محدثة، فأرسل عمر إلى أرطاب من الجريد فضربه بها حتى ترك ظهره خبزة، ثم تركه حتى بريء ثم عاد له ثم تركه حتى بريء فدعا به ليعود له فقال له صبيغ إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً وإن كنت تريد تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب أن قد حسنت هيئته فكتب إليه عمر أن يأذن للناس يجالسونه" [1].

٢- لما أخبر عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – عن رجل يكذب

(١) البدع والنهي عنها لابن وضاح: ٦٣.

بالقدر، قال: دلوني عليه – وهو يومئذٍ أعمى – فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: "والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته بيدي لأدفنها"[1].

٣- عن عمرو بن سلمة الهمداني قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن ! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً، ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظر رأيك، قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟ ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمّة محمد ما أسرع هلكتكم !

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي: ٣/ ٦٢٥، والسنة لعبد الله بن أحمد: ٢/ ٤١٦.

هؤلاء صحابة نبيكم – صلى الله عليه وسلم – متوافرون وهذه ثيابه لم تَبْل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوا باب ضلالة ؟ ! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حدّثنا: "أن قوماً يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمّية"، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ! ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: فرأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج" (١).

رابعاً: عصر التابعين ومن بعدهم:

بعد انقضاء عصر الصحابة – رضي الله عنهم – بل وفي آخر عصرهم أخذت البدع والمخالفات تظهر وتبرز شيئاً فشيئاً، ولم يمض زمن كثير حتى بدأت تأخذ طابع التأصيل والتقعيد، وأخذ الافتراق يسري في جسد أمة الإسلام، وبدأ الخرق يتسع على الراقع.

ولهذا كله أسباب وأحداث – ليس هذا مقام بسطها – إلا أن علماء الملة وأتباع الحق والنور لم يقفوا من ذلك موقف السلب والسكوت بل سلكوا ما سنّه نبيهم – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام، وردوا على كلّ من خالف وانحرف وشرع وابتدع، وكان ذلك بكل ألوان الرد قولاً

(١) أخرجه الدارمي في سننه: ١/ ٧٩، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٧/ ٥٥٣، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٢٠٠٥: إسناد صحيح.

وفعلاً واعتقاداً، وعلى سائر مستويات أولئك الأتباع، فلم يكن الرد قاصراً على العلماء فقط، بل أسهم فيه الولاة والأمراء ممن كان من أهل السنة وأنصارها.

وكتب الفرق والملل والنحل بل وكتب السنة والعقيدة والتاريخ، مليئة بشواهد ذلك.

الفصل الثاني

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني: بعض المخالفين الذين رد عليهم القرآن الكريم في مسائل الاعتقاد.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في الرد على المخالف في مسائل الاعتقاد

لقد سلك القرآن الكريم أفضل الأساليب في الرد على المخالف، وأحكم المناهج وأقوى الحجج، والمتأمل لهذه الأساليب والحجج يجد أنها جاءت كثيرة ومتعددة، والسر في ذلك هو تعدد المخالفين وتنوعهم، وتفاوت مداركهم، واختلاف شبههم وحججهم. فجاء هذا التعدد علاجاً لذلك التنوع والتفاوت.

"فمن ترهيب للمتغطرسين الذين يصرون على المكابرة على الرغم من ظهور الدليل، إلى ترغيب تستمال به أكثر القلوب التي تريد ثمناً لكل تصرف يحدث منهم. إلى جدل يسوق المقدمات وينطق بالنتيجة أو يطالب السامع باستنتاجها، ويزيل الشبهة التي أدت إلى اختلاط الأمر، وهو أسلوب صالح لأرباب الثقافة ومن عندهم قدرة على التمييز والفهم، إلى أسلوب تلقيني يسوق الحق جلياً واضحاً، يخاطب به الجماهير التي لا نصيب لها من ثقافة تمكنها من أن تزن الأمور وتفهم الأدلة. وبهذا التعدد في الأساليب كان القرآن قمة في رعاية ما يقتضيه حال المدعوين" [1] والمخالفين.

وقد استخرج العلماء بعضاً من هذه الأساليب التي سلكها القرآن الكريم، كل منهم على حسب ما أوتي من العلم والمعرفة، إلا أنهم لم يصلوا إلى استخراج كل ما فيه من الأساليب، لأن لكل واحدٍ منهم عقلا وزمانا

(١) أسلوب الدعوة القرآنية: ١٩٢.

محدودا، والقرآن صالح لكل زمان ومكان، فهو لا زال حمّالاً لمزيد من الأساليب التي يمكن أن يستخرجها من تأمله وتدبره.

وسأذكر هنا ما يتبين لي من المناهج والأساليب التي سلكها القرآن الكريم سواءً خالفت المناهج الفلسفية أو وافقتها لأن القرآن الكريم منهج إلهي لا يجوز أن يُرد إلى المناهج العقلية القاصرة والمحدودة.

وأيضاً فالقرآن الكريم له نمطه وطابعه الخاص في الاستدلال، فكما أعجز العرب رغم نزوله بلغتهم، فكذلك معجز للطرق الفلسفية.

ولا أعني أنه بهذا الإعجاز لا يتفق مع القواعد الفلسفية والمنطقية البتة، بل "إذا صح لنا أن نقول إن في القرآن شيئاً من المنطق فإنما هو منطق العقل والضمير، منطق الحجة والبرهان... منطق البلاغة والبيان ... وليس منطق أرسطو القائم على القياس ذي المقدمتين والنتيجة" [(١)].

وقد وقفت بحمد الله على ثمانية وعشرين أسلوباً أو مسلكاً نهجها القرآن الكريم في رده على المخالفين وهي:

أولاً: السبر والتقسيم:

السبر في اللغة: الاختبار، والتقسيم: مأخوذ من قسم الشيء إذا جزأه وفرقه.

وفي الاصطلاح: السبر: اختبار الوصف في صلاحيته وعدمها للتعليل به.

والتقسيم: حصر الأوصاف المحتملة للتعليل بأن يقال: العلّة إما كذا

(١) مناهج الجدل: ٩٥.

أو كذا.

والمراد هنا بمجموع الاسمين: حصر الأوصاف التي تصلح للتعليل في بادئ الرأي، ثم إبطال ما لا يصلح منها، فيتعين الباقي للتعليل [1].

ولهذا الأسلوب أسماء أخرى: فالجدليون يسمّونه التقسيم والترديد، والأصوليون السبر والتقسيم، والمنطقيون الشرطي المنفصل [2].

وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأسلوب ضمناً وتصريحاً في مواطن كثيرة [3]، ومن شواهد ذلك ما يلي: قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣ – ١٤٤].

فإن الكفار – لمّا حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى – ردّ الله تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال: إن الخلق لله، خلق من كل زوجٍ مما ذُكر ذكراً وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي: ما علته؟

لا يخلو: إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم

(١) التعاريف للمناوي: ٣٩٦، والمهذب في علم أصول الفقه المقارن: ٥/ ٢٠٦٧.

(٢) أضواء البيان: ٣/ ٤٩٢.

(٣) إرشاد الفحول للشوكاني: ٣٦٤.

الشامل لهما، أو لا يدرى له علة، وهو التعبدي، بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى: إمّا بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ فهذه وجوه التحريم، لا تخرج عن واحد منها.

الأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً.

الثاني: يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حراماً.

الثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معاً.

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدّعوه، وبواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي – صلى الله عليه وسلم –.

وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو: أن ما قالوه افتراء على الله وضلال"[1].

– قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

"فكأنه تعالى يقول: لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح:

الأولى: أن يكونوا خلقوا من غير شيء أي بدون خالق أصلاً.

(١) الإتقان: ٢/ ٣٥٩، وأضواء البيان: ٣/ ٤٩٣.

الثانية: أن يكونوا خلقوا أنفسهم.

الثالثة: أن يكون خالقهم خالقا غير أنفسهم.

وحصر أوصاف المحل في الأقسام الثلاثة قطعي لا شك فيه ولا رابع لها البتة، وإبطال القسمين الأولين قطعي لا شك فيه، فتعين أن الثالث حق لا شك فيه وقد حذف في الآية لظهوره، فدلالة هذا السبر والتقسيم على عبادة الله وحده قطعية لا شك فيها [1].

- قوله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ﴾ [مريم:٧٨-٧٩].

ردّ الله تعالى في هذه الآية "على العاص بن وائل السهمي قوله إنه يؤتى يوم القيامة مالاً وولداً بالدليل المعروف عند الجدليين بالتقسيم والترديد... والتقسيم الصحيح في هذه الآية الكريمة يحصر أوصاف المحل في ثلاثة والسبر الصحيح يبطل اثنين منها ويصحح الثالث... أما وجه حصر أوصاف المحل في ثلاثة فهو أنّا نقول: قولك إنك تؤتى مالاً وولداً يوم القيامة لا يخلو مستندك فيه من واحد من ثلاثة أشياء:

الأول: أن تكون اطلعت على الغيب وعلمت أن إيتاءك المال والولد يوم القيامة مما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

الثاني: أن يكون الله أعطاك عهداً بذلك، فإنه إن أعطاك عهداً لن يخلفه.

الثالث: أن تكون قلت ذلك افتراءً على الله من غير عهد ولا اطلاع غيب وقد ذكر تعالى القسمين الأولين في قوله: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ

(١) أضواء البيان: ٣/ ٤٩٤- ٤٩٥.

عَهْدًا ﴾ مبطلاً لهما بأداة الإنكار، ولا شك أن كلا القسمين باطل... فتعين القسم الثالث وهو أنه قال ذلك افتراء على الله وقد أشار تعالى إلى هذا القسم الذي هو الواقع بحرف الزجر والردع وهو قوله ﴿ كَلَّا ﴾...[1].

ثانياً: الاستفهام التقريري:

"وهو الاستفهام عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن لأحد أن يجحدها وهي تدلّ على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بإنكار الباطل"[2].

وليس مراد القرآن من هذا الاستدلال مجرد تسليم الخصم بما استفهم عنه القرآن، كما هي الحال في المناهج الفلسفية والقواعد المنطقية بل غاية القرآن تتعدى ذلك إلى دعوة الناس للانقياد للحق المسلم به ومجانبة الباطل.

وهذا النوع من الاستدلال هو من أحسن أساليب القرآن الكريم في الاستدلال؛ لأنه يتضمن من الخصائص الزائدة على المعنى المراد الإخبار به، ما يجعله أشد إثارة للاهتمام وتأثيراً في النفوس متضمناً في نفس الوقت الإلزام بالحجة التي لا تدفع.

ومرجع ذلك إلى أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل

(١) أضواء البيان: ٣/ ٤٩٢.

(٢) مناهج الجدل: ٧٦.

اهتمامه لما يلقى إليه ليتمكن من فهمه ثم الإجابة عنه. فإذا كان الاستفهام تقريرياً فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف وينتزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام، وهذا الاعتراف هو ما يريده المستفهم لأنه يؤكد حجته ويبطل حجة خصمه. ولا شك أن هذا أبلغ من الأسلوب الإخباري لما يتضمنه من هذه الخصائص"[1].

وأمثلة هذا النوع في القرآن الكريم كثيرة جداً ومنها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٣١-٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ

(١) أسلوب الدعوة القرآنية: ١٧٢.

ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[البلد:٨-١٠].

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٤٣].

ثالثاً: القصص القرآني:

لقد تفرد القصص القرآني بأنه أحسن القصص وأنه القصص الحق، وقد أدى وظيفة سامية في شؤون الدين والدنيا والآخرة جميعاً، بعد أن ابتذلتها الجاهليات، وجعلتها أسوأ وسيلة لتهييج الغرائز وإثارة الشهوات، في القديم والحديث [١].

والقرآن الكريم إذا ساق القصة في الرد على المخالف، يجعل موضوع القصة رسولاً يعترف المخالف بقدره ومكانته والسبب في ذلك أن مجيء الدليل على لسان رسول يقر بفضله المخالفون كإبراهيم عند العرب وموسى عند بني إسرائيل يعطي الدليل قوة فوق قوته الذاتية إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين: من جهة قوة الدليل الذاتية، ومن جهة أن الذي قاله رسول أمين يعرفونه، فيكون هذا قوة إضافية، وفوق ذلك فيه

(١) المنهاج القرآني: ٧٣٠-٧٣١.

إلزام وإفحام إذ أنهم يدّعون أنهم أتباعه.

وقد يجعل القرآن الكريم موضوع القصة وصية يوصي بها الرسول أمته وذريته، فيعرف المخالف أنه خان وصية الرسول الذي يدعي متابعته في وصيته.

وقد يجعل موضوع القصة أقواماً صالحين أو غير صالحين، أو على لسان حيوان فيكون لذلك غرابة تثير الانتباه، وتملأ النفس إيماناً بالحقيقة التي قد يجحدها من كرمه الله بالعقل [1].

فمن قصص الأنبياء – وهي كثيرة جداً - قصة نوح – عليه السلام – قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [نوح: ١ – ٤].

ومن قصص غير الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام – قصة أصحاب الكهف: قال تعالى: ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ١٤ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٍۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [الكهف: ١٣ – ١٥].

(١) مناهج الجدل: ٧٩- ٨٠، منهج الجدل والمناظرة: ١/ ٣٩٦- ٣٩٧.

ومن قصص غير الصالحين قصة قارون، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ ... إلى قوله تعالى ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [القصص: ٧٩- ٨٢].

ومن القصص ما جاء على لسان هدهد سليمان – عليه السلام –، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٠ – ٢٢].

رابعاً: ضرب الأمثال أو القياس:

صرح القرآن الكريم بأنه ضرب الأمثال للمخالفين، وذلك في أكثر من آية ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٣].

والأمثال القرآنية محكمة في ألفاظها ومعانيها، قاطعة في براهينها، متقنة القياس، وهي تهدي إلى الحكمة، حيث تضرب لبيان الحق في العقائد والأخلاق والمعاملات والأحوال ونحوها، ومن تفكر في الأمثال القرآنية وتدبرها وفقهها وعمل بما دلت عليه فقد أوتي حظاً عظيماً من الحكمة [1].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "ضرب [الله] الأمثال وصرفها في الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلاً تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين، وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين المختلفين، وإنكار الجمع بينهما" [2].

وقد استخدم القرآن الكريم ضرب الأمثال في الرد على المخالف لعدة أسباب منها:

١- لأن الإنسان "يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها ورشاقة لفظها، وإصابتها المعنى، وطرافتها التي تتجدد

(١) الأمثال القرآنية: ١/ ١٣٤.

(٢) إعلام الموقعين: ١/ ١٠١.

ولا تبلى، مما نرى أثره في وجوه السامعين لها وإقبالهم عليها وتسليمهم بحكمها" [١].

٢- "أن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع فإن المورد للمثل إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، ومسلم لديه. ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم وتحقق الإلزام به"[٢].

ومن الموضوعات التي رد القرآن الكريم على المخالفين فيها بضرب الأمثال ما يلي:

١- ما ضربه لمعبوداتهم من دون الله:

- قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨].

وهذا دليل قياس احتج الله به على المشركين حيث جعلوا من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجج أن يؤخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليها بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها، فقال: هل لكم من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء تخافونهم

(١) أسلوب الدعوة: ٢٩٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٩، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٨٧.

أن يقاسموكم أموالكم... والمراد إقامة الحجة على المشركين، فإنهم لابد أن يقولوا: لا نرضى بذلك، فيقال لهم:كيف تنزهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم في البشرية، وتجعلون عبيد الله شركاء له؟ فإذا بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم فيما يملكه السادة، بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه، والخلق كلهم عبيد لله تعالى، ولم يبق إلا أنه الرب وحده لا شريك له" (١).

ومن الآيات التي ضرب الله فيها الأمثال لما عبد من دونه، قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥ – ٧٦] (٢).

٢- ما ضربه من الأمثلة لبيان عجز آلهتهم:

- قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ

(١) انظر: إعلام الموقعين: ١/ ١٢٣، فتح القدير: ٤/ ٢٢٣.

(٢) انظر: بدائع التفسير: ٣/ ٤٤- ٤٦.

ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[الحج: ٧٣].

قال ابن القيم – رحمه الله – حول هذا المثل: "حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله" (١).

- وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

قال ابن القيم – رحمه الله –:"تحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم:

(١) أعلام الموقعين: ١/ ١٣٩.

٨١ – ٨٢]" [١].

والأمثلة المضروبة لحال المخالفين ومعبوداتهم في القرآن أكثر بكثير مما ذكر، والمراد بيان أن القرآن سلك هذا المسلك وهو القياس أو ضرب الأمثال في الرد على المخالفين، ومن أنواع القياس التي سلكها القرآن الكريم خلال هذه الأمثال والردود ما يلي:

١ – الأقيسة الإضمارية:

القياس المضمر هو: القياس الذي "طويت مقدمته الكبرى أو الصغرى إما لظهورها والاستغناء عنها وإما لإخفاء كذبها أي تحذف في هذا القياس أحد المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف" [٢].

وقد نص ابن أبي العز على وجود هذا النوع من الأقيسة في القرآن الكريم فقال: "إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف (إحدى المقدمات) وهي طريقة القرآن الكريم" [٣].

ومن مواطن استعماله في القرآن الكريم ما ردّ به تعالى على المخالفين – النصارى – في زعمهم إلهية عيسى – عليه السلام –قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[آل عمران:٥٩ – ٦٠].

وبيان القياس في الآية كالتالي: إذا كان الخلق من غير أبٍ مسوغاً

(١) المصدر السابق: ١/ ١١٩.

(٢) أسس التفكير: ٧٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ١/ ٣٨.

لاتخاذ عيسى إلهاً فأولى أن يكون الخلق بغير أب ولا أم مسوغاً لاتخاذ آدم إلهاً، ولا أحد يقول ذلك.

ففي هذا القياس حذفت مقدمته وكان القياس هو: إن آدم خلق من غير أبٍ ولا أمٍ وعيسى خلق من غير أب، ولو كان عيسى إلهاً بسبب ذلك لكان آدم أولى أن يكون إلهاً، وآدم ليس ابناً لله ولا إلها باعترافكم فعيسى أيضاً ليس ابناً لله ولا إلهاً [١].

ويقول الرازي في بيان هذا القياس أيضاً: "وإذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب، فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم؟ بل هذا أقرب إلى العقل، فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس" [٢].

وهذا الحذف "قد صيّر في الكلام طلاوةً وأكسبه رونقاً وجعل الجملة مثلاً مأثوراً يعطي الكلام حجة في الرد على النصارى ويذكر الجميع بأن آدم والناس جميعاً ينتهون إليه وإنما خلق من تراب فلا عزة إلا الله تعالى" [٣].

٢- القياس الطردي والعكسي:

والمراد بهذا القياس:

أ- **الطردي**: إثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الأصل فيه.

ب- **العكسي**: نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من القياس وكانت في سياق الرد

(١) تفسير القرطبي: ٤/ ١٠٣، وإعلام الموقعين: ١/ ١٣٤، وأسس التفكير: ٧٤ .

(٢) التفسير الكبير: ٨/ ٧٩.

(٣) مناهج الجدل: ص ٧٥- ٧٦.

على المخالفين قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

هذا مثلان متضمنان قياسين من قياس العكس وهو نوعان: قياس طرد، وقياس عكس، **فالمثل الأول**: ما ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء، فكيف تجعلونها شركاء لي وتعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين.

وأما المثل الثاني: فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه ولما يعبدون من دونه أيضاً فالصنم الذي يعبدونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة وأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة، والله سبحانه حيّ قادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد. فكيف تسبغون وصف الألوهية الذي هو من خصائصه تعالى على أصنامكم مع الفرق الشاسع بينهما [1].

(١) الأمثال في القرآن: ٢١-٢٢.

٣- قياس الخُلْف:

ويعني هذا القياس: "إثبات المطلوب بإبطال نقيضه" [١]. وسمّي بقياس الخلف: إما لكونه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف لأخذ المطلوب من المقدمة المتروكة والمجهولة، وهي مقدمة الخصم الكاذبة وذلك بالبرهنة بكذبها على صدق نقيضها، وإما لكونه مضافاً إلى الخلف، وهو الكذب المناقض للصدق [٢].

وهذا النوع من القياس يسميه علماء الكلام دليل التمانع ويستدلون له من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ويقرر أهل الكلام هذا الدليل بأنه "لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب وإن هذا التنازع يؤدي إلى فسادهما لتناقض الإرادتين، ولكنهما صالحان غير فاسدين فبطل ما يؤدي إلى الفساد فكانت الوحدانية فسبحان الله رب العرش عما يصفون" [٣].

ولا شك أن هذا التقرير منهم نابعٌ عن منهجهم القاصر في تقرير التوحيد، حيث ظنوا أن توحيد الربوبية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا باطل.

بل كانت دعوتهم إلى توحيد الألوهية الذي هو الغاية المقصودة،

(١) مناهج الجدل: ٧٧.

(٢) الأدلة العقلية في القرآن: ٤٦٩.

(٣) مناهج الجدل: ٧٨.

وشاهد هذا من الآية السابقة أن الله – جلّ وعلا – لم يقل "لو كان فيهما إلهان، بل المقدر آلهة غير الإله المعلوم أنه إله، فإنه لم ينازع أحد في أن الله إله حق، وإنما نازعوا هل يتخذ غيره إلهاً مع كونه مملوكاً له ..."[1].

وليس هذا مقام البسط في الرد على هذا المعتقد الخاطئ لدى أهل الكلام، بل المقصود تقرير أن دلالة التمانع في الآية صحيحة في إثبات الألوهية المتضمنة للربوبية.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا القياس أيضاً:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

فهذه الآية لإثبات أن القرآن الكريم من عند الله تعالى، فإذا أثبت أنه لا اختلاف فيه ولا تناقض، بطل أن يكون من عند غير الله، فلزم أن يكون من عنده سبحانه [2].

- وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٢]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

٤- قياس ما في الغيب على المشاهد:

وتعريف هذا القياس "أن نساوي بين ما غاب عن حسنا مما أخبرنا به وبين ما نعرفه فيكون ذلك أدعى لفهمنا وأسهل في تصورنا وتكون لنا به العناية إن كان حسناً، والبعد إن كان سيئاً " [3].

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٩/ ٣٦٩-٣٧٠، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٣/ ٢٤.

(٢) منهج الجدل والمناظرة: ٤٠٢.

(٣) المدخل: ٥٩.

قال ابن تيمية – رحمه الله -: "لا ريب أن قياس الغائب على الشاهد يكون تارة حقاً وتارةً باطلاً وهو متفق عليه بين العقلاء" (١).

وهذا النوع من القياس ينقسم إلى قسمين:

الأول: "قياس فاسد: وهو قياس الكفار حالهم في الآخرة على حالهم في الدنيا، وذلك بحصول النعيم لهم في الآخرة كما حصل لهم في الدنيا" (٢).

قال تعالى مشيراً إلى قياسهم هذا: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبأ: ٣٥-٣٨].

الثاني: قياس صحيح ومنه قياس أمور الآخرة على ما في الحياة الدنيا لهدف التقريب لا المماثلة.

وقد برز هذا النوع من القياس في ردود القرآن الكريم على من أنكر البعث والنشور ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ

(١) بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٣١٧.

(٢) المدخل: ٥٩.

وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٧٨ – ٨١].

- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣].
- وقوله جلّ وعلا: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْۦِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩]. إلى غير ذلك من الآيات التي قربت أمور الآخرة بأحداث الدنيا.

٥- قياس الدلالة:

وهو: "الجمع بين الأصل والفرع في الحكم، بدليل العلة وملزومها"(١).

ومن الآيات التي ورد فيها هذا القياس قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْۦِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: ٣٩].

ففي هذه الآية الكريمة قاس الإحياء على الإحياء، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه، وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة، وقد كرر سبحانه أمثال هذا الدليل في كتابه مراراً، وذلك لصحة مقدماته، ووضوح دلالاته، وقرب تناوله وبعده عن كل معارضة وشبهة (٢).

(١) إعلام الموقعين: ١/ ١٣٨.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٣٩ – ١٤٥.

٦- **القياس الشرطي** [١]:

وهو القياس الذي تكون إحدى قضاياه شرطية.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا النوع من القياس قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقد رد الله – جلّ وعلا – بهذه الآية الكريمة وعلى هذه الصورة من القياس على كل من رفع محمداً – صلى الله عليه وسلم – فوق مكانته التي وهبه الله إياها. وصورة هذا القياس الشرطي كالتالي:

إذا كان من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب بشر (فعل شرط).

ومحمد – صلى الله عليه وسلم – لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا يعلم الغيب.

إذن محمد – صلى الله عليه وسلم – بشر (جواب الشرط).

٧- **قياس العلة** [٢]:

والمراد بهذا القياس: أن تكون العلة في الفرع أولى بالحكم منها في الأصل.

وهذا النوع ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ

(١) انظر: أسس التفكير: ٧٣.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٤٢٦، إعلام الموقعين: ١/ ١٣٤، الحوار مع أهل الكتاب: ١٩٠.

﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ – ٦٠].

وتقرير هذا النوع على هذه الآية كالتالي: إذا اتخذوا عيسى إلهاً لأنه خلق من غير أب فآدم أولى لأنه خلق من غير أب ولا أم، وهذا من باب تشبيه الغريب بالأغرب؛ لأن خلق عيسى من خلق آدم، وذلك ليكون أقطع للخصم، وأوقع في النفس.

ومن الشواهد أيضاً لقياس العلة، قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، أي قد كان من قبلكم أمم أمثالكم فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك كان تكذيبهم بآيات الله ورسله، وهم الأصل وأنتم الفرع، والعلة الجامعة التكذيب، والحكم الهلاك [1].

خامساً: مطالبة المخالف بتصحيح دعواه وإثبات كذبه في مدّعاه:

وهذا المنهج كثير في القرآن الكريم وهو منهج يفحم المخالف ويقطع عليه حجته.

ومن الآيات التي ورد فيها هذا المنهج قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠].

(١) إعلام الموقعين: ١/ ١٣٤.

وهذه المطالبة في هذه الآية:"بين أمرين لابد من واحد منهما، وقد تعين بطلان أحدهما فلزم ثبوت الآخر، فإن قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ خبر عن غيب لا يعلم إلا بالوحي، فإما أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كذباً، وإما أن يكون مستنداً إلى وحي من الله وعهد عهده إلى المخبر، وهذا منتفٍ قطعاً، فتعين أن يكون خبراً كاذباً قائله كاذب على الله تعالى" (١).

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

ففي هذه الآية الكريمة يجيبهم تعالى"عن دعواهم خلوص الآخرة لهم بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لأن الحبيب لا يكره لقاء حبيبه، والابن لا يكره لقاء أبيه، لاسيما إذا علم أن كرامته ومثوبته مختصة به، بل أحب شيء إليه لقاء حبيبه وأبيه، فحيث لم يجب ذلك ولم يتمنه فهو كاذب في قوله مبطل في دعواه" (٢).

سادساً: القول بالموجب (٣):

والمراد به ردّ كلام الخصم ودعواه من فحوى كلامه وهو قسمان:

الأول: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم،

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٤٤، تفسير ابن كثير: ١/ ١١٨، مناهج الجدل: ٨٠.

(٢) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٥٠.

(٣) انظر الإتقان: ٥/ ١٩٦٠.

فيثبتها لغير ذلك الشيء، ومثاله قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

فـ (الأعز) في كلام المنافقين وقعت كناية عن فريقهم، (والأذل) كناية عن فريق المؤمنين، أثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، إذ أثبتها تبارك وتعالى له ولرسوله وللمؤمنين، فكأنه قيل صحيح ما تقولون (ليخرجن الأعز منها الأذل) ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون، وأنتم الأذل وستخرجون منها.

الثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعقله.

ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ [التوبة: ٦١]، وذلك أن المنافقين كانوا يؤذون الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقولهم (﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ أي يصدق كل ما يقال له ويسمعه، فيقول الله سبحانه وتعالى رداً عليهم قل إنه يسمع ولكنه يسمع الخير ويقبله وهو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب ويصدق بالله ويصدق المؤمنين[1].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١١٠.

سابعاً: فرض التسليم [١]:

ويكون التسليم بأن يفرض المحال: إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلّم وقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على تقدير وقوعه.

- كقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[المؤمنون: ٩١].

والمعنى: ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمرٌ، ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعداً محال لما يلزم منه من المحال. والفرق بين التسليم وقياس الخلف السابق أن التسليم ينفرد عن قياس الخلف بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال [٢].

ثامناً: الإسجال:

والمراد به "أن تثبت على لسان خصمك ألفاظاً في سياق آخر تسجل به عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار" [٣].

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى في الرد على المنافقين: ﴿ وَإِذَا

(١) انظر الإتقان: ٥/ ١٩٦٠-١٩٦١.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٨٢.

(٣) مناهج الجدل: ٨٢، الإتقان: ٥/ ١٩٦١.

قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٣].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "حكم العزيز الحكيم بين الفريقين بأن أسجل على المنافقين أربع إسجالات أحدها: تكذيبهم، والثاني: الإخبار بأنهم مفسدون، والثالث: حصر الفساد فيهم بقوله: ﴿ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ ، والرابع: وصفهم بغاية الجهل وهو أنه لا شعور لهم البتة بكونهم مفسدين... وأما السفهاء الذين لا عقل يميزون به بين النافع والضار فلا يجب علينا موافقتهم، فرد الله تعالى عليهم وحكم للمؤمنين وأسجل على المنافقين بأربعة أنواع: أحدها: تسفيههم، الثاني: حصر السفه فيهم، الثالث: نفي العلم عنهم، الرابع: تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من الإخبار عن سفه أهل الإيمان، وخامس أيضاً: وهو تكذيبهم فيما تضمنه جوابهم من دعواهم التنزيه من السفه" (١).

ومن أمثلة الإسجال أيضاً قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٨].

ففي هذه الآيات إسجال بالإيتاء والإدخال، وحيث وصفا بالوعد من الله

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٣١-٤٣٢.

الذي لا يخلف وعده. وما يشبه هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٤].

تاسعاً: الانتقال في الاستدلال:

والمراد به "أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل، أو من مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول، أو عند فهمه وجه الدلالة ولكنه يقصد المغالطة فيأتي بدليل أو مثال آخر لا يجد الخصم معه مفراً دون الانقطاع أو التسليم" [(١)].

ومن الآيات التي ورد فيها هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

عاشراً: مجاراة المخالف لتتبين عثرته [(٢)]:

والمراد بها أن تسلم للمخالف بعض مقدماته بقصد تبكيته وإلزامه، وذلك ببيان أن هذه المقدمات المسلّم بها لا تنتج ما يريده هو، بل هي مساعدة على إنتاج ما تريده أنت.

ومثال هذا من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ

(١) الإتقان: ٥/ ١٩٦١، مناهج الجدل: ٨٢.

(٢) انظر الإتقان: ٢/ ١٠٦٠، ومناهج الجدل: ٨٣.

مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[إبراهيم: ١٠ – ١١].

فقولهم: إن نحن إلا بشر مثلكم فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس هذا مرادهم، بل مرادهم مجاراة المخالف ليعثر، وذلك بالتسليم بدليله لكن مع منع الدلالة. وذلك ببيان أن البشرية لا تنافي الرسالة، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره، لكن هذا لا ينافي أن يمّن الله علينا بالرسالة؛ لأن سنة الله جرت أن يكون المرسلُ من جنس المرسلِ إليهم، وذلك ليعرفوا قدره ومكانته وصدقه وأمانته، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤ – ٩٥].

الحادي عشر: الاحتجاج على المخالف بالتشهي والتحكم:

ويكون هذا الاحتجاج بأن يقول صاحب الحق للمخالف: "لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك مالا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان القول موافقاً لما تهواه وتشتهيه إما من تقليد من تعظمه أو موافقة ما تريده قبلته وأجزته، فترد ما خالف هواك وتقبل ما وافق هواك" [1] ولا شك أن هذا يفحم المخالف ولا جواب له عليه البتة،

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٤٤.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ... [إلى قوله] ... أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

قال ابن القيم – رحمه الله – عن الاحتجاج بهاتين الآيتين أنهما: "مفحمان للخصم لا جواب له عليهما البتة، فإن الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه، والتزام بعض شرائعه يوجب التزام جميعها، ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات إذ لو كان الشرع تابعاً للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه وكانت شهوة كل أحد وهواه شرعاً له: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١]. (١)

الثاني عشر: المناقضة (٢):

والمراد بها إبطال دعوى الخصم بإثبات نقيضها، ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٤٥.

(٢) انظر: مناهج الجدل: ٨٥، واستخراج الجدال من القرآن الكريم: ١١٤، تفسير القرآن العظيم: ٢/ ١٥٦.

نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٨٣]، والنقض في هذه الآية هو في قوله تعالى: ﴿ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١]، والنقض في هذه الآية هو في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، النقض في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ [القصص: ٤٨]، والنقض هنا في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾.

الثالث عشر: إثبات أن المخالف لا حجة له وأن البرهان قام على خلاف دعواه(١):

ومن أمثلة هذا المسلك والنوع في القرآن الكريم ما يلي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: ٤٢ – ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۚ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨٢]. فكأن إبراهيم – عليه السلام – قال لهم: إن المحاجة لا تقوم إلا على الحجة والبرهان، ولم تثبتوا على مدعاكم شيئاً من ذلك، أما أنا فقد قام البرهان على هدايتي إلى طريق الحق والصواب، فلم لا تقبلون الحق المؤيد بالحجة والبرهان.

الرابع عشر: الدعوة إلى الملاحظة العلمية لما في الكون من ظواهر وآثار:

وهذا النوع سلكه القرآن الكريم وأكثر منه جداً في الرد على أعداء التوحيد ومخالفيه، بل أمر به المؤمنين الموحدين وسلك ذلك بصور شتى وأساليب عدة ومن ذلك على سبيل الإجمال ما يلي:

(١) انظر: مناهج الجدل: ٨٦، وبدائع الفوائد: ٢/ ٤٥٢، والحوار مع أهل الكتاب: ١٩٩.

١ - الرد على المخالفين بدليل الخلق:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٣ - ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾[البقرة :١١٦-١١٧].

ودليل الخلق هذا له دلالة يدخل فيها وجود الحيوان كله، ووجود النبات ،ووجود السماوات، وهذه الطريقة تبنى على أصلين موجودين بالقوة في جميع الفطر : أحدهما: أن هذه الموجودات مخلوقة مخترعة . الثاني : أن لكل مخلوق خالقا .

فيصح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً خالقاً مخترعاً له . (١)

٢- الرد على المخالفين بدليل العناية أو التناسق (٢):

بين القرآن الكريم أنه لا يوجد شيء في الكون إلا في محله المناسب وبالقدر المناسب، فكل ما فيه في غاية الحكمة والعناية والإتقان ومن الأمثلة القرآنية على هذا المسلك:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ

(١) الكشف عن مناهج الأدلة : ٦١ .

(٢) انظر: عقيدة التوحيد: ١٤٧.

ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣١ – ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[الحجر:١٩–٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ﴿٦﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴿٧﴾ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴿٨﴾ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ﴿٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ﴿١١﴾ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴿١٢﴾ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴾ [النبأ: ٦ – ١٦].

وهذا المسلك الذي سلكه القرآن – مسلك الملاحظة – يمتاز بأن "تأثيره ذاتي متجدد، لا يختص بعصر دون عصر، ولا بجنس دون جنس ولا بمستوى ثقافي دون آخر، فمتى وجه الإنسان فكره إلى هذا السبيل انثالت عليه تأثيراته العقلية والروحية، فلا يملك لها دفعاً. وكلما ازداد علماً ازدادت قدرته على استقبال فيض أعظم من هذه التأثيرات"[1] وعبر بعضهم عن هذا المنهج بما يسمى بالمنهج الاستقرائي أو المنهج الفرضي العلمي. واستدل بآيات كثيرة على أن القرآن الكريم وضح "أهمية الملاحظة

(١) أسلوب الدعوة: ٣٤٣.

الدقيقة لما يجري حولنا من الظواهر الكونية الحسية وإثبات صدق القضايا المختلفة عن طريق الاستقراء الذي يعتمد على التجربة الحسية الواقعية وليست التجربة العملية كما هو الحال في التجربة العلمية وهي تجارب واقعية تتضمن روح المنهج الاستقرائي في اتخاذ التجربة الحسية محكاً للصدق وفي اعتمادها على الواقع المشاهد الملموس"[1].

الخامس عشر: إفحام المخالف ببيان أن دعواه تلزمه القول بما لم يقل به أحد وبما لم يعترف به هو:

ومثال هذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٠ – ١٠١].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "وأما منافاة عدم المصاحبة للولد فظاهر أيضاً، لأن الولد إنما يتولد من أصلين فاعل ومحل قابل يتصلان اتصالاً خاصاً فينفصل من أحدهما جزء في الآخر يكون منه الولد، فمن ليس له صاحبة كيف يكون له ولد؟ ولذلك لما فهم عوام النصارى أن الابن يستلزم الصاحبة لم يستنكفوا من دعوى كون مريم آلهة وأنها والدة الإله عيسى، فيقول عوامهم: يا والدة الإله اغفري لي، ويصرح بعضهم بأنها زوجة الرب ولا ريب أن القول بالإيلاد يستلزم ذلك أو إثبات إيلاد لا يعقل ولا يتوهم، فخواص النصارى في حيرة وضلال، وعوامهم لا

(١) أسس التفكير: ٦٤.

يستنكفون أن يقولوا بالزوجة والإيلاد المعقول، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، والقوم في هذا المذهب الخبيث أضل خلق الله، فهم كما وصفهم الله بأنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل" (١).

السادس عشر: التحدي:

ويكون هذا التحدي على أمرين:

١. صدق دعوى صاحب الحق.

٢. بطلان دعوى المخالف.

وكلا الأمرين ورد في القرآن الكريم.

أولاً: صدق دعوى صاحب الحق:

بعد أن نزل القرآن الكريم على الرسول – صلى الله عليه وسلم – شكك المشركون في مصدره فأبطل الرسول – صلى الله عليه وسلم – جميع شبههم حوله وكان من أساليب رده عليهم في هذه المسألة التحدي حيث قال إن هذا القرآن الكريم من عند الله تعالى وليس من عند البشر وتحداهم في الإتيان بمثله أو ببعضه :

قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن

(١) بدائع الفوائد: ٢/ ٤٥٥.

مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

ولما عجزوا بعد هذه التحديات جميعاً، سجل عليهم هزيمتهم وأعلن ظفر القرآن بالإعجاز وكذبهم فيما ادعوه من نسبة إلى غير الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. (١)

ثانياً: التحدي على بطلان دعوى المخالف:

وقد ورد هذا في القرآن الكريم حينما أراد بيان عجز آلهة المشركين وضلالها على لسان كثير من الأنبياء ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٤ – ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وغير ذلك من الآيات التي تحدى بها سائر الأنبياء أقوامهم أن يلحقوا

(١) مناهل العرفان: ١/ ٣١٢.

بهم ضرراً ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٨ – ٧٠].

ومنه أيضاً ما ورد في القرآن الكريم من ذكر مباهلته – صلى الله عليه وسلم – لنصارى نجران، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

السابع عشر: توضيح الرد وتبسيطه أمام ذهن المخالف بتحليله إلى عناصره البسيطة:

وقد ردّ الله تعالى بهذا الأسلوب على منكري البعث فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٦ – ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً

فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٦].

الثامن عشر: كشف ما يخفيه المخالف في نفسه:

وهذا أسلوب سلكه القرآن الكريم مع المخالفين وخصوصاً مع المنافقين حيث كان يكشف للرسول – صلى الله عليه وسلم – ما يدور في أنفسهم من السوء والنفاق ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٩].

- وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٣ – ١٤]. إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

التاسع عشر: المنهج المقارن (١):

والمراد به المنهج الذي نوصل به المخالف إلى الحقيقة عن طريق المقابلة والمقارنة بين الأحداث والآراء بعضها ببعض لكشف ما بينها من تشابه أو اختلاف أو علاقة.

ومن الآيات التي ردت على المخالفين على طريقة هذا المنهج ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾[الأنعام: ١٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر: ١٩ – ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠].

ولا شك أن سلوك هذا المسلك الذي سلكه القرآن يساعد المخالف

(١) انظر: أسس التفكير: ٨٨.

على إدراك الحقيقة ويوضح له الفروق بين المتناقضات والعلاقة بين الأشياء حتى يسهل الوقف عليها ومعرفتها معرفة صحيحة.

العشرون: الترغيب والترهيب:

وهذا مسلك ناجع لمن لا تجدي معهم أساليب الإقناع والحجج فيلجأ معهم إلى الترغيب بالنصر والتمكين في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة وكذا بالخسارة والذلة في الدنيا لمن خالف ولا يكفي الترهيب بالدنيا بل وفي الآخرة حسرة وندامة نسأله تعالى العافية والسلامة.

ومن الآيات التي سلك فيها القرآن الكريم هذا المسلك مع المخالفين ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي

ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت: ١٣ – ٢٤].

الحادي والعشرون: الأسلوب التلقيني:

وهو أسلوب يسوق القضايا ويقرر الحقائق على هيئة أسئلة توجه للمخالف حول الحقائق الأولية التي لا يمكن لأحدٍ أن يجحدها وذلك لتقريره بالحق واعترافه بإنكار الباطل.

وهذا الأسلوب ورد كثيراً في القرآن الكريم ومن أمثلته ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٣ – ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٦ – ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة:٥٨– ٧٤].

الثاني والعشرون: التوكيد والتكرار (١):

وهذا الأسلوب ردّ القرآن الكريم به على المخالفين لأنه من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به.

وقد توسع القرآن الكريم في استخدام هذا الأسلوب توسعاً يتجاوز

(١) أسلوب الدعوة: ٣٤و ٣١٣.

به أساليبه المصطلح عليها، ولم يقتصر في استخدامه على غرض دون غرض بل إنه يكاد يستخدمه في التعبير عن قضاياه كلها، فهو يؤكد صفاته تعالى، ويؤكد حين يعد أو يوعد، ويؤكد حين يدعو للعقائد، وحين يدعو للعبادات وحين يدعو للمعاملات، ويؤكد كلما كان الخبر محل إنكار أو شك وكلما توغل الخبر في الشك زادت ألوان التأكيد لانتزاع الشك من جذوره. وهذا كله تأكيد يلاحظ فيه حال المخاطب.

وهذا مثال لاستخدامه تعالى هذا الأسلوب في الرد على من أنكر هذا الدين وتوقع سرعة زواله وتثبيت لأهل هذا الدين وأتباعه: قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

ووسائل التوكيد في هذا المثال متعددة منها [١]:

القسم المحذوف الذي دخلت اللام على جوابه، واللام الداخلة على جواب القسم، ونون التوكيد الثقيلة في ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ و ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ ﴾ و﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم ﴾، واسمية الجملة في قوله ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ، وضمير الفصل ﴿ هُمُ ﴾ .

ومن الآيات الأخرى التي استعمل القرآن التوكيد فيها للرد على

(١) أسلوب الدعوة: ٣١٥.

المخالف: قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٣]. فهذا تأكيد بالقسم وهو كثير في القرآن الكريم.

ومن التأكيد أسلوب التكرار ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات : ١٥]،فقد تكررت في سورة واحدة مرات عدة.

الثالث والعشرون: التنزل مع المخالف [١]:

والمراد به أن يتخلى كل من الفريقين عن وجهة نظر مسبقة وإعلانهما الاستعداد لتقبل الحقيقة.

ومثاله في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٤ – ٢٦].

الرابع والعشرون: البدء من نقطة التقاء [٢]:

والسبب في اتباع هذا المنهج أن المخالف لا يعدم من نقطة خير أو صواب فيبدأ بهذا الخير أو الصواب إما بالدخول إليه أو بالدخول منه ثم ينمى ويسار به إلى ما يُراد إيصاله إليه.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ

(١) انظر: أدب الحوار والمناظرة: ٦٧.

(٢) انظر: أدب الحوار والمناظرة: ٨٠.

ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٨ – ٢٢].

الخامس والعشرون: إنهاء الحوار عند اللجاجة [1]:

إذا وصل الحال بالمخالف وقت الرد عليه ومحاورته إلى حد اللجاجة والخوض والاستهزاء فإن القرآن شرع في مثل هذا الحال إنهاء الحوار معه بصور شتّى ومنها:

١-الإعراض: كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢- القيام: كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ

(١) أدب الحوار والمناظرة: ٨٨.

ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

السادس والعشرون: عدم الخوض مع المخالف فيما لا ينبني عليه عمل:

لقد شرع القرآن الكريم هذا المنهج وسلكه ومن الآيات القرآنية التي قعّدت مثل هذا المنهج قوله تعالى: ﴿ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١].

ومن الآيات القرآنية التي سلكت هذا المنهج قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٢] فكانت إجابة هذا السؤال الذي لا يترتب عليه عمل ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴾[النازعات: ٤٣]،وقوله تعالى:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ ﴾ حيث لم تكن إجابة هذا السؤال عن كنه الأهلة وكيفيتها وإنما أجاب بعملها فقال: ﴿ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فكان السؤال إتيان البيوت من ظهورها، والله يأمر أن تؤتى البيوت من أبوابها.

السابع والعشرون: كشف ماضي المخالف حتى لا يغتر به:

قد يكون المخالف صاحب مكانة أو وصف يجعل البعض يتأثر بمخالفته، فكيف يكون التعامل معه؟

هذا ما حصل من أهل الكتاب فقد كان وصفهم بأنهم أهل كتاب قد يؤثر على البعض وقت نزول القرآن لما يراه منهم من تعنت وعناد وعدم إيمان بالرسول – صلى الله عليه وسلم – ورسالته، فأطال القرآن الكريم في الرد عليهم وإبطال ما عندهم وأقام الأدلة على "أن لهم من سوابق المخالفات لرسولهم مالا يستغرب معه مخالفتهم لمحمد – صلى الله عليه وسلم – وينقض عليهم دعاويهم الباطلة وتزكيتهم لأنفسهم ببيان ما يضاد ذلك من أحوالهم وأوصافهم" [(١)].

ومن الآيات المبينة لهذا قوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٥٣].

الثامن والعشرون: مطالبة المخالف بالدليل على ما يدعيه [(٢)]:

كل دعوى لابد من إقامة الدليل عليها، وإلا كانت مجرد دعوى خلية عن البرهان، والدليل إما أن يكون نقليا أو عقلياً، والمطلوب في النقلي الصحة وفي العقلي صراحته وبيان حجته.

(١) القواعد الحسان: ٢٦.

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ٢/ ٦٩١، والرد على المخالف: ٦٤.

وهذا ما قرره القرآن الكريم في أكثر من موضع بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١]. وهذا عام في كل دعوى، ولهذا قال أهل العلم: "إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل".

ومن الشواهد القرآنية لهذا الأسلوب مع المخالفين:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

- قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾[الأنبياء: ٢٤].

- قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤]، ففي هذه الآية طالبهم بالدليل العقلي ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ ﴾ وبالدليل النقلي ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ [الأحقاف: ٤].

المبحث الثاني
بعض المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم في مسائل الاعتقاد

لقد ردّ القرآن الكريم على شبهات عديدة وعلى مخالفين كثر، ومع ذلك فهو – كما سبق – لم "يذكر فيه مخاطبة كل مبطل بكل طريق، ولا ذكر فيه كل ما يخطر بالبال من الشبهات وجوابها، فإن هذا لا نهاية له ولا ينضبط"[(١)] وعلى هذا أيضاً فلن أعمد إلى استقصاء كل ما ورد فيه من مخالفين وشبهاتهم، ولكن سأعرض لأبرز المخالفين الذين ردّ عليهم القرآن الكريم مع ذكر بعض شبهاتهم وجوابه عليها، وأول هؤلاء المخالفين الضالين هو:

أولاً: إبليس – لعنه الله –:

"إن أول شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم – عليه السلام – وهي الطين، وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسادت في الخليقة وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال" [(٢)].

وقد ذكر الله تعالى هذه الشبهة في مواطن عدة في القرآن الكريم ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٨/ ٨٨.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني: ٧.

وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١١ - ١٢].

وقد بيّن أهل العلم أن شبهة إبليس هذه داحضة من وجوه، عدة ليس هذا مقام ذكرها(١).

وقد بيّن القرآن ما عاقبه الله به وقد كان رداً ملائماً لعناده واستكباره وهذا الرد مذكور في مواطن عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣ - ١٨].

ثانياً: المشركون:

نزل القرآن الكريم على محمد - صلى الله عليه وسلم - في وقت ضرب الشرك بأطنابه أرجاء المعمورة، فأخذت تموج بالخرافات والوثنيات من عبادة الأصنام والكواكب والجن والملائكة وغيرها ومن هنا أخذ القرآن الكريم يرد عليهم ويدعوهم إلى الحق- إلى عبادة الله وحده دون ما

(١) انظر: بدائع الفوائد: ٢/ ٤٣٨- ٤٤٣، واستخراج الجدل: ٦٠.

سواه- وسلك في هذه الدعوة سبلاً ووسائل شتى ليس هذا مقام حصرها لذا سأكتفي بنماذج من القضايا التي ردّ عليهم فيها:

أولاً: قضية التوحيد (١):

وهي الأساس فالقرآن كله ردٌ عليهم في هذه القضية التي خالفوا فيها، ومن ردود القرآن الكريم عليهم فيها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٦ – ١١٧].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

- وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: ١٣٧-٣٠٢.

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧١]. وغير ذلك من الآيات كثير جداً.

ثانياً: قضية البعث والنشور:

استبعد المشركون أن يبعثوا بعد الموت أيما استبعاد، وأنكروا ذلك وتعجبوا منه وقد صور القرآن الكريم هذا الإنكار منهم، قال تعالى: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ١ – ٣].

ومن الآيات التي ردّ الله بها تعالى عليهم في هذه القضية قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٧٧ – ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ

قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٤٩ – ٥٢]. إلى آخر الآيات التي ردّ الله بها تعالى عليهم في إنكارهم للبعث.

ثالثاً: قضية بشرية الرسول – صلى الله عليه وسلم -:

تذرع المشركون في إنكار نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ببشريته وقد نقل القرآن الكريم هذا عنهم في مواضع عدة منها : قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [التغابن: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤].

وقد ردّ عليهم القرآن في مواطن عديدة منها قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[إبراهيم: ١١]. وما رد القرآن عليه من قضايا المشركين كثير جداً، ولعل فيما سبق كفاية في الدلالة على رده عليهم وإبطال ضلالاتهم.

ثالثاً: اليهود:

لم تحظ ملة من الملل ولا قوم من الأقوام بالحديث عنهم بمثل ما حظي به اليهود من الشمول والتفصيلات في القرآن الكريم [1].

وليس هذا مقام حصر لما ذكره القرآن الكريم عنهم، ولا حصر لردوده عليهم وعلى مخالفتهم، ولكن سأذكر بعضاً من ردوده عليهم ومنها:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران: ٧٢ - ٧٤].

- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ

(١) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود: ٣٠.

وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٥ – ٧١].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨١ – ١٨٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾[المائدة: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨ – ٢٩].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي ردّ القرآن الكريم بها على اليهود.

رابعاً: النصارى:

كان للنصارى أيضاً من تخصيص القرآن الكريم لهم بعض الردود حظاً ليس بالقليل، فقد تعرض لكثير من عقائدهم وبيّن فسادها بل وكفر أهلها ومن تلك الآيات:

- قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٢ – ٧٣].

– وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ – ٦١].

– وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧١ – ١٧٢].

– وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣٢].

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الصف: ٦-٧].

إلى آخر الآيات الكثيرة التي ردّ بها القرآن على مفتريات النصارى وشبهاتهم.

خامساً: المنافقون:

وهم صنف لم يكن موجوداً عند ابتداء نزول القرآن الكريم، لأنهم لم يظهروا في الإسلام إلا في العهد المدني، ومن حين ظهورهم تولى القرآن الكريم الرد على شبهاتهم وكشف نواياهم الخبيثة حتى لا يتأثر بهم بعض المسلمين ومن تلك الردود التي ردّ بها القرآن الكريم على المنافقين ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ

هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ٨-١٦].

- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٦ - ١٦٨].

- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟

ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٥ – ٤٩].

– وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ... الآيات ﴾ [التوبة: ٥٨].

– وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١].

وغيرها من الآيات في هذه السورة التي فضحت خبث المنافقين وسوء نياتهم حتى سميت بسورة الفاضحة لكثرة ما ذكرت عنهم وعن صفاتهم.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أحمد الله جلّ وعلا الذي وفق لاختياره ويسر وأعان على الكتابة فيه فله الحمد جلّ وعلا أولاً وآخراً.

ومن الأمور التي يحسن أن تذكر في خاتمة هذا البحث ما يلي:

١- أن الدين الصحيح كما يقوم على تقرير العقيدة فهو أيضاً يقوم على الرد على المخالف، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، والقرآن الكريم خير شاهد على ذلك، فهو مليء بالآيات المقررة للعقيدة الصحيحة وأيضاً بالآيات التي ترد على شبه المخالفين وتبطلها كما سبق في هذا البحث.

٢- أن الانتماء الحق لأهل السنة والجماعة يقتضي الالتزام بمنهج المصدر الأول عندهم – القرآن الكريم – في كل الأمور، ومنه الرد على المخالفين وخصوصاً من قبل علماء أهل السنة والجماعة.

٣- أن القرآن الكريم ردّ على أصناف عدةٍ من المخالفين في الاعتقاد، في قضايا وشبهات متعددة ومختلفة.

٤- أن البراهين والحجج التي ردّ بها القرآن الكريم على المخالفين في الاعتقاد، اشتملت على ما فطرت عليه النفوس، وشهدت بصحته العقول، مع روعة البيان وسلامة المنطق، مما يسر فهمها لخاصة الناس وعامتهم لأنها تخاطب الناس كافة.

وقد بيّنت في هذا البحث أربعة عشر سبباً لاختيار منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين في مسائل الاعتقاد دون غيره من المناهج الكلامية والفلسفية.

وذكرت جملة من الأساليب والطرق والوسائل التي ترسم المنهج القرآني في الرد على المخالفين، بلغت ثمانية وعشرين وجهاً.

ثم ختمت البحث بذكر جملة من الطوائف المخالفة في الاعتقاد الذين ردّ عليهم القرآن الكريم ودلّلت على الرد على كل طائفة بعدّة آيات.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما سطرته في هذا البحث وأن يكون ذلك خالصاً لوجهه الكريم، واستغفره تعالى عما قد يكون وقع فيه من جهل أو سهو أو خطأ.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- **القرآن الكريم:**
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق – بيروت، ط/ الأولى ١٤٠٧هـ.
- أدب الحوار والمناظرة: على جريشة، دار الوفاء ،ط/ الثانية ١٤١٢هـ.
- استخراج الجدال من القرآن الكريم: عبد الرحمن بن نجم الحنبلي، تحقيق: زاهر الألمعي، ط/ الثانية ١٤٠١هـ.
- الاستقامة: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
- أسس التفكير السليم ومناهجه في الكتاب والسنة: كوكب عامر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
- أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً: عبد الغني محمد بركة، مكتبة وهبة، ط/ الأولى ١٤٠٣هـ.
- أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ،تحقيق: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط/ الثانية ١٤١٤هـ.
- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط/ الأولى ١٤٢٤هـ.

- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية: يسرى السيد محمد، دار ابن الجوزي، ط/ الأولى١٤١٤هـ.
- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد الرياض و مكتبة دار البيان، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.
- البدع والنهي عنها: ابن وضاح، تحقيق: محمد دهمان، دار الصفا، ط/ الأولى ١٤١١هـ.
- البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبدالله الزركشي،تحقيق: محمد أبو الفضل، دار عالم الكتب ١٤٢٤ هـ.
- بيان تلبيس الجهمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، ط/ الأولى ١٣٩٢هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد الكلبي، دار الكتاب العربي، ط/ الرابعة ١٤٠٣هـ.
- التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، ط/ الأولى ١٤١٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم وغيره، دار الشعب.
- التفسير الكبير: محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى١٤٢١هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط/ الأولى ١٤١٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

- الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية: أحمد بن عبد الرحمن الصويان، دار الوطن الرياض، ط/ الأولى ١٤١٣هـ.
- الحوار مع أهل الكتاب: خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم الرياض، ط/ الأولى ١٤١٤هـ.
- درء تعارض العقل والنقل: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية،تحقيق: محمد رشاد سالم، ط/ الأولى ١٤٠١هـ.
- الرد على المخالف من أصول الإسلام: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الهجرة، ط/ الثانية ١٤١١هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط/ ١٤١٥هـ.
- السنة: لابن أبي عاصم،تحقيق: الألباني المكتب الإسلامي، ط/ الثالثة ١٤١٤هـ.
- السنة: لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار الرمادي للنشر، ط/ الثانية ١٤١٤هـ.
- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: خالد السبع وآخرون، دار الكتاب العربي، ط/ الأولى١٤٠٧هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: لهبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد حمدان، دار طيبة الرياض.
- شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز، تحقيق: التركي والأرناؤوط، الرسالة ط/ الأولى ١٤٠٨هـ.
- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط،

مؤسسة الرسالة، ط/ الثانية، ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول – تركيا.
- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، ط/ الأولى ١٤١٢هـ.
- الصواعق المرسلة: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة، ط/ الثالثة ١٤١٨هـ.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، دار ابن تيمية ،الرياض.
- العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية: عبد الله بن يوسف الجديع، دار الإمام مالك، دار الصميعي، ط/ الثانية ١٤١٦هـ.
- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
- فقه التعامل مع المخالف: عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الوطن، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.
- القاموس المحيط: الفيروز أبادي، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، ط/ مؤسسة الرسالة.
- القواعد الحسان: لعبد الرحمن السعدي، طبع بموافقة إدارة البحوث العلمية ١٤٠٨هـ، مطابع الصائغ.
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وبيان ما وقع فيها بسبب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة: محمد بن أحمد بن رشد، دار

الآفاق الجديدة، ط/ الأولى ١٣٩٨هـ.
- لسان العرب: لابن منظور،تحقيق: عبد الله الكبير وغيره، ط/ دار المعارف.
- مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع ابن قاسم ، دار عالم الكتب ،١٤١٢هـ.
- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة: إبراهيم بن محمد البريكان، دار السنة الخبر، ط/ الثالثة ١٤١٥هـ.
- المصباح المنير: لأحمد الفيومي، ط/ المكتبة العلمية بيروت، لبنان.
- مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط/ الأولى ١٤٠٩هـ.
- معالم قرآنية في الصراع مع اليهود: مصطفى مسلم، دار المسلم، ط/ الأولى ١٤١٥هـ.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد كيلاني، ط/ دار المعرفة بيروت، لبنان.
- الملل والنحل: للشهرستاني، تحقيق: أحمد فهمي،دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى ١٤١٠هـ.
- مناهج الجدل: زاهر عواض الألمعي، ط/ الثالثة ١٤٠٤هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ط/ الأولى ١٤١٦هـ.
- المنهاج القرآني في التشريع: عبد الستار فتح الله سعيد، ط/ الأولى ١٤١٣هـ.

- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: عثمان علي حسن، مكتبة الرشد، ط / الثالثة، ١٤١٥هـ.
- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن، دار إشبيليا، ط/ الأولى١٤٢٠هـ.
- المهذب في علم أصول الفقه المقارن: عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ.

معالِمُ الإعجازِ العقديِّ في القراءاتِ القرآنيَّة
(دراسةٌ تطبيقيةٌ)

إعداد :

د. أحمد بن علي السديس

د. أحمد بن علي السديس

- عميد كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية.
- الأستاذ المشارك بقسم القراءات – كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية– الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.
- نائب رئيس مجلس إدارة جمعية (تبيان).
- حصل على درجة الماجستير من قسم القراءات –كلية القرآن والدراسات الإسلامية – الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة بأطروحته : المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر للإمام النشار من أول الكتاب إلى نهاية سورة الإسراء" دراسةً وتحقيقاً .
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم القراءات –كلية القرآن والدراسات الإسلامية –الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة بأطروحته : القصيدة المالكية في القراءات السبع" للإمام ابن مالك (دراسة وتحقيق وشرح) .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الخلق أجمعين؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً أما بعد:

فإن إعجازَ القرآن الكريم أمرٌ متقررٌ معلوم، تواترتْ عليه النصوص الشرعية، وثبت بالقواطع العقلية والنقلية، وتفنن علماءُ الإسلام، وشرَفُ الأنام في بيان أوجه إعجازه، والتنويه بنزله ومكانه، ولهم في تقرير هذا المسلك مشاربُ متعددة، تدل بمجموعها على إثبات وجه الإعجاز فيه[1].

وإنني في هذا البحث المختصر آثرت الوقوفَ على وجه إعجاز القرآن الكريم من خلال تنوع وجوه قراءاته، واختلاف رواياته؛ وهذا أمر قرره العلماء، وأشاد به الأئمة الفصحاء[2] بقولهم: إن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات؛ وهذا التركيب على قلة حروفه، واسعُ الدلائل، شريفُ المسائل؛ إذ به يظهر شرف القرآن، ومباينته سائرَ وجوه الكلام، ولما كانت دلالةُ تنوع القراءات على الإعجاز واسعةً مديدةً جعلتُ الحديثَ في مقصد من هذه المقاصد؛ وهو دلالة اختلاف القراءات على تحقيق الإعجاز العقدي في آيات القرآن الكريم، وغير خاف على فطنة القارئ اللبيب أن معالِمَ هذا البحث ومسالكه تتجه إلى الآيات ذات العلاقة بالاعتقاد،

(١) انظر كلام الزركشي في البرهان؛ في النوع الثامن والثلاثين في معرفة إعجازه: ٢/ ٢١٨، وما بعدها.

(٢) سيأتي مزيد بيان في المبحث الثالث ضمن مباحث التمهيد.

المشتملة على وجوه قراءات متعددة، على ما سيظهر إن شاء الله، وقد جعلتُ الدراسةَ تطبيقية على مواضع من القرآن الكريم؛ لأن البحث يطول استقصاء أفراد أجزائه، والمقصود ظهور الأمر بالمثال، والله وحده المسؤول أن يمدني بتوفيقه، ويشملني بفضله وتسديده، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

١- ظهور وجه الإعجاز في كتاب الله تعالى في هذا النوع من اختلاف القراءات وتنوعها.

٢- بيان المعاني العظيمة المستخلصة من اختلاف القراءات في بعض آيات الاعتقاد.

٣- قلَّة الدراسات في مثل هذا النوع من وجوه الإعجاز في الكتاب المجيد.

٤- إثبات الصلة الوثيقة لعلم القراءات بسائر العلوم، ومنها علم الاعتقاد.

٥- لفت أنظار المهتمين والدارسين في هذا المجال إلى مثل هذه الممارسة العلمية المشتركة، وذلك مسلك من مسالك التجديد المشروع في تلقي ها العلم الشريف.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة مباحث، تتضمن الدراسة التطبيقية، وخاتمة، وفهرسين؛ أحدهما للمصادر، والآخر للموضوعات.

أما المقدمة فتضمنت: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث،

ومنهج البحث.

وأما التمهيد فتضمن ثلاثة مطالب، على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المطلب الثاني: تعريف القراءات القرآنية

المطلب الثالث: إعجاز القراءات القرآنية بين المتقدمين والمتأخرين.

ثم الدراسة التطبيقية في مباحثها الستة، وتضمنت دراسة تطبيقية لمواضع من القراءات القرآنية الدالة على تحقق وجه الإعجاز العقدي فيها؛ جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا"

المبحث الثاني: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: " بل عجبت ويسخرون "

المبحث الثالث: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب"

المبحث الرابع: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً"

المبحث الخامس: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "وما هو على الغيب بضنين"

المبحث السادس: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: "ذو العرش المجيد"

ثم الخاتمة، وتضمنت نتائج البحث، وما يلي ذلك من توصيات.

ثم فهرس المصادر والمراجع، يتلوه فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنتاجي، متبعًا الخطواتِ التاليةَ:

١- اقتصرتُ في اختيار الآيات التي ورد فيها خلاف على بعضٍ من المتواتر فقط؛ مما يظهر به وجه الإعجاز العقدي بوضوح.

٢- رتَّبتُ المواضعَ المختارةَ حسب ترتيب سورها في القرآن الكريم.

٣- ألتزمُ ذكرَ القراءاتِ الواردة في الآية منسوبة إلى أصحابها.

٤- ألتزمُ ذكرَ توجيه القراءتين بما يكشف المعنى، ويقرر المراد من غير تطويل.

٥- أُتْبِعُ ذلك بالتصريح بوجه الإعجاز العقدي المستنبط من القراءة.

٦- ألتزمُ منهجَ أهل السنة والجماعة، وفهم السلف الصالح في مسائل الاعتقاد.

٧- ألتزمُ توثيقَ النصوص الشرعية، والنقول، ومعلومات البحث كافَّة من المصادر المعتمدة، وَفْق ما تقتضيه أصول مناهج البحث.

التمهيد،
ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المعجزة.

المعجزة واحدة المعجزات، وهي في اللغة من أعجز وعجز، والعجز نقيض الحزم، والعجز الضعف، وعجز عن الأمر إذا قصر عنه[١]

وأما تعريفها الاصطلاحي، فقد تنوعت العبارة في ذلك، والمشهور الذي يركن إليه كثير من الدارسين في تعريف المعجزة؛ تعريفُ الإمام السيوطي لها في الإتقان[٢] بأنها: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة"، وبعضهم يذهب إلى ما اعتمده الجرجاني في التعريفات[٣] بقوله في حدِّ المعجزة: "أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة؛ قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسولٌ من الله"

والتعريفاتُ المتقدمة عليه زمنًا قريبةٌ من هذا المعنى، والشأن في ذلك يسير، ولذا نجد الزرقاني لم يتوقف كثيرًا في مناهل العرفان[٤] عند تعريف المعجزة، ونحن نعلم أن لفظ المعجزة لم يرد في كتاب الله تعالى، وإنما كان يعبر عن معناه بألفاظ أخرى؛ كالآية والبرهان والسلطان.

---

(١) انظر: اللسان "عجز".

(٢) ٢/ ٢٥٢.

(٣) التعريفات:٦٧.

(٤) ١/ ٦٣.

المطلب الثاني: تعريف القراءات القرآنية.

عند الكلام على هذه الحيثية في الحدِّ يتداخل أمران؛ علم القراءات، والقراءات من جهة كونها أداءً، وقد نبَّه على هذا بعض المتأخرين من فضلاء الباحثين[١]؛ وبيانُ ذلك أن تعريف الإمام ابن الجزري؛ والذي يركن إليه كثير ممن يقصد التعريف، إنما هو تعريف للعلم لا للمعلوم فنصُّ تعريفه رحمه الله قوله[٢]: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله" وهو صريح على إرادة العلم كما ترى، والذي يظهر والله أعلم أن المختار في تعريف القراءات ما نصَّ عليه الزركشي في البرهان[٣] بقوله:" والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما" وبنحوه قال الزرقاني في مناهل العرفان غير أنه جنح إلى التفصيل فقال في تعريف القراءات[٤]: "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم (مع) اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها".

(١) انظر: كلام الشيخ: عبدالحليم قابة في كتابه القراءات القرآنية: ٢٥.

(٢) منجد المقرئين: ٤٩.

(٣) (١/ ٤٦٥).

(٤) مناهل العرفان: (١/ ٤١٠)، وما بين القوسين في التعريف ساقط من النسخة المحال إليها، وهو لازم لفهم السياق، ومستفاد مما نقله الشيخ عبدالحليم قابة في كتابه: القراءات القرآنية: ٢٥.

المطلب الثالث: إعجاز القراءات القرآنية بين المتقدمين والمتأخرين.

من نظر في كتب توجيه القراءات عند المتقدمين لا يلحظ تقريراً لوجه الإعجاز بأنواعه المختلفة، كما هو الحال عند من تصدى لهذا الأمر من المتأخرين، مع قلَّة الدراسات الواردة في هذا النوع، رغم أن المتقدمين ليس بينهم وبين تقرير وجه الإعجاز في اختلاف القراءات إلا التصريح به؛ ذلك أنهم بلغوا الغاية في توجيه القراءات لغة ومعنى، وفصَّلوا القول في ذلك بما لا مزيد عليه عند مجموع كلامهم، ومعلوم أن هذه المرحلة لازمة ومتعينة لمن أراد بيان وجه الإعجاز؛ فليس إليه من سبيل إلا من هذا الطريق؛ الذي ملأ جوانبَه المتقدمون، واحتفت به عنايتهم من كل وجه، ولا أدلَّ على ذلك من كثرة مصنفاتهم في توجيه القراءات على سبيل الاستقلال.

وليعلم أن الإعجاز في القراءات لا يعدو أن يكون الربط الأخير بين دلالة القراءتين أو القراءات بعد استكمال بناء التوجيه، وهذا الربط لم يغفله المتقدمون بدليل أنهم يقررون قاعدة بقولهم: إن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات، وهذه القاعدة عند النظر والتحليل تدل على تحقق الإعجاز بمغايرة القراءات القرآنية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]: " فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً"، وقرَّر الزركشي في البرهان[2] أنه باختلاف القراءات

(١) مجموع الفتاوى: ١٣/ ٣٩٢،٣٩١.

(٢) ١/ ٤٧٤.

يظهر الاختلاف في الأحكام، وهو منه كالمثال للقاعدة المقررة، وصرَّح ابن عاشور بهذا الأمر فقال[١]: " وأنا أرى أنَّ على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة؛ لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن" بل عدَّ الإمام ابن الجزري رحمه الله هذا التنوع في القراءات من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وأشار رحمه الله إلى أن كل قراءة بمنزلة الآية؛ إذ كان تنوع اللفظ يقوم مقام آيات، فلو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل[٢].

ولذلك فإن جهود المتأخرين في التصريح[٣] بوجوه الإعجاز في كثير من القراءات القرآنية، إنما هو في الحقيقة امتداد لكلام من سبقهم، وتطبيق لقواعد كلامهم المحررة البديعة، وكلٌّ واحد من الفريقين سلك ما غلب على عصره الاهتمام به، وتقديم الحديث عنه؛ فإن كلام المتقدمين مبني على الإجمال من حيث العموم، بينما يعتني المتأخرون بتفاصيل المسائل وجزئياتها.

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٥٦.

(٢) انظر النشر: (١/ ٥٢).

(٣) ممن كتب في ذلك مشكوراً من المتأخرين د. عبدالكريم صالح في كتابه: الإعجاز في تنوع وجوه القراءات، و د. صبري عبدالقوي في كتابه: أثر القراءات في الفقه الإسلامي، و د. صبري الأشوح في كتابه: إعجاز القراءات القرآنية، و د. محمد أحمد الجمل في اطروحته الموسومة بـ: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية، وغيرهم، جزى الله الجميع خيراً كثيراً.

الدراسة التطبيقية،
وفيها ستة مباحث:

المبحث الأول: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى:
﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[1].

اختلف القراء في قوله تعالى: لأهب؛ فقرأ ورش وأبو عمرو وقالون بخلف عنه بالياء محل الهمز، والباقون بالهمز[2].

أما قراءة الياء فواضحة الطريق، فهي إخبار عن الله عز وجل[3]، والوجه أن قبله ذكر الرب[4]، ومعنى الآية أن الملَك قال لها: إنما أنا رسول ربك ليهب لك ربك غلاماً زكياً[5]، وجوَّز مكي في الكشف[6] أن القراءة بالياء تخفيف من قراءة الهمز، على ما تقتضيه أصول تخفيف الهمزة المفتوحة المسبوقة بكسر، وتبعه على هذا التعليل أبو شامة في إبراز المعاني[7] وما ذكراه من اطراد هذا الأصل مسلَّم به عند من ينحى لتخفيف الهمز؛ وهو مذهب حمزة في الوقف[8]، وليس من عمل الكافّة، وبخاصة أصحاب القراءة بالياء

(١) مريم: ١٩.
(٢) انظر: التيسير: ١٤٨، وكنْز المعاني: ٤٨٤، ٤٨٥، والنشر: ٢/ ٣١٧.
(٣) انظر: شرح الهداية: ٢/ ٤٠٨، ٤٠٩.
(٤) انظر: الكشف: ٢/ ٨٦، والموضح: ٢/ ٨١٥.
(٥) انظر: المحرر الوجيز: ٤/ ٩.
(٦) ٢/ ٨٦.
(٧) ٣/ ٣٥٩.
(٨) وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذا الأصل له وقفاً بقوله:
=

هنا، فلا يظهر هذا الوجه الذي أشارا إليه، والله أعلم.

وأما قراءة الهمز، فعلى إسناد الفعل إلى الذي خاطب مريم؛ وهو المَلَك المرسل من عند الله تعالى، والهبة لَمَّا جرت على يد الرسول أضيفت إليه، وإن كانت في أصلها من الله تعالى؛ لأنها صادرة عن أمره سبحانه[١].

وقد ذكر الزجاجُ في معاني القرآن[٢] توجيهاً آخر، بناه على أن في الكلام حذفاً، وتقديرُ الكلام: إنما أنا رسول ربك يقول لك: أَرْسَلْتُ إليك لأهب لك غلاماً زكياً.

ولما أشار المهدوي إلى هذا الوجه في شرح الهداية[٣] أفاد أن هذا الحذفَ مألوفٌ عند العرب في كلامهم، وأنشدَ عليه قولَ الشاعر[٤]:

تقول ابنتي لما رأتني شاحباً ... كأنك يحميك الطعامَ طبيبُ

تتابعُ أعوام تخرمن إخوتي ... وشيبن رأسي والخطوب تشيب

فكأنه قال لها: بلغ بي إلى ما تراه من الشحوب تتابع أعوام، فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه.

وقد سوَّى بين القراءتين أبو منصور في معانيه[٥]، وقال ابن كثير في

= ويسمع بعد الكسر والضم همزه ... لدى فتحه ياء وواواً محولا

متن الشاطبية: ٢٠.

(١) انظر: الكشف: ٢/ ٨٦، وشرح الهداية: ٢/ ٤٠٩، والموضح: ٢/ ٨١٥.

(٢) ٣/ ٣٢٣.

(٣) ٢/ ٤٠٩.

(٤) البيت لأبي الحدرجان، كما في نوادر أبي زيد: ٥٧٥، وهو في الخصائص: ١/ ٣٣٩.

(٥) معاني القراءات: ٢٨٢.

تفسيره[1]: " وكلا القراءتين له وجه حسن، ومعنى صحيح، وكلٌّ تستلزم الأخرى"

ولتعلم أيها القارئ الكريم أن الذي سوَّغ دخولَ هذه الآية في مثال الإعجاز العقدي، هو ما تضمنته قراءةُ الهمز من نسبة الفعل في ظاهره لغير الله تعالى، وأما على قراءة الياء فالنسبةُ متمحضةٌ له سبحانه، وأنت ترى الآيةَ في اختلاف قراءاتها شملت الأمرين معاً، وهذا سرُّ الإعجاز؛ إذا ما تقرَّر هذا بقي أمر آخر، وهو تخريج قراءة الهمز على قراءة الياء، وتخريجها سهلٌ غير ممتنع، وهو من جنس قول الله تعالى عن القرآن: إنه لقول رسول كريم، مع أنه قال سبحانه في سورة براءة[2] ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ فنسبه إليه، وكذلك هو في الآية الأولى، غير أنه نسبته إلى المَلَك نسبة بلاغ، والهبة هنا من الله بلا ريب، قال ابن عطية[3] معللاً نسبتها إلى المَلَك: " جعل الهبة من قبله لما كان الإعلام بها من قبله" وقال أبو شامة في إبراز المعاني[4]: " وإنما جاز نسبة الهبة إلى الرسول سواء كان بالهمزة أو بالياء لكونه أرسله لذلك" ولأجل هذا المعنى استحسن السخاويُّ في فتح الوصيد[5] رمزَ الإمام الشاطبي في هذه الترجمة[6] فقال: "جرى حلو بحره؛ لأن الله في

(١) تفسير ابن كثير: ٩١٢.

(٢) براءة: ٦.

(٣) المحرر الوجيز: (٤/ ٩).

(٤) (٣/ ٣٥٩).

(٥) (٢/ ٣٥٢).

(٦) ونصُّ ترجمته قوله:

=

الحقيقة هو الواهب".

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن أفعالَ العباد خلقُ الله، وكسبٌ للعباد، وعلى هذا الأصل دلائل الكتاب والسنة مجتمعة من غير إعمال بعض وترك بعض، وقد خالفت في ذلك فرقتان؛ الجهمية والقدرية؛ فأما الجهمية فعندهم أن العبدَ مجبرٌ على فعله لا اختيارَ له، وأما القدرية فعندهم أن العبدَ يخلقُ فعلَه، ومذهبُ أهل السنة وسطٌ بين الفريقين[1].

= وهمز أهب باليا جرى حلو بحره .....

متن الشاطبية: ٦٨.

(١) انظر بسط هذه المسألة الخطيرة في شرح الطحاوية: ٤٣٨، وما بعدها.

المبحث الثاني: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[1].

قرأ حمزة والكسائي بضم التاء في قوله تعالى: بل عجبت ويسخرون، وغيرهما بفتحها[2].

أما القراءة بالفتح فواضحة الطريق، وفيها إسناد التعجب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمعنى على ما قرَّره الإمام ابن كثير[3]: بل عجبتَ يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى، من إعادة الأجسام بعد فنائها، وهم بخلاف أمرك يسخرون من قولك.

وأما قراءة حمزة والكسائي بالضم فعلى أن الفعل مسند إلى الله تبارك وتعالى[4]، وفي قراءتهما إثبات هذه الصفة لله جل جلاله من القرآن الكريم على الوجه اللائق به سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تعطيل ولا تكييف، كما دلت السنةُ الصحيحةُ الصريحةُ على ثبوتها؛ فمن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه[5] من حديث أبي هريرة ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجِبَ الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل».

---

(١) الصافات: ١٢

(٢) انظر: الكافي: ١٩٠، وغاية الاختصار: ٢/ ٦٣٤، وتحبير التيسير: ١٧٠.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٢٣٩، ١٢٣٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٤٣، وتفسير البغوي: ٧/ ٣٦، والدر المصون: ٩/ ٢٩٥، ٢٩٦.

(٥) كتاب الجهاد، باب الأسارى في السلاسل، برقم: ٢٨٤٨.

ومن ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لقد عجب الله عز وجل، أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

ومن ذلك أيضاً ما رواه النسائي[٢] بسند صحيح من حديث عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعجب ربكم من راعي غنم في رأس شظية جبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني فقد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة".

فقراءة الضم هذه فيها إثبات صفة العَجَبِ لله تعالى، من كتابه، على الوجه اللائق به سبحانه.

قال الشيخ الأمين – رحمه الله – في أضوائه[٣]: «بذلك تعلم أن هذه

(١) كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة برقم: ٤٦٠٧.

(٢) كتاب الأذان، باب الأذان لمن يصلي وحده، برقم: ٦٦٦.

(٣) ٦/ ٦٨٠.

الآية الكريمة – على قراءة حمزة والكسائي – فيها إثبات العجب لله تعالى فهي إذاً من آيات الصفات على هذه القراءة».

هذه دلالةُ الآية، إذا سلِم المعتقدُ من آفات التأويل، وعِلَلِ التعطيل، وقد فشا في بعض كتب توجيه القراءات تأويلٌ فاسد لهذه القراءة، باعثه إنكارُ هذه الصفة، زاعمين بذلك أن إثباتها ينافي علمَ الله الأزلي؛ وهذا التوجيه كما أفصح عنه المهدوي في شرح الهداية[1] أن في الآية إضمارَ قولٍ، والتقديرُ عنده: قل يا محمد بل عجبتُ؛ فيكون ذلك مردوداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم استدعى رحمه الله أدلةَ إضمارِ القولِ من كلام العرب[2]، وقرَّر بعد ذلك أن إضمارَ القول كثيرٌ مستعملٌ في كلام العرب. وهو كما قال غير أن سياق الآية يأبى هذا التقدير؛ وهو تقديرٌ في غير محلِّه، مرتحلٌ عن منزله؛ وفيه إخضاعٌ للنصِّ بما لا يوافقُ سياقَه، وأسْلَمُ طريقاً منه التسليمُ والرضى بما وصف اللهُ به نفسَه في كتابه، على منهج أهل السنة والجماعة، ومن لطائف الدلائل ترجمةُ الإمام ابن مالك على هذه القراءة في قصيدته المالكية؛ إذ يقول[3]:

وضمٌّ بتا عجبتَ شافٍ..... .....

وهو ظاهر عند التأمل.

(١) ٢/ ٤٨٩، وجوَّز هذا الوجه أيضاً السخاويُّ في فتح الوصيد: ٢/ ٤٣٦.

(٢) انظرها في موضع الإحالة السابقة.

(٣) متن القصيدة المالكية: ٩٦.

المبحث الثالث: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[1].

هذه الآية في بيان عاقبة أمر فرعون وآله عندما عصوا الله وكذبوا رسله.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة بهمزة وصل، مع ضم الخاء، وقرأ الباقون بهمزة قطع في الحالين مع كسر الخاء[2]، قال الإمام الشاطبي رحمه الله[3]:

....أدخلوا نفر صلا

على الوصل واضمم كسره... .....

وعلى القراءة بهمزة الوصل ولازمها فالفعل أمر من "دخل" الثلاثي على الأمر لهم بالدخول، وانتصاب "آل فرعون" على النداء[4]، وحُذِفَ حرف النداء؛ لأن حذفَه مع المنادَى المعرفة حَسَنٌ، قاله في الكتاب المختار[5] وجوَّز مكي في الكشف[6] وجهًا آخر؛ وذلك أن يكون انتصاب "آل" على إضمار القول فيه أيضًا، والتقدير: ويوم تقوم الساعة يقال: ادخلوا بآل

(١) غافر: ٤٦.

(٢) انظر: التيسير:١٩٢، والعنوان:١٦٧، والنشر ٢/ ٣٦٥.

(٣) متن الشاطبية:٨١ .

(٤) انظر: الكشف: ٢/ ٢٤٥، وشرح الهداية: ٢/ ٥٠١،٥٠٢، والموضح: ٣/ ١١٢٧.

(٥) ٢/ ٧٨١.

(٦) ٢/ ٢٤٥.

فرعون أشد العذاب"، وجعلَ أبو البقاء في الإملاء[1] تقديرَ الكلام: " يقال لآل فرعون"، ومثلُ هذا السياقِ القرآني الشريف مستعملٌ في كتاب الله تعالى، في نحو قوله تعالى[2]: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾، وقوله سبحانه[3]: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾، وهذا في الكتاب العزيز كثير[4].

وأما على القراءة بهمزة القطع فالفعل من " أدخل " الرباعي، وهو معدًى لمفعولين " آل فرعون " و " أشد العذاب "، والقول مضمر، والتقدير: ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، والمخاطبُ بهذا الأمر خزنةُ جهنم من الملائكة؛ حيث يأمرهم الله أن يدخلوهم[5]، واختار هذه القراءةَ أبو عبيد فيما نقله عنه القرطبيُّ في الجامع[6]، ومكي بن أبي طالب في الكشف[7].

وإن المتأمل لسياق الآية بعد توجيه كلتا القراءتين ليعلم بوضوح أن السياق ماض بعزم إلى تقرير مصير آل فرعون، وبيان سوء منقلبهم، وعاقبة

(١) ٢/ ٢١٩.

(٢) الزخرف: ٧٠.

(٣) الحجر: ٤٦.

(٤) انظر: حجة القراءات: ٦٣٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ٧٢، ومعالم التنزيل: ٧/ ١٥١، والكشاف: ٣/ ٣٧٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٢٠٨.

(٦) ١٥/ ٢٠٨.

(٧) ٢/ ٢٤٥.

حالهم في دار القرار، ثم إن السياق الشريف يتوعد آل فرعون، وهو – أي: فرعون – سابقهم إلى هذا الوعيد؛ فإذا كان مَنْ على دينه ومذهبه في أشد العذاب، كان هو أقرب إلى ذلك، وقد نبَّه إلى هذه اللفتة الإمامُ النحاسُ في إعراب القرآن[١]، وذكر نحوه البقاعي في نظم الدرر[٢].

ومع اتحاد سياق القراءتين، وتوافق تواردهما إلا أن بينهما فرقًا في الدلالة من شأنه أن يكشف وجه الإعجاز في القراءتين، وقد تقرر في توجيه قراءة القطع "أدخلوا" أن الأمر للملائكة الكرام؛ خزنة جهنم، ولا تسل بعد ذلك عما يصحب ذلك المشهد الرهيب من خوف وفزع تتقطع منه القلوب، وترتجف لهوله الضمائر، ولتالي هذه الآية أن يتصور بحق واقع حال أولئك الكفرة، والملائكةُ الغلاظُ الشدادُ يسوقونهم إلى دركات الجحيم استجابة لأمر الجبار سبحانه؛ فهم في تلك الحال قد أطبقت عليهم الظلمات، وانقطع منهم الرجاء، فهم يعلمون يقينًا أنه لا خلاص ولا انفكاك عن زبانية النار، وخزنة جهنم، وهذه القراءة تحقق المعنى في قوله تعالى[٣]: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾، ثم إن هذه القراءة تحمل معنىً لطيفًا يحسن التجمل بذكره، وذلك أن هذه القراءة بهمزة القطع فيها زيادة مبنى على القراءة الأخرى بهمزة الوصل، ومن تبعات ذلك زيادة المعنى، وهذا سَنَنٌ في العربية مشهور، يقولون: زيادة المبنى تدل على زيادة

(١) ٤/ ٣٥.

(٢) ٦/ ٥٢١ .

(٣) مريم: ٨٦ .

المعنى[1]، وابن جني قد احتفل بهذه الدلالة، وكان مما قال في كتابه الخصائص[2]: " فإذا كانت الألفاظُ أدلةَ المعاني، ثم زيد فيها شيءٌ؛ أوجبت القيمةُ له زيادةَ المعنى به" والمقصودُ مما تقدم أن القراءة بهمزة القطع فيها زيادة مبنى تناسب سوق الملائكة لهم في ذلك اليوم العظيم، كما تدل أيضاً على ما يصاحب ذلك السوق المفزع من تقريع وتعنيف وتشنيع، كما تدل على ذلك سياقات متعددة في الكتاب والسنة، وأنت تجده حاضرًا هنا أتتْ به الزيادة في مبنى الفعل، ولعل هذه المعاني المتواردة هي ما دفعت ببعض الأئمة المتقدمين إلى اختيار هذه القراءة؛ مثل أبي عبيد ومكي على نحو ما سبقت الإشارة إليه قريبًا.

وأما القراءة بهمزة الوصل فإنها تدل على ما تقرر الحديث عنه ابتداء، غير أننا نلحظ فيها صورة أخرى، وبيان ذلك أن الأمر على هذه القراءة لآل فرعون على تقدير: ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب، وفي مثل هذا تحقق أمرين كل واحد منهما يجر وراءه ندامة وحسرة لا انقضاء لها؛ أما الأول: فهو التشهير بهم على رؤوس الخلائق في يوم الجمع، حيث يسمع الخلقُ كلُّهم أمرَ الله لهم، وخطورة هذا الأمر تظهر جليًا حينما تدرك حرص الإسلام على مقابله؛ وهو الستر على الناس، وعدم إيذائهم بكشف أعمالهم، ولقد رعى الإسلامُ هذا الجانبَ أتم رعاية، ولكن الله قدر بحكمته فضح

(١) هذه القاعدة وإن كانت نشأتها في محاضن اللغة، لكنها تندرج ضمن قواعد التفسير أيضاً، ولها استثناءات، وعليها تعقيبات ليس هذا موطن ذكرها.

(٢) ٢/ ٨١٣ .

بعض الخلائق يوم القيامة؛ تقريعًا لهم لسوء صنيعهم، ولا يظلم ربك أحدًا، وكان من جملة الأشقياء فرعون وآله؛ بدلالة هذه القراءة الكريمة، وأما الثاني: فهو الفزع العظيم الذي يصيبهم حين يُنادَى عليهم باسمهم؛ ليصيروا إلى ما أعده الله لهم من العذاب الأليم؛ وهذا غاية ما يكون في التبكيت والإهانة والإذلال، وهو معاملة لهم بنقيض قصدهم، وما كانوا عليه في الحياة الدنيا، كما بين الله ذلك بقوله[1]: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

وفي خاتمة هذا المعنى تجدُ دلائلَ الإعجاز واضحةً متناسقةً في هاتين القراءتين تتآلفان في بيان حقيقة مآلهم، وعاقبة صنيعهم، توحي كل قراءة بمعنى فريد، ثم تجتمعان في ختام السياق من غير تناقض ولا تنافر.

(١) القصص: ٤ .

المبحث الرابع: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾[1].

سياقُ هذه الآية في ردِّ زعمٍ باطلٍ، زعمه المشركون في شأن الملائكة عليهم السلام، بقولهم كذبًا ومينًا: إنهم بنات الله[2].

وفي هذه الآية خلاف بين القراء يقرر بمجموعه المعتقدَ السليمَ في الملائكة المقربين؛ فالقراءة الأولى قراءة أبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي "عباد"؛ بالباء وألف بعدها ورفع الدال، جمع عَبْد وأما القراءة الأخرى فقراءة الباقين بالنون ساكنة وفتح الدال "عنْدَ" [3] على أنه ظرف، وفي التنزيل ما يشهد للقراءتين معاً؛ لفظاً ومعنى، فللقراءة الأولى قولُه تعالى في مدح الملائكة[4]:﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾، وللأخرى قولُه سبحانه[5]: ﴿ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[6].

وفي قراءة أبي عمرو ومَنْ معه أثبتَ اللهُ العبوديةَ لهم، كما أثبتها في قوله تعالى[7]: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا

(١) الزخرف: ١٩.
(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥/ ٤٩، وتفسير ابن كثير: ١٣١٩.
(٣) انظر: التيسير: ١٩٦، وغاية الاختصار: ٢/ ٦٥١، والنشر: ٢/ ٣٦٨.
(٤) الأنبياء: ٢٦.
(٥) الأنبياء: ١٩.
(٦) انظر: الكشف: ٢/ ٢٥٦، وشرح الهداية: ٢/ ٥٠٦، ٥٠٧، والموضح: ٣/ ١١٤٧، ١١٤٨.
(٧) النساء: ١٧٢.

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾، وفي هذا التقرير منه سبحانه ردٌّ على من زعم باطلاً وكذباً أن الملائكة بنات الله، وقد أعظم اللهُ عليهم هذه الفريةَ بقوله في سورة الصافات[١]: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾؛ فهم عليهم السلام ليسوا بناتِه، ولكنهم عبادُه[٢]، ثم إن العبودية المثبتة لهم هنا تتضمنُ عبوديةً خاصة، وهي عبودية القُرْب، كما أشار إلى ذلك في التحرير والتنوير[٣].

وأما من قرأ "عند" فالعندية هنا مكانية تقتضي التشريف والتكريم[٤]، خلافاً لمن منع العندية المكانية هنا، وجعلها عندية المكانة ورفعة الدرجة[٥]، أو أن المراد عند أمره وحكمه، كما جوَّز ذلك في الموضح[٦]، والأولُ الحقُّ في هذه المسألة، وهو متضمنٌ لتأويلهم من غير عكس، وعليه الأدلةُ الشرعية؛ من ذلك ما ثبت في الترمذي[٧] من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

(١) الصافات: ١٥٠-١٥٢.

(٢) انظر: إعراب القراءات السبع: ٢/ ٢٩٥، وحجة أبي علي: ٦/ ١٤١، وتفسير البغوي: ٧/ ٢٠٩، وتفسير ابن كثير: ١٣١٩.

(٣) ٢٥/ ١٨٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/ ٥٨، والكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار: ٢/ ٨٠١، وتفسير ابن كثير: ٩٥٥ .

(٥) انظر: حجة أبي علي: ٦/ ١٤١، ١٤٠، والكشف: ٢/ ٢٥٦، وحجة أبي زرعة: ٦٤٧، واللآلئ الفريدة: ٣/ ٣٥٩.

(٦) ٣/ ١١٤٧.

(٧) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم.

الله عليه وسلم: أطَّتِ السماء وحقَّ لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله[1].

ثم إن قراءة النون شديدةُ المناداةِ عليهم بالسفه، كما قاله البقاعيُّ في تفسيره، معلِّلاً ذلك بقوله[2]: "وذلك أن أهل حضرة الملك الذين يصرفهم في المهمات لا يكونون إلا على أكمل الأحوال"

فاختلافُ القراءات في هذا اللفظ أفاد بمجموعه اتصافَ الملائكة بهذين الوصفين الكريمين؛ فهم عباد الرحمن وعنده، كما قرَّر ذلك الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره[3]، وقد تتابعت النصوص الشرعية في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في التنويه بمقامهم الشريف، وأوصافهم الكريمة، ونفي مطاعن المشركين فيهم.

(١) انظر في معتقد أهل السنة والجماعة في الملائكة: شرح الطحاوية: ٢٧٦-٢٨١.

(٢) نظم الدرر: ٧/ ١٦.

(٣) ٢٥/ ٥٨.

المبحث الخامس: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى:

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[١].

قرأ الكسائي وابن كثير وأبو عمرو بالظاء محل الضاد، وقرأ الباقون بالضاد[٢]، وكذلك رسمها في المصاحف كما حكاه اتفاقاً بينهم الإمامُ ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسيره[٣]، قال الإمام الشاطبي – رحمه الله – في العقيلة[٤]:

..... وَالضَّادُ فِي بِضَنِينَ تَجْمَعُ البَشَرَا

فإن قيل: فقراءة الظاء على هذا لا يحتملها الرسم؟

فالجواب: أن هذا الإشكال لا شك أنه متبادر إلى الذهن، وسابقٌ إليه، وجوابه ما عَلَّلَ به أبو عبيد – وهو حَسَنٌ – إذ يقول[٥]: «مع أن هذا – يعني الظاء – ليس بخلاف الكتاب؛ لأن الظاء والضاد لا يختلف خطُّهما في المصاحف إلا بزيادة رأس إحداهما على رأس الأخرى، فهذا قد يتشابه في خط المصاحف ويتدانى».

قال السخاوي[٦] – رحمه الله – بعد أن نقل هذا التعليل : «وصدق أبو

---

(١) التكوير: ٢٤.

(٢) انظر: السبعة: ٦٧٣، والتيسير: ٢٢٠، والنشر: ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٣) ٣٠/ ٨٣. وانظر: المقنع: ٩٢، والنشر: ٢/ ٣٩٩.

(٤) عقيلة أتراب القصائد: ١٢. وانظر: الوسيلة: ٢٤٣ وما بعدها.

(٥) انظر: كشف الوسيلة: ٢٤٥ .

(٦) انظر: المرجع السابق.

عبيد – رحمه الله – فإن الخط القديم على ما وصف» اهـ.

مع أن الزمخشري في كشافه[1] حكى في الرسم خلافاً وقال: «وهو – يعني رسم الحرف – في مصحف عبد الله بالظاء، وفي مصحف أُبَيٍّ بالضاد»، وتبعه على ذلك السمين في الدر المصون[2]، وإذا تقرَّر الخلاف في الرسم وهو الأقرب – لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ – فيندفع الإشكال من أصله، ويكون مخرج القراءتين كمخرج غيرهما مما اختلفت في خطِّه المصاحف.

ويحسن بيان ما نفاه الله جل وعلا عن رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية، وذلك فرع عن بيان معنى الاشتقاق اللغوي لكلا القراءتين؛ فقراءة الظاء من الظِّنَّة؛ بمعنى: التُّهمة، والظنين: المتَّهم الذي تظن به التهمة[3]، ومعنى الآية في هذه القراءة، على ما قرَّره ابن كثير[4] أي: وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين أي: بمتهم.

وأشار الفراء في معانية إلى معنى آخر فقال[5]: " ما هو على الغيب بظنين: بضعيف، يقول: هو محتمل له، والعرب تقول للرجل الضعيف، أو الشيء القليل: هو ظنون. سمعت بعض قضاعة يقول: ربما دلَّك على الرأي

(١) ٤/ ١٩١.

(٢) ١٠/ ٧٠٧.

(٣) انظر: لسان العرب "ظنن".

(٤) تفسير ابن كثير: ١٥٦٢.

(٥) ٣/ ٢٤٣، ونقله عنه في الموضح: ٢/ ٥٣١، وأشار إلى هذا التوجيه أبو حيان في البحر المحيط: ٨/ ٤٢٦، والسمين الحلبي في الدر المصون: ١٠/ ٧٠٧.

الظنون، يريد: الضعيف من الرجال"، وذكر هذا الاحتمالَ كذلك السمينُ الحلبيُّ في الدر المصون[١]، ومثَّل له بقولهم: "بئر ظنون" أي: قليلة الماء، ومن لازم ذلك ضعفها.

والرأيُ الأولُ في الاشتقاق أعدلُ، وعليه عامة من تعرض لتوجيه القراءة[٢].

وأما القراءة بالضاد، فهي من الضن بمعنى البخل، ورجل ضنين بخيل[٣]، ومعنى الآية على هذا التوجيه: أي: وما محمدٌ على ما أنزله الله عليه ببخيل؛ بل يبذله لكل أحد[٤].

ووجهُ دخول هذه القراءة في الإعجاز العقدي ظاهرٌ؛ من كونها في مقام الإيمان والتصديق بنبينا صلى الله عليه وسلم؛ وهذا أصلٌ في الاعتقاد بلا ريب؛ وبيان ذلك ما اشتملت عليه القراءتان من نفي هاتين الصفتين عنه عليه الصلاة والسلام؛ فقراءة الضاد نفي لما اتهموه به من الكهانة؛ ذلك أن الكاهن يضِنُّ بما عنده حتى يأخذ عليها حلواناً[٥]، وكان عليه الصلاة

(١) ١٠/ ٧٠٧.

(٢) انظر في ذلك: حجة أبي علي: ٦/ ٣٨٠،٣٨١، والكشف: ٢/ ٣٦٤، وشرح الهداية: ٢/ ٥٤٨، والإملاء: ٢/ ٢٨٢، وفتح الوصيد: ٢/ ٥٠٩، وإبراز المعاني: ٤/ ٢٥٠.

(٣) انظر: لسان العرب "ضنن"، وانظر في توجيه القراءة بما يتفق مع هذا المعنى: معاني القراءات: ٥٣١، والكشف: ٢/ ٣٦٤، وشرح الهداية: ٢/ ٥٤٩.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٥٦٢،١٥٦٣.

(٥) حلوان الكاهن: ما يأخذه من المال والرشوة على كهانته. انظر: النهاية لابن الأثير: (١/ ٤٣٥).

والسلام يبشر ويحذر من غير تطلع لما تقدمه أيديهم، قال ابن عاشور في تقرير هذا المعنى[1]: " فأقام لهم الفرق بين حال الكهان، وحال النبي صلى الله عليه وسلم بالإِشارة إلى أن النبي لا يسألهم عوضاً عما يخبرهم به، وأن الكاهن يأخذ على ما يخبر به ما يسمونه حُلْواناً ، فيكون هذا المعنى من قبيل قوله تعالى[2]: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾، وقوله سبحانه[3]: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، ونحو ذلك ".

وأما القراءةُ بالظاء فتؤكدُ صدقَه عليه الصلاة والسلام فيما يبلغه عن ربه، وعلى دلالة هاتين الآيتين يتعين أن يكون معتقد المسلم تجاه نبينا صلى الله عليه وسلم، وأنت ترى دلالة هذا المعتقد الواسع قد جُمِعت لك في هاتين القراءتين الكريمتين.

(١) التحرير والتنوير: (٣٠/ ١٦٢).

(٢) الفرقان: ٥٧.

(٣) الأنعام: ٩٠.

المبحث السادس: دراسة وجه الإعجاز العقدي في قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[١].

قرأ حمزة والكسائي بخفض الدال، والباقون برفعها[٢]، فمن قرأ بالرفع فهو صفة لله جل في علاه؛ إذ مرجع اسم الإشارة إليه – سبحانه وتعالى – في قوله: ذو العرش، ومن قرأ بالخفض فهو صفة لـ " العرش "[٣].

فكلمة المجيد هنا جاءت صفة على كلا القراءتين، والمجد في لغة العرب: الشرف الواسع، من قولهم: مجدت الإبل إذا وقعت في مرعى كثير واسع(٤) فعلى قراءة الجماعة بالرفع فالمجد صفة لله سبحانه، والمجيد من أسمائه الثابتة في الكتاب والسنة، والتي لا تختص بصفة معينة؛ لأن المجد في الأصل وضع للسعة والكثرة والزيادة، فالمجيد أي المتصف بصفات متعددة من صفات الكمال قال ابن القيم[٥]:

وهو المجيد صفاته أوصاف تعـ ـظيم فشأن الوصف أعظم شان

وأما قراءة الخفض فإنها تضيف لعرش الرحمن صفة من صفاته

(١) البروج: ١٥.

(٢) انظر: التذكرة: (٢/ ٦٢٢)، والتيسير: ٢٢١، والنشر: (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر: إعراب القراءات السبع: (٢/ ٤٥٧)، والكشف: (٢/ ٣٦٩)، والدر المصون: (١٠/ ٧٤٨).

(٤) انظر: لسان العرب (مجد)، والقاموس المحيط (مجد).

(٥) نونية ابن القيم: ٢٠٣.

الكريمة، والعرش في الأصل اللغوي سرير الملك[1]، وعرش الرحمن سبحانه له صفات مأخوذة من دلائل الكتاب والسنة[2] فمن أوصافه:

١- استواء الله عليه، استواءً يليق بجلاله وعظمته، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد جاء استواء الله على عرشه في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى[3].

٢- أنه ذو قوائم، يدل لذلك ما ورد في الصحيحين[4] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه قول النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى؟

٣- أنه مخلوق، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[5]، فأثبت للعرش رباً فدل على أنه مربوب.

٤- أن الله أمر بعض ملائكته بحمله، كما قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[6].

---

(١) انظر: لسان العرب: (عرش).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ٢٥٤-٢٥٨.

(٣) الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، طه: ٥، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤.

(٤) البخاري كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي.

(٥) التوبة: ١٢٩.

(٦) الحاقة: ١٧.

٥- أنه أعلى المخلوقات، يدل لذلك حديث أبي هريرة في البخاري[١]: فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ .

٦- أن الله وصفه بالكرم، كما قال تعالى في آخر سورة المؤمنون[٢]:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾، قال ابن كثير[٣]: "ووصفه بأنه كريم، أي حسن المنظر بهي الشكل، أو باعتبار مَن استوى عليه، تقول: بيت كريم إذا كان ساكنوه كراماً، كما ذكر ذلك الشوكاني[٤].

٧- من صفاته كذلك أنه مجيد، بدلالة المجد اللغوية، والاصطلاحية، وهذه الصفة مستفادة من هذه القراءة.

ويذهب بعض من تعرض لتوجيه قراءة الخفض إلى أن المجيد نعت للرب في قوله تعالى: إن بطش ربك لشديد، فيكون التقدير: إن بطش ربك المجيدِ لشديد ذكر ذلك القرطبيُّ في الجامع[٥]، ومنعَ هذا التوجيهَ الألوسيُّ في تفسيره[٦]، واحتجَّ لذلك بأن الأصل عدم الفصل بين التابع والمتبوع، والأظهر والله أعلم أن التوجيهَ الأول أسدُّ مسلكاً؛ لجريانه

(١) كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله.

(٢) المؤمنون: ١١٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٠١٣.

(٤) انظر: فتح القدير: ٣/ ٦٢٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: (١٩/ ١٩٥).

(٦) انظر: روح المعاني: (١٠/ ١١٨).

على الأصل من جهة، ولإضافته معنىً جديداً في دلالة الآية؛ إذ القراءة على توجيه الإمام القرطبي يتحدُ معناها مع قراءة الرفع، ولا تضيف على السياق معنىً جديدًا مقبولًا.

الخاتمة

وبعد سرد هذه النماذج، ودراسة أوجه الإعجاز العقدي فيها، وما صحب ذلك من الوقوف على عدد من الكتب ذات العلاقة المباشرة وغير المباشرة بهذا الموضوع أسجلُ ما يلي:

- أهمية علم القراءات من حيث الجانب التأصيلي، وتعلق هذا العلم الشريف بسائر العلوم.
- أن بيان وجه الإعجاز العقدي في القراءات القرآنية يحتاج إلى مزيد تحرير وعناية وبحث.
- أن بعض الدراسات المتأخرة في هذا الباب لم تهتدِ لموافقة مذهب السلف في تقرير وجه الإعجاز العقدي في القراءات القرآنية.
- أن الآيات المحصورة في هذا الباب تتفاوت فيما بينها من حيث الصلةُ الوثيقة بكونها من مسائل الاعتقاد.

كما أوصي بما يلي:

- حصر ودراسة مواضع الإعجاز العقدي في القراءات القرآنية، وربطها ربطاً وثيقاً بمنهج أهل السنة والجماعة.
- قيام دراسات نقدية لمسالك التوجيه العقدي في كتب توجيه القراءات القرآنية، وبخاصة عند المتقدمين.
- تضمين كتب العقائد عند التصنيف فيها، أو تحقيق تراثها القراءات القرآنية ذات العلاقة، مع بيان وجه دلالتها؛ باعتبارها وجهًا من وجوه الاستدلال المقدَّمة.

فهرس المصادر والمراجع:

- إبراز المعاني من حرز الأماني، لأبي شامة، تحقيق وتعليق: الشيخ محمود جادو، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة «بدون تاريخ».
- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة العاشرة، ١٤١١هـ
- أثر القراءات في الفقه الإسلامي، تأليف الدكتور: صبري عبدالرؤوف حلمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت «بدون تاريخ».
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري، تصحيح الأستاذ: إبراهيم عطوة، دار الحديث، القاهرة «بدون تاريخ».
- البرهان في علوم القرآن، تأليف الإمام: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: د. يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، وزملاؤه، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، تأليف: الإمام المحقق؛ محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- التذكرة في القراءات الثمان، لأبي الحسن بن غلبون، تحقيق: أيمن رشدي سويد، مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير القرآن العظيم، تأليف الإمام الحافظ: عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، بإشراف: الشيخ: محمود عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، عني بتصحيحه: أوتويرتزل، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام: أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٣هـ).
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي وجماعة، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للشاطبي، تصحيح: محمد تميم الزعبي، دار المطبوعات الحديثة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- الخصائص، لأبي الفتح؛ عثمان بن جني (تـ ٣٩٢هـ) تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام: أبي الفضل شهاب الدين محمود شكري الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- السبعة في القراءات، لأبي بكر بن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة «بدون تاريخ».
- سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، ترقيم: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تأليف العلامة: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ: أحمد بن محمد شاكر، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ
- شرح الهداية، لأبي العباس المهدوي، تحقيق: د. حازم حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية «بدون تاريخ».
- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، لأبي العلاء الهمذاني، تحقيق: د. أشرف محمد فؤاد، مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف الإمام: محمد بن علي الشوكاني، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
- القاموس المحيط، تأليف العلامة اللغوي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.
- القراءات القرآنية تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، تأليف: الشيخ: عبدالحليم قابة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- القصيدة المالكية في القراءات السبع، نظم الإمام: جمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك، تحقيق: د. أحمد بن علي السديس، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- الكافي في القراءات السبع، تأليف الإمام: أبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، تحقيق: أحمد محمود عبدالسميع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار، إملاء الشيخ: أبي بكر أحمد بن عبيدالله بن إدريس، تحقيق ودراسة: د. عبدالعزيز بن حميد الجهني، مكتبة الرشد، الرياض، الطلعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- الكشاف عن حقائق التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت «بدون تاريخ».
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي

طالب القيسي، تحقيق: د. محمد محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.
- كنْز المعاني شرح حرز الأماني، لمحمد بن أحمد الموصلي المعروف بشعلة، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.
- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، تأليف: الإمام أبي عبدالله محمد بن الحسن الفاسي، تحقيق: الشيخ: عبدالرزاق بن علي موسى، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، اعتنى بتصحيحها: أمين عبد الوهاب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- مباحث في إعجاز القرآن، بقلم: أ.د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.
- متن القصيدة النونية، للإمام: ابن القيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- معالم التنْزيل، للإمام البغوي، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر وزميليه، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- معاني القراءات، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: د. عيد مصطفى، د.

عوض القوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: الأستاذ الشيخ: محمد عبدالعظيم الزرقاني، خرَّج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، للإمام شمس الدين محمد بن الجزري، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- منظومة عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في علم رسم المصحف، للإمام الشاطبي، تحقيق د: أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لنصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، مطبوعات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن الجزري، أشرف على تصحيحه: علي بن محمد الضباع، دار الكتاب العربي «بدون تاريخ».
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تـ ٨٨٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، توزيع مكتبة الباز، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
- الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة، تأليف الدكتور:

محمد أحمد الجمل، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

- الوسيلة إلى كشف العقيلة، لعلم الدين السخاوي، تحقيق د: مولاي محمد الإدريسي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

محظورات النكاح،
وأثرها في تحقيق مقاصده، في ضوء سورة البقرة

إعداد:
د. عبد العزيز بن محمد السحيباني

د. عبدالعزيز بن محمد السحيباني

- الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه – كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- الأمين المالي لجمعية (تبيان)
- ـ حصل على درجة الماجستير من قسم القرآن الكريم وعلومه – كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته :

(الطاعة وأنواعها في القرآن الكريم – دراسة موضوعية)

- ـ حصل على درجة الدكتوراه من قسم القرآن الكريم وعلومه – كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (فتح المنان بتفسير القرآن للحسن بن أحمد عاكش الضمدي ، من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الرعد –تحقيق–)

المقدمة

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأنزل علينا كتابه المبين، فصل آياته، فأحكمها وأتقنها، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصنا بإرسال أكرم الخلق عليه، الذي طهر الله قلبه وأظهر حجته، وأعلى في العالمين ذكره، وجعل خير الناس أمته، وخير القرون قرنه، خاتم أنبيائه، وسيد أصفيائه، وعلم أوليائه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقه إلى يوم الدين. أما بعد:

فموضوع هذا البحث يتناول موضوعا ذا شأن، يتعلق بالأسرة المسلمة، وهو محظورات النكاح، من خلال الآيات الواردة في سورة البقرة.

حدود البحث:

وإنما اقتصرت على ما ورد في سورة البقرة؛ لأن محظورات النكاح تنقسم إلى قسمين:

محظورات مؤبدة، وهي التي تعلقت بوصف دائم في الزوج أو الزوجة. كالمحرمات بالنسب والمصاهرة والرضاعة.

ومحظورات مؤقتة، وهي التي تعلقت بوصف مؤقت في أحد الزوجين، وهو سبب الحظر .

أهمية البحث وأسباب اختياره :

- أهمية البحث ظاهرة من موضوعه وعنوانه؛ لأنه يتناول دراسة آيات تتعلق بأسس ومقاصد تكوين الأسرة المسلمة؛ لتقوم بوظيفتها على أحسن وجه .

أهداف الموضوع :

- بيان محظورات النكاح في القرآن، وأنها نوعان: منها ما هو خاص بالعقد، ومنها ما هو خاص بالوطء .
- إبراز أثر محظورات النكاح في تحقيق مقاصد القرآن في بناء الأسرة المسلمة.

خطة البحث:

المقدمة.

التمهيد: تعريف محظورات النكاح ومقاصده، لغة واصطلاحا .

المبحث الأول: الآيات محل الدراسة .

المبحث الثاني: محظورات عقد النكاح وأثرها في تحقيق مقاصده .

المبحث الثالث: محظورات الوطء، وأثرها في تحقيق مقاصد النكاح.

الخاتمة

ثبت المراجع والمصادر

منهج البحث

- سلوك المنهج الاستقرائي التحليلي في دراسة الآيات محل البحث.
- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.
- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية: بذكر الكتاب، والباب، ورقم الحديث، مع الحرص على بيان درجة الحديث .
- سلوك المنهج العلمي في توثيق النصوص، بعزوها لقائليها من كتبهم مباشرة، إلا مع تعذر الأصل .

-شرح غريب الألفاظ من المعاجم اللغوية وكتب غريب القرآن.

وفي الختام أحمد الله تعالى حمد كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ويرضى على نعمه التي لا تحصى، وأشكره شكرا كثيرا لا ينتهي على ما من به علي، فأعانني على إنجاز هذا البحث، وما فتح لي فيه، وأسأله جل وعلا أن يغفر لي زللي وخطأي، وكل ذلك عندي .

كما أشكر كل من أعانني على إتمام هذا البحث، وتسديده، من قريب أو بعيد، والله يتولانا جميعا بواسع رحمته، ويوفقنا إلى أسباب مرضاته، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

تعريف محظورات النكاح ومقاصده لغة واصطلاحا .

سأتناول في هذا التمهيد بيان المعنى المراد في هذا البحث من محظورات النكاح، وكذلك مقاصده .

أما محظورات النكاح؛ فهو مركب إضافي، من باب إضافة الشيء إلى نوعه، والمراد المحظورات التي تمنع النكاح، وهو مركب من كلمتين: محظورات، والنكاح .

أما محظورات: فهي جمع محظور، على وزن مفعول، مشتق من الحظر، وهو المنع وعدم الإباحة . يقال: حظرت الشيء أحظره حظرا، أي: منعته، وكلُّ ما حال بينك وبين شيء؛ فقد حَظَرَهُ عليك . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ الإسراء: ٢٠ [1].

وأما النِّكاح: فهو مصدر نكَح ينكِح نَكْحاً ونِكاحاً. ونَكَحَ كَمَنَعَ على القياس، والأكثرون أنه كضَرَبَ، وبه وَرد القرآن .

وأصله في اللغة: الضم والتداخل . وقال آخرون أصله لزوم شيء لشيء، مستعليا عليه، ومنه قول العرب: نكح المطر الأرض إذا اعتمد عليها وداخلها . ونكح النعاس عينه إذا غلب عليها. وقال الفراء: النُكْح بضم ثم سكون اسم الفرج، ويجوز كسر أوله، وكذا قال ابن سيده. فمعنى قولِهم:

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٢٦٢، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٨٠، ولسان العرب ٤/ ٢٠٢ .

«نَكَحَها» أي أصابَ ذلك الموضعَ، نحو كَبَده: أي أصابَ كَبِدَه .

واختلف العلماء هل هو حقيقة في الكلّ، العقد والوطء، أَو مَجاز في الكل، أَو حقيقة في أَحدهما، مجاز في الآخَر .

فالذين قالوا: إنه حقيقة في العقد مجاز في الوطء - وهم أكثر الشافعية- يحتجون بكثرة وروده في الكتاب والسنة مرادا به العقد.

وذهب الأزهري- وعليه الحنفية - إلى أنه حقيقة في الوطء مجاز في العقد؛ لأن أصل النكاح في كلام العرب الوطء، و قيل للتزوج نكاح؛ لأنه سبب الوطء المباح .

والأرجح أنه حقيقة في الوطء والعقد؛ فهو لفظ مشترك، وهو ظاهر كلام كثير من اللغويين، وبه جزم الواحدي والزجاجي.

قال الليث: تقول: نكح فلان امرأة ينكحها نكاحا؛ إذا تزوجها، ونكحها؛ إذا باضعها ينكحها أيضا.

وقال الزجاج: النكاح في كلام العرب بمعنى الوطء والعقد جميعا[1].

وقال ابن جني: سألت أبا على الفارسي عن قولهم: نكحها، فقال: فرقت العرب فرقا لطيفا، يعرف به موضع العقد من الوطء؛ فإذا قالوا: نكح فلانة أو بنت فلان؛ أرادوا تزويجها والعقد عليها، وإذا قالوا: نكح امرأته؛ لم يريدوا إلا المجامعة .

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ﴾ البقرة: ٢٣٠؛ فإن المراد بالنكاح في هذه الآية هو الوطء؛ لأنه

(١) نقلا عن المرداوي في الإنصاف ٨/ ٣ .

قال: ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾، ولم يقل مثلا: حتى تنكح غيره؛ فتسميته ﴿ زَوْجًا ﴾ يشير إلى عقد النكاح؛ فكأنه قال: فلا تحل له حتى تجامع زوجا غيره .

وقد دلت السنة على هذا؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: كنت عند رفاعة؛ فطلقني، فأبت طلاقي؛ فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، إنما معه مثل هَدبة الثوب؛ فقال صلى الله عليه وسلم: **(أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَك)** متفق عليه [1].

واختار هذا القول جملة من المحققين، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر العسقلاني [2].

وأما مقاصد النكاح فهو أيضا مركب إضافي، من باب إضافة الشيء إلى ظرفه . والمراد مقاصد الشارع في النكاح .

والمقاصد: جمع مقصد، يقال: قَصَد يَقْصِدُ قصدا، أي: نحا نحوه،

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٦٨ – كتاب الشهادات – باب شهادة المختبي – حديث رقم ٢٦٣٩، وصحيح مسلم ٢/ ١٠٥٥ – كتاب النكاح – باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح .. – حديث رقم ١٤٣٣.

(٢) انظر معاني النكاح وأصله في: تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٦٤، والوسيط للواحدي ١/ ٣٣٦، وتفسير الرازي ٦/ ٤٨،ومجموع الفتاوى ٣٢/ ١٥، ولسان العرب ٢/ ٦٢٦، والقاموس المحيط ١/ ٣١٤، وشرح مسلم للنووي ٩/ ١٧٢، والدر المصون للحلبي ٢/ ٤١٤، وفتح الباري ٩/ ١٠٣، وتاج العروس ٧/ ١٩٥، وروح المعاني ٤/ ٢٤٦ .

والمقصد: الوجهة [١].

ومقاصد الشارع: هي المعاني، والحكم، والمصالح، التي راعاها الشارع، وبني عليها أحكامه [٢].

فالنكاح يتناول جملة من الضرورات، التي جاءت الشريعة بحفظها؛ فمن أهم مقاصده: حفظ اثنتين من أهم الضرورات الخمس، وهما: حفظ الدين، وحفظ النسل .

ويندرج تحت النسل: حفظ العرض، وحفظ النسب؛ فآل الأمر إلى أن مقاصد النكاح الكبرى: حفظ الدين، والنسل، والعرض، والنسب[٣].

أما حفظ الدين؛ فسيأتي بيانه في المبحث الثاني .

وأما حفظ النسل والعرض والنسب فمحله في المبحث الثالث .

وبناء على ما تقدم في تعريف النكاح؛ فالمراد **بمحظورات النكاح: كل سبب يمنع من صحة العقد، أو يحرم الوطء** .

(١) انظر: مفردات الراغب ٢/ ٢٤٤، ولسان العرب ٣/ ٣٥٣ .

(٢) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر ابن عاشور، ص٥٠ .

(٣) انظر الموافقات للشاطبي ٢/ ٢٠، ونظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني ص٤٨، وعلم المقاصد الشرعية لنور الدين الخادمي ص١٧٩ .

المبحث الأول

أقسام آيات محظورات النكاح ومواضعها في القرآن

جاء الحديث عن محظورات النكاح في ثلاث من سور القرآن: البقرة، والنساء، والنور.

وهذه المحظورات تعود إلى وصف مؤثر في أحد الزوجين، يكون سببا في حظر النكاح بينهما . وهذا الوصف المؤثر ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: وصف دائم، يترتب عليه حظر النكاح إلى أبد .

وقد ورد معظم هذا القسم من محظورات النكاح في سورة النساء، في أربع آيات .

تناولت اثنتان منها - بمنطوقهما - أنواعا من محظورات النكاح، تختص بالنساء اللاتي يحرم نكاحهن؛ بسبب القرابة . وهي تعود إلى ثلاثة أسباب: النسب، والرضاعة، والمصاهرة .

تلاهما آية ثالثة دلت أيضا بمنطوقها على تحريم نكاح ذوات الأزواج .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟

بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ النساء: ٢٢ – ٢٤[1].

(١) وقد اشتملت هذه الآيات الكريمات على أنواع النساء التي يحرم نكاحهن، وهن خمسة أنواع:

الأول: المحرمات بالنسب، وهن السبع المذكورات في قوله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾ .

وبيان ذلك (١):

١ – الأم، ويدخل فيها كل من لها عليه ولادة، وإن بعدت.

٢ – البنت، ويدخل فيها كل من له عليها ولادة.

٣ – الأخوات، ويشمل الشقيقات، والأخوات لأب، والأخوات لأم.

٤ – العمة، ويدخل فيها كل أخت لأب أو لجد وإن علا.

٥ – الخالة ويدخل فيها كل أخت لأم أو لجدة وإن علت، سواء كانت وارثة أم لم ترث.

٦ – بنت الأخ، وإن نزلت .

٧ – بنت الأخت، وإن نزلت.

فهؤلاء هن المحرمات من النسب بإجماع العلماء ؛كما هو نص الآية الكريمة، وما عداهن فيدخل في قوله تعالى:﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ النساء: ٢٤، وذلك :كبنت العم، وبنت العمة، وبنت الخال، وبنت الخالة.

الثاني: المحرمات بالرضاع؛ بدليل قوله:﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾؛ فقد ذكر الله منهن الأم والأخت . وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، إنما هو لصاحب اللبن، دل بتنبيهه على أن صاحب اللبن يكون أبا للمرتضع فإذا ثبتت الأبوة والأمومة ثبت ما هو فرع عنهما كإخوتهما وأصولهم وفروعهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ**) . رواه البخاري =

= في صحيحه ٣/ ١٧٠ - كتاب الشهادات - باب الشهادة على الأنساب، والرضاع المستفيض، والموت القديم - حديث رقم ٢٦٤٥، ورواه مسلم في صحيحه / ١٠٧٠ - كتاب الرضاع - باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل - حديث رقم ١٤٤٥ .

فينتشر التحريم من جهة المرضعة ومن له اللبن كما ينتشر في الأقارب، وفي الطفل المرتضع إلى ذريته فقط. لكن بشرط أن يكون الرضاع خمس رضعات في الحولين كما بينت السنة.

الثالث: المحرمات بالمصاهرة، وهن ثلاث، يحرمن بمجرد العقد:

١ - حلائل الآباء وإن علوا؛ بدليل قوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾؛ فتحرم ولو بمجرد العقد، وهذا أمر مجمع عليه (١).

٢ - حلائل الأبناء وإن نزلوا، وارثين أو محجوبين؛ لعموم قوله: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾. ويدخل فيه الأبناء من الرضاع، وهو قول الجمهور، وحكاه بعضهم إجماعا؛ بدليل عموم قوله صلى الله عليه وسلم: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) .

٣- أمهات الزوجة وإن علون .

٤ - الربيبة، وهذه لا تحرم بمجرد العقد، وهي بنت الزوجة وإن نزلت؛ فهذه لا تحرم حتى يدخل بأمها؛ كما قال هنا: ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾.

والجمهور على أن قوله: ﴿ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم ﴾ قيد خرج مخرج الغالب؛ فلا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره .

الرابع: المحرمات بالجمع؛ فقد ذكر الله في الآية الجمع بين الأختين؛ بقوله: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ . انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٥، وتفسير السعدي ص١٧٣ .

وحرم النبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها؛ كما في حديث أبي =

وتناولت آية رابعة – بمفهومها – نوعا آخر من محظورات النكاح، يتعلق بعدد الزوجات اللاتي يجوز نكاحهن في آن واحد، وأنه لا يجوز تجاوز هذا العدد، وهي قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ النساء: ٣.

يضاف إلى ما تقدم في سورة النساء نوع آخر من المحظورات إلى أبد:

وهو ما جاء في سورة النور، وهو نكاح المتلاعنين، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ النور: ٦ – ٩ .

الثاني: وصف غير دائم، يترتب عليه حظر النكاح إلى أمد .

وهو محل الدراسة في هذا البحث .

= هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا**) متفق عليه . صحيح البخاري ٧/ ١٢ – كتاب النكاح – باب لا تنكح المرأة على عمتها – حديث رقم ٥١٠٩، وصحيح مسلم ٢/ ١٠٢٨ – كتاب النكاح – باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح حديث رقم ١٤٠٨ .

وعليه: فكل امرأتين بينهما رحم محرم لو قدر إحداهما ذكرًا والأخرى أنثى حرمت عليه فإنه يحرم الجمع بينهما، وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام.

الخامس: نكاح المحصنات من النساء، المذكورات في قوله: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾، أي: وحُرِّمت عليكم المحصنات من النساء، وهن ذوات الأزواج؛ فيحرم نكاحهن؛ ما دمن في ذمة الزوج حتى تطلق وتنقضي عدتها. انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٩، وتفسير السعدي ص١٧٣ .

ومعظم محظورات هذا القسم تناولتها سورة البقرة، في ثلاثة مواضع .

وأهمها، وهو مرتكز هذا البحث، ومعظمه:

الموضع الأول: فقد جاء الحديث فيه عن محظورات النكاح ابتداء، مفصلا، في ثلاث آيات متوالية، من الآية: ٢٢١ إلى الآية ٢٢٣ .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٢٢١ – ٢٢٣ .

ولذا؛ فإن هذا البحث يقوم أصلا على دراسة هذه الآيات الثلاث بالتفصيل؛ لبيان ما فيها من دلالات على محظورات النكاح ومقاصده .

وهذا ما حملني على جعل عنوان البحث محصورا في سورة البقرة .

ولما كان موضوع هذه الآيات هو محظورات النكاح، وما يتعلق بها من مقاصد؛ فقد ظهر لي أن بين هذه الآيات اتصالا ظاهرا .

فقد تناولت الآية الأولى محظورات عقد النكاح وأثرها في تحقيق مقاصده .

كما أن الآية الثانية والثالثة تناولتا محظورات الوطء وأثرها في تحقيق مقاصده .

وأما الموضع الثاني: فقد جاء عرضا عند الحديث عن أصول المفطرات في الصيام، وأحدها الجماع، وذلك في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ البقرة: ١٨٧.

وأيضا في هذا الموضع تعرضت الآية لمحظور آخر عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ البقرة: ١٨٧.

والموضع الثالث: كذلك تناولته السورة عرضا، عند الحديث عن مناسك الحج، وأن الجماع من محظورات الإحرام، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ البقرة: ١٩٧.

والموضع الرابع: جاء الحديث عنه أيضا عرضا، ضمن الآيات التي تناولت أحكام الطلاق. وهي قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ البقرة: ٢٣٠.

إذن فسورة البقرة تضمنت معظم المحظورات إلى أمد.

لكن لغرض استيفاء جوانب البحث سأضيف ما جاء في سورة النور؛ فقد تناولت بعض محظورات النكاح في قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: ٣. وسيأتي الحديث عن هذه الآية بالتفصيل عند الحديث عن محظورات عقد النكاح في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: محظورات عقد النكاح وأثرها في تحقيق مقاصده

الأصل في هذا المبحث هو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ البقرة: ٢٢١ .

وموضوع هذه الآية هو: حكم نكاح المشركات وإنكاح المشركين، والحكم المستفادة منه.

فموضوع الآية يتناول محظورات عقد النكاح، وأثرها في تحقيق مقاصده .

وهذا يتبين في الوقوف عند الآية، وما أثر عن المفسرين في تفسيرها، وما تضمنته من دلالات وإشارات .

فقوله تعالى: وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ : أي: لا تتزوجوا النساء المشركات؛ ما دمن على شركهن .

عن علي بن أبي طلحة عن بن عباس رضي الله عنهما: وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ، ثم استثنى نساء أهل الكتاب، فقال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ المائدة: ٥ حل لكم [١].

وهكذا قال مجاهد، وعكرمة، وغير واحد [٢].

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ٣٧٦، وسنن البيهقي ٧/ ١٧١ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٣٦٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٣٩٧، وتفسير ابن كثير =

فالمحظور الأول من محظورات عقد النكاح هو: نكاح المسلم المشركة .

ودل عموم قوله تعالى:وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ على تحريم جميع النساء المشركات . ولكن آية المائدة خصصتها؛ فأباحت نساء أهل الكتاب؛كما قال تعالى:﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ المائدة:٥[1]. ويؤيده تفسير ابن عباس المتقدم .

وذهب بعض العلماء إلى أن الآية في جميع المشركات الكتابيات وغير الكتابيات ، وأن حكمها غير منسوخ، فلا يجوز لمسلم أن ينكح مشركة أبداً.

ويستدلون على هذا بأن طلحة بن عبيد الله نكح يهودية، ونكح حذيفة نصرانية؛ فغضب عمر بن الخطاب غضباً شديداً، حتى كاد يبطش بهما؛ فقالا نحن نطلق يا أمير المؤمنين ولا تغضب؛ فقال : لئن حل طلاقهن؛ لقد حل نكاحهن، ولكن ينزعن منكم صغرَةً قمأةً[2] [3] .

ويستدلون أيضا بما أخرجه البخاري في صحيحه أن بن عمر كان إذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال: إن الله حرم المشركات على

= ١/ ٢٥٨ .

(١) انظر: زاد المسير ١/ ١٨٨، وفتح الباري ٩/ ٤١٧، وتفسير السعدي ص ٩٩ .

(٢) أي: أذلة، فقوله: صغرة من الصغار، وقوله:قمأة كذلك الذليل الصغير. انظر لسان العرب ١/ ١٣٤.

(٣) انظر: المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٢٤٨ – حديث رقم ١٣٠١٣، والنكت والعيون للماوردي ١/ ٢٨١ . وذكره الضياء فيي المختارة ١١/ ٦، وقال ابن عطية:" وهذا لا يستند جيدا". المحرر الوجيز ١/ ٢٩٦. وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ٥٨٢- بأنه أثر غريب .

المؤمنين، ولا أعلم من الإشراك شيئا أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى وهو عبد من عباد الله [1].

قال أبو جعفر الطبري، بعد حكايته الإجماع على إباحة تزويج الكتابيات، معقبا على خبر حذيفة وطلحة مع عمر: "وإنما كره عمر ذلك؛ لئلا يزهد الناس في المسلمات، أو لغير ذلك من المعاني". ثم روى رحمه الله بسند صحيح أن حذيفة تزوج يهودية؛ فكتب إليه عمر: خَل سبيلها؛ فكتب إليه: أتزعم أنها حرام؛ فأخَلي سبيلها؟ فقال: لا أزعم أنها حرام، ولكني أخاف أن تعاطوا المومسات منهن".

وروى أيضا بسند صحيح عن زيد بن وهب أنه قال: قال لي عمر بن الخطاب: المسلم يتزوج النصرانية، ولا يتزوج النصراني المسلمة [2].

وذهب آخرون إلى أنها نزلت مراداً بها مشركات العرب، وأنها ثابتة لم ينسخ شيء منها، وأنه تكرر في القرآن إطلاق لفظ المشركين، غير متناول أهل الكتاب؛ كقوله سبحانه: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾ البينة: ١، وهذا قول قتادة، وسعيد بن جبير، وبه قال الإمام أحمد، واختاره أبو جعفر الطبري [3].

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٠٢٤ - كتاب الطلاق - باب قول الله تعالى: {ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم} - حديث رقم ٤٩٨١.

(٢) تفسير الطبري ٤/ ٣٦٦، وانظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٨٤.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤/ ٣٦٣، والنكت والعيون للماوردي ١/ ٢٨١، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٥، والمغني ٧/ ١٢٩، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٨٤.

والقول الأول أظهر، وبه قال جماهير العلماء . بل قال ابن المنذر: لا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم نكاح نساء أهل الكتاب.

وأجاب شيخ الإسلام ابن تيمية عن حجة القائلين بعموم آية البقرة من ثلاثة أوجه:

"**أحدها**: أن أهل الكتاب لم يدخلوا في المشركين بدليل قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾ الحج: ١٧. فإن قيل: فقد وصفهم بالشرك بقوله:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣١ ؛ قيل: أهل الكتاب ليس في أصل دينهم شرك؛ فإن الله إنما بعث الرسل بالتوحيد؛ فكل من آمن بالرسل والكتب؛ لم يكن في أصل دينهم شرك، ولكن النصارى ابتدعوا الشرك؛ كما قال: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؛ فحيث وصفهم بأنهم أشركوا؛ فلأجل ما ابتدعوه من الشرك، الذي لم يأمر الله به، وحيث ميزهم عن المشركين؛ فلأن أصل دينهم اتباع الكتب المنزلة التي جاءت بالتوحيد لا بالشرك.

ولم يخبر الله عز وجل عن أهل الكتاب أنهم مشركون بالاسم بل قال: عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بالفعل، وآية البقرة قال فيها:﴿ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ و﴿ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾" بالاسم، والاسم أوكد من الفعل .

الوجه الثاني: أن يقال: إن شملهم لفظ المشركين في سورة البقرة؛ كما وصفهم بالشرك؛ فهذا متوجه بأن يفرق بين دلالة اللفظ مفردا ومقرونا،

فإذا أفردوا دخل فيهم أهل الكتاب، وإذا قرنوا بأهل الكتاب لم يدخلوا فيهم، كما قيل مثل هذا في اسم الفقير والمسكين، ونحو ذلك، فعلى هذا يقال آية البقرة عامة، وتلك خاصة، والخاص يقدم على العام .

الوجه الثالث: أن يقال آية المائدة ناسخة لآية البقرة؛ لأن المائدة نزلت بعد البقرة باتفاق العلماء" اهـ باختصار [1].

وقوله: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾: تعليل للنهي عن نكاح المشركات، مؤكدا بلام الابتداء [2].

قال السدي: نزلت في عبد الله بن رواحة، وكانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها؛ فلطمها، ثم فزع؛ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأخبره؛ فقال: ما هي يا عبد الله ؟ قال: تصلي، وتصوم، وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؛ فقال: يا عبد الله هذه مؤمنة؛ فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقنها، وأتزوجها؛ فطعن عليه ناس من المسلمين، وقالوا: نكح أمة، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين، وينكحوا المشركات؛ رغبة في أحسابهم؛ فنزلت [3].

ومعناها: ولنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة، من غير أهل

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ٩٢ .

(٢) انظر: تفسير الرازي ٦/ ٤١٢، وتفسير أبي السعود ١/ ٢٢١، وتفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/ ٧٦ .

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٣٩٨، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٥٨، والعجاب لابن حجر ١/ ٥٥١ .

الكتاب، وإنْ شَرُف نسبها وكَرُم أصلها وأعجبتكم في جمالها ومالها [١].

وقال أبو حيان: " والمعنى: أن المشركة، وإن كانت فائقة في الجمال والمال والنسب؛ فالأمة المؤمنة خير منها؛ لأن ما فاقت به المشركة يتعلق بالدنيا، والإيمان يتعلق بالآخرة، والآخرة خير من الدنيا، فبالتوافق في الدين؛ تكمل المحبة ومنافع الدنيا: من الصحبة، والطاعة، وحفظ الأموال والأولاد، وبالتباين في الدين؛ لا تحصل المحبة، ولا شيء من منافع الدنيا " اهـ [٢].

ومما يؤيد هذا المعنى ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**) .

فإن قيل: وهل يدل قوله: ﴿ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾ على أن في المشركة خيرا؟ فالجواب من أحد وجهين:

الأول: أن التفضيل في الآية يراد به التفضيل المطلق، وهو الذي لا يكون في جانب المفضل عليه شيء منه؛ كما قال تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٤.

والثاني: أن يكون المراد ما في المشركة من خير حسي، من جمال، ونحوه . ويشير إلى هذا المعنى قوله: ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ .

فالمفاضلة – كما تقدم – بين منافع الأمة المؤمنة الدينية وبين منافع

(١) انظر النكت والعيون للماوردي ١/ ٢٨١ .

(٢) البحر المحيط ٢/ ٤١٨ .

الحرة المشركة الدنيوية، ولا ريب أن منافع الدين خير من أعراض الدنيا المنافية للدين؛ فالمقصود من المفاضلة بيان حكمة التحريم في الآية [1].

ونكاح المسلم للمشركة مناقض لأهم مقاصد النكاح .

قال أبو بكر الكاساني: "لا يجوز للمسلم أن ينكح الكافرة؛ لأن ازدواج الكافرة والمخالطة معها مع قيام العداوة الدينية لا يحصل السكن والمودة الذي هو قوام مقاصد النكاح" اهـ [2].

وقوله: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾: أي: لا تُزَوّجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات؛ كما قال تعالى: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الممتحنة: ١٠[3].

قال ابن عطية: " أجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه؛ لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام " اهـ [4].

وعليه فالمحظور الثاني من محظورات عقد النكاح هو: إنكاح المشرك المسلمة .

وقوله: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾: تعليل أيضا

(١) انظر: تفسير القرطبي ٣/ ٧٠، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٤٣، وتفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/ ٧٧.

(٢) بدائع الصنائع ٢/ ٢٧٠ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٥٨ .

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٢٩٧ . وانظر النكت والعيون للماوردي ١/ ٢٨٢، وتفسير القرطبي ٣/ ٧٢ .

للنهي؛ كسابقه، والمعنى: ولرجل مؤمن - ولو كان عبدًا حبشيًا -خير من مشرك، وإن كان رئيسًا سَرِيًا [١].

وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾: تعليل لما تقرر في الجملتين السابقتين . أي أن المؤمنين والمؤمنات خير من المشركين والمشركات؛ لأنهم بشركهم يدعون إلى النار . أي: أن المشركين والمشركات يدعون إلى الكفر، المؤدي إلى النار، إما بالقول، أو بالفعل، أو بالمال، أو بالمحبة والمخالطة [٢].

يقول صاحب المنار: "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ أشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات، أي: من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم . وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة؛ لأن من شأنها أن يتسامح معها في شئون كثيرة . وكل تساهل وتسامح مع المشرك أو المشركة محظور محذور الشر؛ بما يخشى منه أن يسري شيء من عقائد الشرك للمؤمن أو المؤمنة؛ بضروب الشبه والتضليل، التي جرى عليها المشركون، كقولهم فيمن يتخذونهم وسطاء بينهم وبين الخالق: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يونس: ١٨، وقولهم: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر: ٣؛ فهذه الشبهة هي التي فتن بها أكثر البشر، ولم يسلم منها أهل شريعة سماوية خالطوا المشركين وعاشروهم" اهـ [٣].

وأيضا هذه الجملة بمثابة التعليل أو الوصف المناسب للحكمين

(١) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٢٥٨ .

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي ٢/ ١٢٠، وتفسير القرآن الكريم للعثيمين ٣/ ٧٧ .

(٣) تفسير المنار ٢/ ٢٨٠ .

السابقين: المحظور الأول، والثاني.

قال الفخر الرازي: " قال في آخر الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، والوصف إذا ذكر عُقيب الحكم، وكان الوصف مناسبا للحكم؛ فالظاهر أن ذلك الوصف علة لذلك الحكم" اهـ [1].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾، أي: يدعو عباده؛ لتحصيل الجنة والمغفرة، التي من آثارها دفع العقوبات، وذلك بالدعوة إلى أسبابها: من الأعمال الصالحة، والتوبة النصوح، والعلم النافع، والعمل الصالح [2].

وقد يقال: المتبادر إلى الذهن أن يقابل ما أسنده إلى المشركين والمشركات بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن يقول: والمؤمنون يدعون إِلَى الجنة والمغفرة بإذنه؛ فلماذا عدل عن ذلك؛ فأسنده إلى الله تعالى؟

والنكتة في ذلك – والله أعلم – من وجوه [3]:

الأول: أن فيه إشارة إلى كمال المؤمنين والمؤمنات وشرفهم؛ حيث جعل أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم موافقة لمراد الله تعالى .

الثاني: أن فيه تفظيعا وتبشيعا لدعوة المشركين والمشركات، وأنها مضادة لدعوة الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير الرازي ٦/ ٤١١ .

(٢) تفسير السعدي ص ٩٩ .

(٣) انظر: الكشاف ١/ ٢٦٤، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٦٣، والتفسير الوسيط للقرآن لمحمد سيد طنطاوي ١/ ٤٩١ .

الثالث: أن فيه حثا ودعوة للمؤمنين والمؤمنات بأن يكونوا في جميع أحوالهم دعاة إلى الله تعالى وإلى الأسباب الموجبة لمغفرته وجنته .

وقوله: ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾، أي: بشرعه، وما أمر به، وما نهى عنه [١].

وقال البغوي:" ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾، أي: بقضائه وإرادته " اهـ [٢].

ورجح العثيمين أن يكون الإذن في الآية شاملا لإذن الله الكوني والشرعي، وعلل ذلك بأن دخول الإنسان فيما يكون سبباً للجنة والمغفرة كوني، وما يكون سبباً للجنة والمغفرة هذا مما شرعه الله [٣].

وقوله: ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾: المراد بالآيات آيات القرآن . أي: يوضح للناس آيات القرآن ويجليها؛ لكي يتعظوا .

قال الإمام الطبري في تفسيرها :" أي: ويوضح حججه وأدلته في كتابه الذي أنزله على لسان رسوله لعباده؛ ليتذكروا، فيعتبروا، ويميزوا بين الأمرين الذين أحدهما دَعاء إلى النار والخلود فيها، والآخر دَعاء إلى الجنة وغفران الذنوب، فيختاروا خيرهما لهم" [٤].

وقال السعدي:" أي: يبين للناس أحكام آياته وحكمها؛ فيوجب لهم ذلك: التذكر لما نسوه، وعلم ما جهلوه، والامتثال لما ضيعوه" [٥].

ومما تقدم تبين أن هذه الآية قد دلت بمنطوقها على محظورين من

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٢٥٨ .

(٢) تفسير البغوي ١/ ٢٥٦ .

(٣) تفسير القرآن الكريم ٣/ ٧٨ .

(٤) تفسير الطبري ٤/ ٣٧١ .

(٥) تفسير السعدي ص٩٩ .

محظورات عقد النكاح:

١- **نكاح المشركات المسلمين .**

٢- **إنكاح المشركين المسلمات .**

ودلت الآية على أن علة هذين المحظورين من وجهين:

الأول: أن المشرك والمشركة قد تلبسا بوصف الشرك المنافي لوصف الإيمان .

الثاني: أنهما بهذين الوصفين يدعوان بأقوالهما وأفعالهما وبأحوالهما إلى النار .

فدل هذان الوجهان على أن الغرض من هذا الحظر هو مراعاة مقصد من أعظم مقاصد النكاح، بل هو أعظمها، وهو حفظ الدين.

ولما كان الحكم يدور مع علته وجودا وعدما؛ فيمكن أن يستنبط من الآية – بدلالة المفهوم -محظوران آخران في الناكح الفاسق .

وهذه المسألة يتناولها الفقهاء في باب الكفاءة في النكاح . وهم متفقون أن الدين من شروط الكفاءة في النكاح، وهو حق للمرأة؛ فيثبت لها حق الفسخ؛ بفوات هذا الشرط . لكنهم اختلفوا هل هو شرط في صحة النكاح؟ أم أنه شرط في لزومه فقط [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " اتفق الفقهاء على اعتبار الكفاءة في الدين، وعلى ثبوت الفسخ بفوات هذه الكفاءة واختلفوا في صحة النكاح بدون ذلك وهما قولان مشهوران في مذهب أحمد وغيره" اهـ [٢].

(١) انظر: بداية المجتهد لابن رشد ١/ ٤٠٤، وفتح الباري لابن حجر ٩/ ١٣٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/ ٣١٧ .

ومما يدل على أن الدين – أصلا وكمالا – شرط في صحة العقد حديث أبي حاتم المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ**) ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ **قَالَ**: (**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ**) ثلاث مرات .

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأبو حاتم المزني له صحبة، ولا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث [١].

والناكح الذي لا يرتضى دينه هو الفاسق .

قال ابن القيم:" الذي يقتضيه حكمه صلى الله عليه وسلم اعتبار الدين في الكفاءة أصلا وكمالا، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمرا وراء ذلك" اهـ [٢].

والفسق نوعان:

فسق اعتقاد، وفسق عمل .

فالفاسق باعتقاده يراد به المبتدع . وهو أسوأ حالا من الفاسق بعمله؛ لأنه مضاه للشارع، مستدرك عليه، ومعاند للشرع، ومشاق له .

وذلك أنه لما كانت العقول غير مستقلة بجلب مصالحها، ولا دفع مفاسدها؛ جاءنا الله بالشريعة المحمدية، كاملة، لا تحتمل الزيادة ولا

(١) سنن الترمذي ٣/ ٣٨٧ – كتاب النكاح – باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه – حديث رقم ١٠٨٥ . وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٢٦٦ .

(٢) زاد المعاد ٥/ ١٤٥ .

النقصان، مبنية على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها [1].

فكل من يزعم خلاف ذلك؛ فهو مبتدع، منتقص للشريعة، متخوِّن من جاء بها .

نُقل عن الإمام مالك قوله:" من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ المائدة: ٣ ، فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا"[2].

ومرد ذلك أن المبتدع يقدِّم ما يمليه عليه عقله وهواه على أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول الشاطبي: " قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ القصص: ٥٠ ، الآية صريحة في أن من لم يتبع هدى الله في هوى نفسه؛ فلا أحد أضل منه . وهذا شأن المبتدع؛ فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله . وهدى الله هو القرآن " اهـ باختصار [3].

فإذا كان الناكح صاحب بدعة مكفرة، ولو لم يدع إليها؛ فهو ملحق بالمشركين الذين نصت الآية على تحريم تزويجهم .

وأما إن كانت البدعة غير مكفرة، وصاحبها داع إليها؛ فالآية تدل على

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ١٣٨، والاعتصام للشاطبي ص٦١ .

(٢) ذكره الشاطبي في الاعتصام (ص ٦٣، ص٥٣٥) من طريق ابن حبيب قال: أخبرني ابن الماجشون قال: سمعت مالكا يقول: ... .

(٣) الاعتصام ص٦٦ .

المنع، لاسيما إن كانت بدعته تفضي إلى الكفر .

ووجه ذلك أن دعوة المبتدع إلى بدعته – في حقيقتها – دعوة إلى النار، بقوله وفعله وحاله .

فدل على أن علة تحريم تزويج المشرك موجودة في المبتدع الداعي إلى بدعته .

بل قد يكون المبتدع أشد تأثيرا بمن يخالطه؛ لما يبثه من شبهات وتلبيس .

وقد كان السلف الصالح يحذرون من مجالسة أهل البدع، واشتد نكيرهم على من يصنع ذلك.

قال ابن زَمَنِين (ت:٣٩٩هـ): " باب النهي عن مجالسة أهل الأهواء: ولم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم، ويخوفون فتنتهم، ويخبرون بخلاقهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعنا عليهم" اهـ [١].

وكان أبو قلابة يقول: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم [٢].

وسأل رجل من أصحاب البدع أيوب السختياني، فقال: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة . قال: فولى أيوب وهو يقول: ولا نصف كلمة، ولا

(١) أصول السنة ص٢٩٣ .

(٢) أخرجه الفريابي في كتاب القدر بسند صحيح؛ كما يقول محقق الكتاب ص٢١٢ .

نصف كلمة [1].

والأصل في هذا من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ الأنعام: ٦٨ .

قال الشوكاني عند تفسيره لهذه الآية:" ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها؛ علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولاسيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة " اهـ [2].

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين قالت: **تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران: ٧ ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ)** [3].

وهذا يدل على شدة خطر مجالسة المبتدع، ولو مرة واحدة .

---

(١) أخرجه الفريابي في كتاب القدر بسند صحيح؛ كما يقول محقق الكتاب ص٢١٥ .

(٢) فتح القدير ٢/ ١٤٦ .

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٣٣ – كتاب التفسير – باب ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ – حديث رقم ٤٥٤٧، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٣ – كتاب العلم – باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن – حديث رقم ٢٦٦٥ .

فما بالك بالمخالطة الدائمة بين الزوجين، والتي تقوم على المودة والرحمة وقوة الرابطة، إضافة إلى ما للزوج من سلطان على المرأة، مع ضعفها وتعلقها به.

لا ريب أن هذه المخالطة بين الزوجين أعظم أثرا، وأشد خطرا .

ولذا أفتى بعض العلماء بأن المناكحة بين أهل السنة وأهل الاعتزال لا تجوز [١].

وقال الإمام أحمد: لا يزوج بنته من حروري، مرق من الدين، ولا من الرافضي، ولا من القدري، فإذا كان لا يدعو فلا بأس [٢].

وقال القرافي: " وأما الفاسق باعتقاده؛ فقال مالك: لا يزوج القدرية، ولا يزوج إليهم" اهـ [٣].

إذن فالمحظور الثالث من محظورات عقد النكاح هو: إنكاح المبتدع الداعي إلى بدعته.

وأما الفاسق بعمله؛ فيراد به المرتكب لكبائر الذنوب، كأكل الربا، والزنا، وشرب الخمر..

وقد يعبر عنه الفقهاء بالفاجر؛ فيقولون: لا تزوج العفيفة بفاجر [٤].

وجمهور العلماء يعدون فسق العمل مانعا من موانع لزوم عقد النكاح،

---

(١) انظر: روح البيان لإسماعيل حقي ٩/ ٤٨٣ .

(٢) المغني ٧/ ٣٩ .

(٣) الذخيرة ٤/ ٢١٣ .

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٣٤/ ٢٧١، والفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبه الزحيلي ٩/ ٢٢٨ .

لا من صحته .

وذهب بعض العلماء إلى أنه مانع من صحة العقد، وهو رواية عن الإمام أحمد [1].

فقد سئل عن رجل له حسب ومال ويشرب الخمر؛ فأجاب: ما هو بكفء لها، يفرّق بينهما[2].

والذي يظهر أن الدين شرط لصحة عقد النكاح؛ إذا كان الخلل من جهة العفاف؛ فإذا كان الناكح معروفاً بالزنا، ولم يتب؛ فإنه لا يصح أن يُزوَّج، وإذا كانت المنكوحة معروفة بالزنا، ولم تتب؛ فإنه لا يصح أن تُزوج.

ويدل على هذا الحكم قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٣ .

وقد اختلفت أقوال المفسرين في معنى هذه الآية؛ لاختلافهم في المراد بالنكاح هنا، أهو الوطء أم العقد؟، فالذين فسروه بالوطء؛ قالوا بأن معنى الآية: الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة، أي لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة، لا ترى حرمة ذلك، وكذلك الزانية لا يطأها إلا زان، أي عاص بزناه، أو مشرك، لا يعتقد تحريمه، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، فقد صح عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ أنه قال:" ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزني بها إلا زان أو مشرك" وقد روي نحو ذلك عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعروة

(١) الملخص الفقهي للدكتور صالح الفوزان ٢/ ١٩٢ .

(٢) انظر: مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ٤/ ١٤٨٧ .

بن الزبير، والضحاك، ومكحول، ومقاتل بن حيان ، واختار هذا القول الطبري وابن كثير وابن جزي الكلبي[١].

ويرد على هذا القول إيرادات، من أظهرها أن سبب النزول بخلافه[٢]؛ لأنه صريح في الدلالة على أن المراد بالنكاح العقد لا الوطء .

(١) انظر تفسير الطبري ١٨/ ٧٥، والتسهيل لابن جزي ٣/ ٥٩، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٦٣.

(٢) جاء في سبب نزول هذه الآية ما أخرجه الترمذي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: كان رجل يقال له: مرثد بن أبي مرثد، وكان رجلا يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها: عناق وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلا من أسارى مكة يحمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط فلما انتهت إلي عرفت، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا الليلة. قال: قلت: يا عناق حرم الله الزنا، قالت: يا أهل الخيام، هذا الرجل يحمل أسراءكم، قال: فتبعني ثمانية وسلكت الْخَنْدَمَة - بفتح الخاء المعجمة وسكون النون جبل معروف عند مكة - فانتهيت إلى كهف أو غار فدخلت، فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي وعماهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه أكبله فجعلت أحمله ويعييني حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أنكح عناقا؟ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئا حتى نزلت: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَا مَرْثَدُ: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فَلَا تَنْكِحْهَا) . سنن الترمذي ٥/ ٣٢٨ – كتاب التفسير– باب ومن سورة النور– حديث رقم ٣١٧٧ . قال الترمذي: هذا حديث =

وأما الذين فسروا النكاح بالعقد، فحجتهم أن النكاح لم يرد في القرآن إلا بمعنى العقد، قال الزجاج: " لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله إلا على معنى التزويج "[1]. وكذلك قال صاحب الكشاف، وابن عاشور[2].

والذين فسروه بالعقد اختلفوا في تطبيقه على الآية، على وجهين :

فمنهم من جعلها خاصة بمن جاء ذكرهم في سبب النزول، لا تتعداهم إلى غيرهم .

ومنهم من قال : إن نكاح الزانية – يعني التزوج بها – كان محرّماً في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ النور: ٣٢، بدلالة قوله: ﴿ مِنكُمْ ﴾ أي من المسلمين، وهو قول سعيد ابن المسيب، وبه قال الشافعي [3].

= حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال الألباني: حسن الإسناد. والحديث أخرجه أيضا النسائي في السنن الكبرى ٢/ ٢٧٠ وأبو داود مختصرا في سننه ٢/ ٢٢٠ .
وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ مَهْزُولٍ وَكَانَتْ تُسَافِحُ وَتَشْتَرِطُ لَهُ أَنْ تُنْفِقَ عَلَيْهِ قَالَ فَاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ ذَكَرَ لَهُ أَمْرَهَا قَالَ: فَقَرَأَ عَلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ . المسند ٢/ ١٥٨– حديث رقم ٦٤٨٠ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧٤ : رجاله ثقات .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩ .

(٢) انظر الكشاف ٣/ ٢١٦، والتحرير والتنوير ١٨/ ١٥٣ .

(٣) انظر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٠٠، والسنن الكبرى للبيهقي ٧/ ١٥٤ ، وتفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٢٤ .

وقد ضعف هذين الوجهين جملة من المحققين، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والشنقيطي، وابن عاشور، فالتخصيص لا دليل عليه، وهو خلاف الأصل؛ فلا يقتصر بالقرآن على محال أسبابه، وقوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ صريح في عموم الآية . كما أن القول بالنسخ ظاهر الضعف، كما سيأتي [1].

والتحقيق أن أقرب الوجوه إلى الصواب في تفسير هذه الآية هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وحرر فيه المقال، حيث قال رحمه الله تعالى: " والذين لم يعملوا بهذه الآية؛ ذكروا لها تأويلا ونسخا، أما التأويل، فقالوا : المراد بالنكاح الوطء، وهذا مما يظهر فساده بأدنى تأمل، أما أولا: فليس في القرآن لفظ نكاح إلا ولابد أن يراد به العقد وإن دخل فيه الوطء أيضا، فأما أن يراد به مجرد الوطء، فهذا لا يوجد في كتاب الله قط، وثانيها: أن سبب نزول الآية إنما هو استفتاء النبي صلى الله عليه وسلم في التزوج بزانية، فكيف يكون سبب النزول خارجا من اللفظ، الثالث: أن قول القائل: الزاني لا يطأ إلا زانية أو الزانية لا يطؤها إلا زان كقوله: الآكل لا يأكل إلا مأكولا، والمأكول لا يأكله إلا آكل، والزوج لا يتزوج إلا بزوجة، والزوجة لا يتزوجها إلا زوج، وهذا كلام ينزه عنه كلام الله، الرابع: أن الزاني قد يستكره امرأة؛ فيطؤها؛ فيكون زانيا، ولا تكون زانية، وكذلك

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢/ ١١٤، وإغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٦٦، والتحرير والتنوير ١٨/ ١٥٥، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب لمحمد الأمين الشنقيطي ص١٧١ .

المرأة قد تزني بنائم ومكره على أحد القولين، ولا يكون زانيا، الخامس: أن تحريم الزنا قد علمه المسلمون بآيات نزلت بمكة، وتحريمه أشهر من أن تنزل هذه الآية بتحريمه، السادس: قال: ﴿ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾، فلو أريد الوطء لم يكن حاجة إلى ذكر المشرك؛ فإنه زان، وكذلك المشركة إذا زنى بها رجل؛ فهي زانية، فلا حاجة إلى التقسيم، السابع : أنه قد قال قبل ذلك : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾، فأي حاجة إلى أن يذكر تحريم الزنا بعد ذلك، وأما النسخ، فقول من قال: هي منسوخة بقوله: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ في غاية الضعف؛ فإن كونها زانية وصف عارض لها؛ يوجب تحريما عارضا، مثل كونها محرمة ومعتدة ومنكوحة للغير ونحو ذلك مما يوجب التحريم إلى غاية، ولو قدر أنها محرمة على التأبيد؛ لكانت كالوثنية، ومعلوم أن هذه الآية لم تتعرض للصفات التي بها تحرم المرأة مطلقا أو مؤقتا، وإنما أمر بإنكاح الأيامى من حيث الجملة، وهو أمر بإنكاحهن بالشروط التي بينها، وكما أنها لا تنكح في العدة والإحرام؛ لا تنكح حتى تتوب، وأيضا فالتي تزني بعد النكاح ليست كالتي تتزوج وهي زانية؛ فإن دوام النكاح أقوى من ابتدائه، والإحرام والعدة تمنع الابتداء، دون الدوام، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾، قيل: المتزوج بها إن كان مسلما؛ فهو زان، وإن لم يكن مسلما؛ فهو كافر، فإن كان مؤمنا بما جاء به الرسول من تحريم هذا وفعله؛ فهو زان، وإن لم يكن مؤمنا بما جاء به الرسول؛ فهو مشرك، كما كانوا عليه في الجاهلية، كانوا يتزوجون البغايا، يقول:

فإن تزوجتم بهن كما كنتم تفعلون من غير اعتقاد تحريم ذلك؛ فأنتم مشركون، وإن اعتقدتم التحريم؛ فأنتم زناة" انتهى باختصار [١]. وبنحو هذا القول قال ابن القيم [٢]. واختاره السعدي[٣]، وابن عثيمين [٤].

فتكون هذه الآية على هذا الوجه الراجح في تفسيرها دليلا ظاهرا على تحريم إنكاح الزاني، وعلى تحريم نكاح الزانية .

ويؤيد هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ النور: ٢٦.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء [٥].

فذكرت الآية أن جميع الخبيثات للخبيثين؛ فلا تبقى خبيثة لطيب، ولا طيب لخبيثة . وأخبر أن جميع الطيبات للطيبين؛ فلا تبقى طيبة لخبيث؛ فجاء الحصر من الجانبين [٦].

إذن فالمحظور الرابع من محظورات عقد النكاح هو: إنكاح الزاني الذي – لم يتب من الزنا – العفيفة .

والمحظور الخامس هو: نكاح العفيف الزانية التي لم تتب من الزنا .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٢/ ١١٣-١١٦ .

(٢) انظر إغاثة اللهفان ١/ ٦٦.

(٣) انظر تفسير السعدي ص ٥٦١ .

(٤) انظر الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٢/ ١٠٣ .

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٤٤، وتفسير البغوي ٦/ ٢٨ .

(٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥/ ٣٢٣، وزاد المعاد لابن القيم ٥/ ١٠٤ .

ودل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ على اعتبار الولي في نكاح[1]. وهو قول جمهور العلماء . واستدلوا بهذه الآية.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ البقرة:٢٣٢؛ لأن النهي عن العضل موجه للأولياء .

كما استدلوا بقوله: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ النور: ٣٢ .

وبقوله في قصة موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ ﴾ القصص: ٢٧ .

وقد استدل البخاري في صحيحه بهذه الآيات، فقال: " باب من قال: لا نكاح إلا بولي لقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ ؛ فدخل فيه الثيب، وكذلك البكر، وقال: ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾، وقال: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ " اهـ[2].

واستدل الجمهور أيضا بحديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ**) أخرجه الإمام أحمد وأهل السنن إلا النسائي[3].

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص ٩٩ .

(٢) صحيح البخاري ٧/ ١٥– كتاب النكاح .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٢/ ٢٨٠ – حديث رقم ١٩٥١٨، وسنن الترمذي ٣/ ٣٩٩ – كتاب النكاح – باب ما جاء لا نكاح إلا بولي – حديث رقم ١١٠١، وسنن أبي داود ٢/ ٢٢٩ – كتاب النكاح – باب في الولي – حديث رقم ٢٠٨٥ . والحديث صححه علي بن المديني والبخاري كما في تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي ٤/ ٢٩٢، وصححه الألباني =

قال الترمذي:" والعمل في هذا الباب على حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «لا نكاح إلا بولي» عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وغيرهم، وهكذا روي عن بعض فقهاء التابعين أنهم قالوا: «لا نكاح إلا بولي» ، منهم: سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وشريح، وإبراهيم النخعي، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم، وبهذا يقول سفيان الثوري، والأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق" اهـ [1].

وَحُكِيَ عن ابن المنذر أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك[2].

وقال أبو حنيفة لها أن تزوج نفسها وغيرها وتوكل في النكاح .

واستدل بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾، وبقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ ، فأضاف النكاح إليها في الآيتين .

واستدل أيضا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما: (**الْأَيِّمُ أَحَقّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا**) الْحَدِيث، رواه مسلم، وفي لفظ: " **الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ**

= في إرواء الغليل ٦/ ٢٣٥ .

(١) سنن الترمذي ٣/ ٣٩٩ . وانظر: التمهيد لابن عبد البر ١٩/ ٨٤، وشرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٤٤٦، وحاشية ابن القيم على تهذيب السنن، مطبوع مع كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد أشرف العظيم أبادي ٦/ ٧٠ .

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر ١٩/ ٨٤، وشرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٤٤٦.

وَلِيِّهَا) [1] [2].

وقدَ حمل أبو حنيفة هذا الحديث على نفي الكمال. وحمله الجمهور على نفي الصحة، وهو الراجح، بل هو المتعين؛ كما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا: **(أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ)** أخرجه أبو داود، والترمذي، وحسنه [3][4].

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا: **(لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ)** أخرجه الإمام أحمد، وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما [5].

وأخرج البيهقي في السنن الصغرى عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: **(لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ مُرْشِدٍ أَوْ سُلْطَانٍ)** [6].

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٣٧ – كتاب النكاح – باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت – حديث رقم ١٤٢١ .

(٢) انظر: التمهيد ١٩/ ٨٤، وشرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/ ٤٤٦، وعون المعبود ٦/ ٧١.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٢٩ – كتاب النكاح – باب في الولي – حديث رقم ٢٠٨٣، وسنن الترمذي ٣/ ٣٩٩ – كتاب النكاح – باب – حديث رقم ١١٠٢ . وصححه: أبو عوانة، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم؛ كما قال ابن حجر في الفتح ٩/ ١٩١، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٢٤٣ .

(٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٩/ ٢٠٥ .

(٥) المسند ٤٣/ ٢٨٧ – حديث رقم ٢٦٢٣٥، والمعجم الكبير ١١/ ١٤٢ – حديث رقم ١١٢٩٨ . قال ابن حجر في الفتح ٩/ ١٩١: وفي إسناده الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ، وفيه مقال . وصححه الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٢٤٧ .

(٦) السنن الصغرى ٣/ ١٩ – حديث رقم ٢٣٧٦، وأخرجه الطبراني بنحوه في المعجم =

وعن أَبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا**) أخرجه: ابن ماجة، والدارقطني، والبيهقي[١].

وأجاب الجمهور عن حديث : (**الْأَيِّم أَحَقّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا**) أنه أثبت لها حقا، وجعلها أحق به، والمراد به الإذن؛ فلا يجوز له أن يزوجها إلا بإذنها[٢].

قال الإمام الترمذي:" وإنما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**الْأَيِّم أَحَقّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا**) عند أكثر أهل العلم: أن الولي لا يزوجها إلا برضاها وأمرها" اهـ[٣].

وعليه فالمحظور السادس من محظورات عقد النكاح: إنكاح المرأة نفسها .

وتناولت سورة البقرة – في موضع آخر منها – محظورا سابعا :

وهو نكاح البائن من زوجها، وهو المذكور في قوله تعالى:﴿ **فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ** ﴾ البقرة: ٢٣٠.

= الأوسط ١/ ١٦٦ – حديث رقم ٥٢١ . قال ابن حجر في الفتح ٩/ ١٩١: إسناده حسن.

(١) قال الحافظ ابن كثير: الصحيح وقفه على أبي هريرة، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : رجاله ثقات .

(٢) انظر ما جاء في عون المعبود ٦/ ٧١ .

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٤٠٨ .

أي: فإن طلقها زوجها الطلقة الثالثة؛ فلا تحل له حتى تنكح زوجا آخر، نكاحا صحيحا، ويطؤها؛ فيدخل فيه: العقد، والوطء [1].

فتحصل مما تقدم سبعة من محظورات عقد النكاح :

الأول: نكاح المسلم المشركة .

الثاني: إنكاح المشرك المسلمة .

الثالث: إنكاح المبتدع الداعي إلى بدعته.

الرابع: إنكاح الزاني – الذي لم يتب من الزنا – العفيفة .

الخامس: نكاح العفيف الزانية التي لم تتب من الزنا .

السادس: إنكاح المرأة نفسها .

السابع: نكاح البائن من زوجها بينونة كبرى، حتى تنكح زوجا غيره .

(١) انظر تفسير البغوي ١/ ٢٧٣، وتفسير القرطبي ٣/ ١٤٧، وتفسير السعدي ص ١٠٢ .

المبحث الثالث: محظورات الوطء وأثرها في تحقيق مقاصده

الأصل في محظورات الوطء أو الجماع قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢ – ٢٢٣.

وبيان ذلك في الوقوف عند سبب نزول الآيتين وتفسيرهما :

سبب نزول الآية الأولى:

عن أنس رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ ... إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**)؛ فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه؛ فجاء أسيد بن حضير، وعباد بن بشر؛ فقالا يا رسول الله: إن اليهود تقول: كذا وكذا؛ فلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ظننا أن قد وجد عليهما؛ فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأرسل في آثارهما؛ فسقاهما؛ فعرفا أن لم يجد عليهما. رواه مسلم[1].

(١) صحيح مسلم – كتاب الحيض– باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد – =

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن القرآن أنزل في شأن الحائض، والمسلمون يخرجونهن من بيوتهن كفعل العجم، فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأنزل الله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾، فظن المؤمنون أن الاعتزال كما كانوا يفعلون بخروجهن من بيوتهن؛ حتى قرأ آخر الآية، ففهم المؤمنون ما الاعتزال، إذ قال الله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[1].

قال مقاتل بن حيان والسدي عند تفسير قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾، قالا: الذي سأل عن ذلك هو أبو الدحداح ثابت بن الدحداح، صاحب الحديقة [2].

وأما تفسير الآية:

فقوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾: أي يسألك الصحابة.

و﴿ ٱلْمَحِيضِ ﴾: مصدر ميمي على وزن مَفْعِل، بكسر العين، وهو الأقيس؛ لأن المضارع مكسور العين، وجود أبو إسحق الزجاج فتح العين، يقال حاضت المرأة تحيض حيضا ومحاضا و محيضا.

وهو اسم للدم الذي يسيل من رحم المرأة في أوقات منتظمة، مأخوذ من قولهم: حاضَ السيلُ وفاضَ؛ إذا سال، وحاضَت السَّمُرَةُ تحيض؛ إذا سال منها

= حديث رقم ٣٠٢.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٤٠٠، والدر المنثور ١/ ٦١٩.

(٢) انظر المصدرين السابقين.

الدُّوَدِم . وسمي حَوْضُ الماء حوضا؛ لأن الماء يَحيضُ إليه أي يسيلُ . والعرب تدخل الواوَ على الياء، والياءَ على الواوِ؛ لأنهما من حيزٍ واحِدٍ[١].

والمحيض يكون اسما ويكون مصدرا.

قال ابن الأثير: "ويقع المحيض على المصدر والزمان والمكان والدَّم" اهـ[٢].

إذن فالمراد بـ ﴿ ٱلْمَحِيضِ ﴾ في قوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾: هو دم الحيض، وقد دل عليه الجواب، وهو قوله: ﴿ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾. قال مجاهد: أي الدم أذى [٣].

والمراد بالأذى هنا: القذر، كما قال قتادة والسدي[٤].

قال ابن عطية: "﴿ أَذًى ﴾: لفظ جامع لأشياء، تؤذي؛ لأنه: دم، وقذر، ومنتن، من سبيل البول" اهـ [٥].

فوصف دم الحيض بهذا الوصف؛ لأنه دم فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة المرأة من عمق الرحم، وهو جار مجرى البول؛ فكان أذى مثله وقذرا [٦].

---

(١) انظر معنى المحيض في: معاني القرآن للزجاج ١/ ٢٩٦، وتهذيب اللغة ٥/ ١٠٤، ولسان العرب ٧/ ١٤٢، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٦٤ .

(٢) النهاية في غريب الأثر ١/ ٤٦٩ .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٤٠١ .

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٣٧٤، والدر المنثور ١/ ٦٢٠ .

(٥) المحرر الوجيز ١/ ٢٩٨ . وانظر: تفسير الطبري ٤/ ٣٧٤ .

(٦) انظر: حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٢/ ٥٣٤ .

وقوله: ﴿ فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾: حكم مبني على قوله: ﴿ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾، الذي هو بمثابة التعليل للأمر بالاعتزال [1].

وقد دل سبب النزول على أن المراد بالمحيض المكان الذي يخرج منه الدم.

قال الحافظ ابن كثير: "قوله: ﴿ فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ يعني الفرج؛ لقوله: (اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ) " [2].

وعن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر قوله: ﴿ فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾ بقوله: اعتزلوا نكاح فروجهن . وروى عن مجاهد ومقاتل بن حيان نحو ذلك [3].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة قال : كان أهل الجاهلية لا تساكنهم حائض في بيت ولم يؤاكلوهم في إناء؛ فأنزل الله الآية في ذلك؛ فحرم فرجها ما دامت حائضاً، وأحل ما سوى ذلك [4].

وأخرج الطبري بسنده أنّ مسروقًا ركب إلى عائشة رضي الله عنها، فقال: السلام على النبي وعلى أهل بيته. فقالت عائشة: أبو عائشة! مرحبًا! فأذنوا له؛ فدخل؛ فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحيي! فقالت: إنما أنا أمُّك، وأنت ابني! فقال : ما للرجل من امرأته وهي حائض؟ قالت

(١) انظر: تفسير الرازي ٦/ ٤١٧ ، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٦٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٥٩ .

(٣) انظر تفسير الطبري ٢/ ٣٨٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١/ ٤٠٢ .

(٤) انظر تفسير الطبري ٤/ ٣٧٣ ، والدر المنثور ١/ ٦١٩ .

له: كل شيء إلا فرجها [١].

ويحتمل أن يكون المراد بالمحيض زمان الحيض .

قال القرطبي:" قوله:﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾، أي في زمن الحيض؛ إن حمل المحيض على المصدر، أو في محل الحيض إن حملته على الاسم" [٢].

والأولى أن يحمل لفظ ﴿ ٱلۡمَحِيضِ ﴾ المذكور في الجواب على المكان والزمان؛ بدلالة اللغة، كما تقدم[٣].

وعليه فيكون المعنى: لما كان دم الحيض نجسا وقذرا؛ فاجتنبوا مجامعة الزوجات في وقت خروجه، في الموضع الذي يخرج منه، وهو الفرج .

واستعمال القرآن للفظ المشترك في معانيه دون تعارض دليل على براعة القرآن في الإيجاز والإعجاز .

وقوله: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾: تقرير وتأكيد لحكم الاعتزال، وبيان لغايته، وتنبيه على أن المراد به عدم قربانهن لا عدمُ القربِ منهن[٤].

فمعنى :﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ ﴾، أي: لا تجامعوهن .

قال الواحدي:" ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ ﴾:لا تجامعوهن، يقال: قرب الرجل

(١) تفسير الطبري ٤/ ٣٧٨ . قال أحمد شاكر: إسناده صحيح .

(٢) تفسير القرطبي ٣/ ٨٦ .

(٣) انظر فتح القدير ١/ ٢٥٨ .

(٤) انظر روح المعاني ١/ ٥١٥ .

امرأته؛ إذا جامعها قربانا" [1].

وهو ظاهر كلام الطبري . وبه قال البغوي، وابن كثير [2].

قال ابن العربي:" سمعت فخر الإسلام أبا بكر محمد بن أحمد الشاشي يقول: إذا قيل: لا تقرب بفتح الراء؛ كان معناه لا تلبس بالفعل، وإذا كان بضم الراء؛ كان معناه لا تدن منه" [3].

وجاء في اللسان:" قَرَبَ فلانٌ أَهلَه قُرْباناً إِذا غَشِيَها والمُقارَبة والقِرابُ المُشاغَرة للنكاح والقِرابُ غِمْدُ السَّيف والسكين ونحوهما" اهـ [4].

وجوز الرازي أن يكون قوله:﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾ نهياً عن المباشرة في موضع الدم، وقوله:﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ ﴾ يكون نهياً عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع [5].

واختاره السعدي، فحمل النهي في قوله:﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ ﴾ على أنه المباشرة فيما قرب من الفرج، فيما بين السرة والركبة، وأنه ينبغي تركه، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض،

---

(١) الوسيط ١/ ٣٢٨ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٤/ ٣٨٥، وتفسير البغوي ١/ ١٩٦ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٦٠ .

(٣) أحكام القرآن ١/ ٢٢٧ . قال في تاج العروس ٤/ ٥ :" قَرُبَ الشَّيْءُ منه، كَكَرُمَ، وقَرِبَهُ، كسَمِعَ، وقَرَبَ، كنَصَرَ ، وظاهرُ كلام المُصَنِّف على ما يأْتي أَنَّهما مُتَرادِفَانِ، وقد فرَّق بينَهُمَا أَهل الأُصولِ، قالوا : إذا قيلَ : لاَ تَقْرَبْ ،كذا بفَتْح الراءِ؛ فمعناه : لا تَلْتَبِسْ بالفِعْل، وإِذا كان بضَمِّ الرّاءِ؛ كان معناه : لا تَدْن " اهـ .

(٤) لسان العرب لابن منظور ١/ ٦٦٧ .

(٥) تفسير الرازي ٦/ ٤١٩ .

أمرها أن تتزر، فيباشرها [١].

وهو قول أكثر العلماء، منهم: سعيد بن المسيب، وسالم، والقاسم، وطاوس، وشريح، وقتادة، وسليمان ابن يسار إلى أنه ليس للزوج من الحائض إلا ما فوق الإزار، ولا يقرب ما دون الإزار، وهو ما دون الركبة إلى الفرج ، وبه قال مالك، والأوزاعى، وأبو حنيفة، وأبو يوسف، والشافعى [٢].

ويدل عليه قوله: ﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾ إذا كان المراد بالمحيض هنا فقط زمن الحيض، دون الفرج .

ويدل عليه أيضا قوله: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ ﴾ ؛ إذا كان المراد بالقرب الدنو؛ فيحمل النهي هنا على المباشرة فيما قرب من الفرج، وهو ما بين السرة والركبة .

ويستدل أصحاب هذا القول أيضا بظاهر حديث ميمونة رضي الله عنها قالت: (**كَانَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوْقَ الْإِزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ**) متفق عليه [٣].

ويستدلون أيضا بحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت

---

(١) تفسير السعدي ص ١٠٠ .

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٤١٧، وشرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٥ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣١٣ – كتاب الحيض – باب مباشرة الحائض – حديث رقم ٣٠٣، وصحيح مسلم ١/ ٢٤٣ – كتاب الحيض – باب مباشرة الحائض فوق الإزار – حديث رقم ٢٩٤ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل للرجل من امرأته وهي حائض؟ قال: فقال: (**مَا فَوْقَ الْإِزَارِ وَالتَّعَفُّفُ عَنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ**) رواه أبو داود [1].

ومأخذ أصحاب هذا القول أن ما بين السرة والركبة هو حريم الفرج، فتحريمه من باب سد الذرائع؛ لئلا يتوصل به إلى تعاطي ما حرم الله عز وجل، الذي أجمع العلماء على تحريمه، وهو المباشرة في الفرج [2].

والقول الأول أرجح، وإليه ذهب كثير من السلف، كالثوري، وأحمد، وإسحاق، وبه قال محمد بن الحسن من الحنفية ورجحه الطحاوي، وهو اختيار أصبغ من المالكية، وأحد القولين للشافعية، واختاره ابن المنذر[3].

وذكر النووي أنه الأرجح دليلا؛ لحديث أنس المتقدم : (**اِصْنَعُوا كُلّ شَيْء إِلَّا الْجِمَاع**) [4].

ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه قَالَت : (**كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَه**) .

قَالَ الخطابي: فَوْر الْحَيْض أَوَّله وَمُعْظَمه .

---

(١) سنن أبي داود ١/ ٥٥ – كتاب الطهارة – باب في المذي– حديث رقم ٢١٣ . قال أبو داود: ليس الحديث بالقوي . وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ١٧٣ .

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ٤١٧، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٨٧، وفتح الباري لابن حجر ١/ ٤٠٤.

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٥، وفتح الباري لابن حجر ١/ ٤٠٤ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٥ .

وَقَالَ القرطبي : فَوْر الْحَيْضَة مُعْظَم صَبّهَا، مِنْ فَوَرَان الْقِدْر وَغَلَيَانهَا .

ووجه الدلالة في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانَ يأمر الحائض بالاتزار في أول حيضتها، وَهوَ فور الحيضة وفوحها؛ لأن الدم حينئذ يفور لكثرته، فكلما طالت مدته؛ قل، وهذا يدل على أن الأمر بشد الإزار لَم يكن لتحريم الاستمتاع بما تحت الإزار، بل خشية مِن إصابة الدم والتلوث بهِ، ومبالغة في التحرز مِن إصابته .

ويشهد لهذا المعنى ما رواه الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم **(كَانَ يَتَّقِي سَوْرَة الدَّم ثَلَاثًا ثُمَّ يُبَاشِر بَعْد ذَلِك)**[١][٢].

ويدل عليه أيضا ما رواه أبو داود عن عكرمة عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : **(أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ مِنْ الْحَائِض شَيْئًا أَلْقَى عَلَى فَرْجهَا ثَوْبًا)** [٣][٤].

قال ابن رجب:" وَهوَ محمول على ما بعد الثلاث، إذا ذهبت سورة

(١) المعجم الأوسط ٥/ ٦٥ – حديث رقم ٤٦٨٢ . قال في مجمع الزوائد ١/ ٣٥١: وفيه سعيد بن بشير، وثقه شعبة، واختلف في الاحتجاج به. وقال ابن رجب في فتح الباري١/ ٤١٤: وهذا الإسناد وإن كانَ فيهِ لين ، إلا أن الأحاديث الصحيحة تعضده وتشهد لَهُ . وقال ابن حجر في الفتح ١/ ٤٠٤ : إسناده حسن .

(٢) انظر: فتح الباري لابن رجب ٢/ ٣٢، وفتح الباري لابن حجر ١/ ٤٠٤ .

(٣) سنن أبي داود ١/ ٧١ – كتاب الطهارة - باب في الرجل يصيب منها ما دون الجماع – حديث رقم ٢٧٢ . قال ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق ١/ ٣٩٠ : إسناده صحيح . وقال ابن حجر في الفتح ١/ ٤٠٤: إسناده قوي .

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٥، وفتح الباري لابن حجر ١/ ٤٠٤ .

الدم وحدته وفوره، فكان حينئذ يكتفي بستر الفرج وحده بثوب، ثُم يباشر" اهـ [1].

واستدل الطحاوي على الجواز بأن المباشرة تحت الإزار دون الفرج لا توجب حدا ولا غسلا فأشبهت المباشرة فوق الإزار .

وفصل بعض الشافعية فقال: إن كان يضبط نفسه عند المباشرة عن الفرج ويثق منها باجتنابه؛ جاز، وإلا فلا، واستحسنه النووي [2].

وَحمل المجيزون أحاديث المخالفين الدالة على اقتصار النبي صلى الله عليه وسلم في مباشرته على ما فوق الإزار على الاستحباب [3].

وقال ابن رجب:" وأما الأحاديث التي رويت عَن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عما يحل مِن الحائض؟ فقالَ: **(فوق الإزار)** ؛ فَقد رويت مِن وجوه متعددة، لا تخلو أسانيدها مِن لين، وليس رواتها مِن المبرزين في الحفظ، ولعل بعضهم روى ذَلِكَ بالمعنى الذِي فهمه مِن مباشرة النبي صلى الله عليه وسلم للحائض مِن فوق الإزار. وقد قيل: إن الإزار كناية عَن الفرج" اهـ [4].

لكن أصحاب القولين متفقون على تحريم مباشرة الحائض في الفرج .

والحاصل أن قوله تعالى: ﴿ **فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ**

(١) فتح الباري لابن رجب ١/ ٤١٤ .

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٥ .

(٣) انظر فتح الباري لابن رجب ٢/ ٣٢، وشرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٥، وفتح الباري لابن حجر ١/ ٤٠٤ .

(٤) فتح الباري لابن رجب ٢/ ٣٢ .

﴿ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾ نص في منع وطء الحائض؛ فقد دل قوله: ﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾ على تحريم مباشرة الحائض بالجماع في الفرج؛ بناء على ما تقدم عن ابن عباس وعائشة وغير واحد أن المراد بالمحيض هو الفرج .

ودل عليه أيضا قوله: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾؛ بناء على أن المراد بالقربان المنهي عنه الجماع.

ونص عليه صلى الله عليه وسلم بقوله: (**اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**)؛ كما تقدم في سبب النزول . وهذا محل إجماع العلماء .

قال النووي: "مباشرة الحائض أقسام، أحدها: أن يباشرها بالجماع في الفرج، فهذا حرام بإجماع المسلمين بنص القرآن العزيز والسنة الصحيحة قال أصحابنا ولو اعتقد مسلم حل جماع الحائض في فرجها صار كافرا مرتدا " اهـ [1].

إذن فالمحظور الأول من محظورات الوطء: مباشرة الزوجة الحائض في الفرج .

ودل مفهوم قوله: ﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ﴾، ومفهوم قوله: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾ - بناء على القول الراجح - على جواز مباشرة الحائض فيما عدا الفرج؛ فلا يعد من محظورات الوطء .

وقوله: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾: قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٤ .

بفتح الطاء والهاء مع تشديدهما، والباقون بإسكان الطاء وضم الهاء [١].

والأصل على قراءة التشديد: ﴿يَتَطَهَّرْنَ﴾، فأدغمت التاء في الطاء؛ فشددت. والتطهر يكون بالماء . فالمعنى مطابق لقوله: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ بعدها.

وأما المعنى على قراءة التخفيف، فإنه أراد حتى ينقطع الدم؛ كما قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن[٢]؛ لأن ذلك ليس من فعلهن، ثم قال: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، يعنى بالماء [٣].

وذكر الأزهري أنه يجوز في اللغة أن يكون المراد بـ ﴿يَطْهُرْنَ﴾الطهر التام بالماء بعد انقطاع الدم [٤].

وهو قول في تفسير هذا الحرف .

قال مقاتل بن حيان :﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، يعني : يغتسلن من المحيض[٥]. وكذا قال مقاتل بن سليمان [٦].

وقال الواحدي:" من قرأ بالتخفيف فهو من طهرت المرأة تطهر طهرا

(١) انظر: السبعة لابن مجاهد ص ١٨٢، والتيسير للداني ص ٨٠ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٣٨٣، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠١، والدر المنثور ١/ ٦٢٣ .

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٩٦، ومعاني القراءات للأزهري ص٧٦، والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم ١/ ٣٢٦ .

(٤) معاني القراءات ص٧٦ .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٢ .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ٢٩٢ .

وطهارة، ومعناه : حتى يفعلن الطهارة التي هي الغسل" [١].

ويؤيده قراءة التشديد، فهي بمعنى تطهرن أي اغتسلن .

ويؤيده أيضا ما جاء في القاموس:" طَهَرَتْ وطَهُرَتْ انْقَطَعَ دَمُها، واغْتَسلَتْ من الحَيْضِ وغيرِه، كتَطَهَّرَتْ " [٢].

ويقويه أنه قال بعدها: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ ، ولم يقل: **"فإذا طهرن"**، وهذا يدل على أن الغاية هي الاغتسال [٣].

وقد استدل أبو حنيفة وأصحابه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ على جواز وطء الحائض بمجرد انقطاع الدم، وقالوا: إن انقطع دمها بعد عشرة أيام – وهو عندهم أكثر الحيض – جاز له أن يطأها قبل الغسل، وإن انقطع دمها قبل العشرة لم يجز حتى تغتسل أو يمر عليها وقت صلاة؛ لأن الصلاة تجب عنده آخر الوقت، فإذا مضى عليها آخر الوقت ووجبت عليها الصلاة، علم أن الحيض قد زال؛ لأن الحائض لا يجب عليها صلاة [٤].

وذهب جمهور العلماء – وهو الراجح – إلى أنه لا يباح الوطء بدون الاغتسال، وقالوا بأن الآية وإن دلت بمفهومها على الإباحة بانقطاع الدم على قراءة التخفيف، إلا أن الآية دلت على وجوب الاغتسال من وجوه [٥]:

---

(١) الوسيط ١/ ٣٢٨ .

(٢) القاموس المحيط ١/ ٤٣٢ .

(٣) انظر: روح المعاني ١/ ٥١٦ .

(٤) انظر: المبسوط للسرخسي ٢/ ١٦، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٦٩ .

(٥) انظر فتح الباري لابن رجب ١/ ٢٣١، وتفسير القرطبي ٣/ ٨٩، وفتح الباري لابن =

أحدها: أن قوله: ﴿ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾ على قراءة التخفيف قد فسرت بالاغتسال كما تقدم .

والثاني: أن قراءة التشديد تدل قطعا على أن الغاية هي الاغتسال وليس انقطاع الدم .

والثالث: أن الإتيان مشروط لَهُ شرط آخر غير انقطاع الدم، وَهوَ التطهر بالماء، المذكور في قوله: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ ﴾؛ فدل على أَنَّهُ لا يكفي مجرد انقطاع الدم، وأن الإتيان متوقف على الطهر والتطهر بعده . وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ النساء: ٦ ؛ فعلق الحكم – وهو جواز دفع المال – على شرطين، أحدهما: بلوغ المكلف النكاح. والثاني: إيناس الرشد .

والمراد بالتطهر في قوله: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ ﴾: الاغتسال، كَما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ المائدة: ٦.

ودل قوله: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ ﴾ بعد قوله: ﴿ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ ﴾ على وجوب الاغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم، شرط لصحته .

وعليه فالمحظور الثاني من محظورات الوطء: مباشرة الزوجة الحائض في الفرج بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال .

وقوله: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [1]: أي في الفرج،

= حجر ١/ ٣٥٩، وتفسير السعدي ص ١٠٠ .

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير هذه الجملة في تفسير الطبري ٤/ ٣٨٨، وتفسير ابن أبي =

ولا تَعْدوه إلى غيره؛ فمن فعل شيئا من ذلك فقد اعتدى . قاله ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة . وكذا قال مجاهد، وغير واحد.

وقال ابن عباس في رواية أخرى، ومجاهد، وعكرمة: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أن تعتزلوهن.

وهو بمعنى القول الأول؛ لأن الموضع الذي أمر الله باعتزاله على القول الراجح هو الفرج .

وقال أبو رَزين، وعكرمة، والضحاك، وغير واحد: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني: طاهرات غير حُيَّض .

والأمر بالإتيان في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ محمول على الندب؛ لأنه يتعلق بمقاصد النكاح، ومنها إعفاف الزوجين، وطلب الولد، وقد جاء الندب إلى الجماع في نصوص عديدة، كقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ النساء: ١٩، وكقوله صلى الله عليه وسلم: (**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**) رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه [١] [٢].

وحمل ابن حزم الأمر في الآية على الوجوب، فيجب عنده الجماع بعد كل حيضة.

= حاتم ٢/ ٤٠٢، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٩، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٨٨ .

(١) صحيح مسلم ٢/ ٦٩٧ – كتاب الزكاة – باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف – حديث رقم ٥٣ .

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١١/ ٧٨ .

قال ابن كثير: "وليس له في ذلك مستند، لأن هذا أمر بعد الحظر، والذي ينهض عليه الدليل أنه يُرَدّ الحكم إلى ما كان عليه الأمر قبل النهي، فإن كان واجبًا فواجب، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة: ٥، أو مباحًا فمباح، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾ المائدة: ٢، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الجمعة: ١٠، وعلى هذا القول تجتمع الأدلة، وقد حكاه الغزالي وغيره، واختاره بعض أئمة المتأخرين، وهو الصحيح" اهـ باختصار [١].

والأولى أن يقال الأمر على ظاهره للوجوب، لكنه هنا لا يتعلق بأصل الإتيان، بل بموضعه، وهو القبل، أي يجب أن يكون إتيانكم لهن في الفرج، ولا تَعْدوه إلى غيره، كما تقدم في تفسيرها .

قال الرازي:" وظاهر الأمر للوجوب، ولا يمكن أن يقال: إنه يفيد وجوب إتيانهن؛ لأن ذلك غير واجب، فوجب حمله على أن المراد منه أن من أتى المرأة وجب أن يأتيها في ذلك الموضع الذي أمر الله تعالى به" اهـ [٢].

ويدل عليه الآية الثانية: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ... ﴾ الآية . وسيأتي بيان ذلك عند الوقوف عند سبب نزولها وتفسيرها .

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾: تعليل لما تقدم في الآية من أمر ونهي [٣].

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٨٧ .

(٢) تفسير الرازي ٦/ ٤٢١ .

(٣) انظر نظم الدرر للبقاعي ٣/ ٢٧٦ .

وقوله: ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾: جمع تواب، على وزن فعَّال، أي : كثير التوبة على الدوام . وأصل تَابَ: عاد إلى الله ورجع وأنابَ، يقال: تاب إلى الله يتوب توبا و توبة و متابا، أي: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة . وتَابَ الله عليه أي عاد عليه بالمغفرة [١].

فالتواب: هو المداوم على التوبة، المبالغ فيها، الذي كلما أذنب سارع إلى التوبة، نظيره قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ الإسراء:٢٥[٢].

ومعنى قوله: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾، أي: يحب التوابين من الشرك والذنوب، الصادقين في توبتهم، وهو خلاصة ما قاله مجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان، والكلبي - في تفسير هذه الجملة [٣].

والتوبة كلمة جامعة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" التوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى التوبة، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وإنما يحب الله من فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه . فإذا التوبة هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا، ويدخل في مسماها الإسلام والإيمان والإحسان،

(١) انظر تهذيب اللغة ١٤/ ٢٣٦، ولسان العرب ١/ ٢٣٣ .

(٢) انظر: تفسير البغوي ١/ ٢٥٩ .

(٣) تفسير الطبري ٤/ ٣٩٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٣، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٩ .

وتتناول جميع المقامات، ولهذا كانت غاية كل مؤمن وبداية الأمر وخاتمته " اهـ [1].

وقال أيضا:" ولولا أن التوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرب تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم"اهـ [2].

وأما قوله:﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾؛ فقد جاء تفسيرها على قولين:

الأول: أن المراد: ويحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات . قاله عطاء، ومقاتل بن سليمان، والكلبي، واختاره أبو جعفر الطبري [3].

وهذا التفسير موافق لسياق الآية؛ فإنها في وجوب تطهر المرأة بالاغتسال بعد انقطاع دم الحيض. ويدخل في ﴿ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ أيضا الذين يجتنبون إتيان النساء في فروجهن زمن الحيض أو إتيانهن في أدبارهن .

وعليه؛ فقد أشار قوله:﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ إلى أن العبد مأمور بالعناية بطهارة القلب، كعنايته بطهارة البدن، على نهج معتدل،كما نبه إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية [4].

وإنما قال:﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ وصدر بها هذه الجملة؛ لأن التوبة وطهارة القلب هي الأهم، وهي الأصل الذي تقوم عليه طهارة البدن، كقوله تعالى:﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٠٦ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٠٧ .

(٣) تفسير الطبري ٤/ ٣٩٥، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٣، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٩ .

(٤) مجموع الفتوى ١/ ١٥ .

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ١٩٧.

القول الثاني: حمل بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ على التطهر من الشرك والذنوب.

قال مقاتل بن حيان: يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك .

وقال سعيد بن جبير: التوابين من الشرك والمتطهرين من الذنوب .

وقال مجاهد: التوابين من الذنوب، لا يعودون فيها، والمتطهرين منها،لم يصيبوها[1].

فعلى قول مقاتل وسعيد يكون بين قوله: ﴿ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ وقوله: ﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ عموم وخصوص؛ لغرض التأكيد .

وعلى قول مجاهد يكون المراد بـ ﴿ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ مَن لم يتدنس بالذنب أصلا، ويكون المراد بـ﴿ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ مَن صدق في إقلاعه عن الذنب بعد الوقوع فيه .

والأولى أن يكون المراد بـ﴿ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ شاملا للقولين، متضمنا للطهارتين: الحسية، والمعنوية . فالله تعالى يحب المتطهرين من الشرك وجميع الذنوب، كما أنه يحب المتطهرين بالماء من الأحداث والنجاسات، ويحب المتطهرين من إتيان النساء في فروجهن زمن الحيض، أو إتيانهن في أدبارهن .والتعبير بـ﴿ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ هنا يشمل الرجال والنساء .

(١) تفسير الطبري ٤/ ٣٩٦، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٣، وتفسير البغوي ١/ ٢٥٩ .

قال الإمام الطبري:" وإنما قال:﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾، ولم يقل" المتطهرات"؛ لأنه قد جرى قبل ذلك ذكرُ التطهر للنساء - يعني في قوله: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾-، ولأن﴿ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ يجمع الرجال والنساء، ولو قال "المتطهرات"؛لم يكن للرجال في ذلك حظ، وكان للنساء خاصة. فذكر الله تعالى﴿ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ليعم جميعَ عباده المكلفين؛ إذ كان قد تعبَّد جميعَهم بالتطهر بالماء، وإن اختلفت الأسباب التي توجب التطهر عليهم بالماء في بعض المعاني، واتفقت في بعض" انتهى كلامه ببعض اختصار وتصرف[1].

والحاصل أن ختم الآية بقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾يشير إلى أن هذه المحظورات المتعلقة بالوطء التي دلت عليها الآية؛ إنما هي لطف منه تعالى بعباده، وصيانة لهم عن الأذى، وأن حكمتها البالغة ومقصودها الأسمى هو تطهيرهم ظاهرا وباطنا [2].

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٣.

سبب النزول:

عن جابر رضي الله عنه قال: (كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُ إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ؛ فَنَزَلَتْ:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ

(١) تفسير الطبري ٤/ ٣٩٦ .

(٢) انظر: تفسير السعدي ص ١٠٠، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٧٠ .

حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾). متفق عليه [١].

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: " إن ابن عمر - والله يغفر له - أوهم؛ إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم؛ فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة؛ فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحا منكرا، ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات؛ فلما قدم المهاجرون المدينة؛ تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار؛ فذهب يصنع بها ذلك؛ فأنكرته عليه، وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف؛ فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني، حتى شري أمرهما؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾، أي: مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد" . رواه أبو داود[٢].

وعند الحاكم والطبراني في الكبير عن مجاهد، قال: عرضت المصحف

(١) صحيح البخاري ٦/ ٢٩ - كتاب تفسير القرآن - باب {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ} - حديث رقم ٤٥٢٨، وصحيح مسلم ٢/ ١٠٥٨ - كتاب النكاح - باب جواز جماعه امرأته في قبلها، من قدامها، ومن ورائها من غير تعرض للدبر - حديث رقم ١٤٣٥ .

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٤٩ - باب في جامع النكاح - حديث رقم ٢١٦٤ .قال الألباني في صحيح أبي داود ٦/ ٣٧٧ : إسناده حسن .

على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عليه عند كل آية منه، وأسأله عنها، حتى انتهيت إلى هذه الآية: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾؛ فقال ابن عباس: " إن هذا الحي من قريش يشرحون النساء بمكة ويتلذذون بهن مقبلات، ومدبرات؛ فلما قدموا المدينة، وتزوجوا في الأنصار، وذهبوا ليفعلوا بهن؛ فأنكرن ذلك، وقلن: هذا شيء لم يكن يؤتى عليه؛ فانتشر الحديث حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ فمقبلة، وإن شئت فباركة ". وإنما يعني بذلك موضع الولد للحرث، يقول: ائت الحرث من حيث شئت . فقال ابن عباس: قال ابن عمر في دبرها؛ فأوهم ابن عمر والله يغفر له وإنما كان الحديث على هذا [1].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله هلكت، قال: " **(وَمَا الَّذِي أَهْلَكَك)**؟ " قال: حولت رحلي الليلة، قال: فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، قال: فأوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ . أقبل وأدبر، واتق الدبر والحيضة [2].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٢١٢ – حديث رقم ٢٧٩١، والمعجم الكبير ١١/ ٧٧ – حديث رقم ١١٠٩٧ . قال الألباني في صحيح أبي داود ٦/ ٣٧٧ : حديث حسن، وصححه الحاكم والذهبي .

(٢) المسند ٤/ ٤٣٤ – حديث رقم ٢٧٠٣، وسنن الترمذي ٥/ ٢١٦- باب: ومن سورة =

وأما تفسير الآية [١]:

فقوله: ﴿ حَرْثٌ ﴾: أصله مصدر حَرَثَ يَحْرُثُ حَرْثاً وحراثة، وهو العَمل في الأَرض زَرْعاً كان أَو غَرْساً، وحَرَث واحْتَرَثَ، مثل: زَرَعَ وازْدَرَع، والحَرْثُ: الزَّرْع نَفْسُه، وهو المراد هنا. وهو من إطلاق المصدر على اسم المفعول، ثم شاع ذلك الإطلاق حتى صار حقيقة عرفية في الجنات والمزارع . ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ آل عمران: ١١٧ [٢].

فمعنى قوله: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾: أي مواضعُ حرثٍ لكم، ومنبت للولد، بمنزلة الأرض التي تزرع، شُبِّهن بها؛ لما بين ما يلقى في أرحامهن وبين البذورِ من المشابهة، من حيث إن كلاً منهما مادةٌ لما يحصُل منه . وهذه الجملة مقدمة لقوله: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ وتعليل له، والفاء فيها فصيحة . وهي بيان لقوله: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ في الآية السابقة.

أخرج ابن جرير والبيهقي في سننه عن علي بن أبي طلحة عن ابن

= البقرة – حديث رقم ٢٩٨٠ . قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وقال الألباني في آداب الزفاف ص١٠٣: إسناده حسن .

(١) انظر تفسير هذه الآية في تفسير الطبري ٤/ ٣٩٧، وتفسير البغوي ١/ ٢٦٠، والكشاف ١/ ٢٦٦، والمحرر الوجيز ١/ ٢٩٩، وإيجاز البيان عن معاني القرآن للنيسابوري ١/ ١٥١، وتفسير أبي السعود ١/ ٢٢٣، والدر المنثور ١/ ٦٢٦، وفتح القدير ١/ ٢٥٩، وتفسير السعدي ص١٠٠، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٧٠ .

(٢) انظر تهذيب اللغة ٤/ ٢٧٥، ولسان العرب ٢/ ١٣٤، والتحرير والتنوير ٢/ ٣٧١ .

عباس: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ يعني بالحرث الفرج . يقول: تأتيه كيف شئت مستقبلة، ومستدبرة، وعلى أي ذلك أردت بعد أن لا تجاوز الفرج إلى غيره، وهو قوله: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [1].

وقوله: ﴿ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أي: جامعوهن من أي شق أردتم، مقبلة ومدبرة وعلى جنب، بعد أن يكون المأتى واحداً، وهو موضع الحرث، كما تقدم في سبب النزول .

و ﴿ أَنَّىٰ ﴾ إنما تجيء سؤالاً أو إخباراً عن أمر له جهات، فهي أعم في اللغة من "كيف"، و"أين"، و"متى" .

ودل قوله: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ على تحريم الأدبار، لأن محل الحرث والزرع هو القبل، لا الدبر.

وقوله: ﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ ، أي: خيراً، كما قال السدي. ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١١٠ [2].

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان: ﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾، يقول: طاعة ربكم وأحسنوا عبادته.

وأخرج عن عكرمة أنه فسرها بالولد [3].

---

(١) تفسير الطبري ٤/ ٣٩٨، والسنن الكبرى ٧/ ٣١٧ – باب إتيان النساء في أدبارهن – حديث رقم ١٤١١٠ .

(٢) تفسير الطبري ٤/ ٤١٧ .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٥ .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، قال : التسمية عند الجماع، يقول : بسم الله، وكذا قال عطاء [١].

وقال مجاهد: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ يعني إذا أتى أهله فليدع [٢].

ويؤيده حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ بِاسْمِ اللهِّ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا)** متفق عليه [٣].

والأرجح أن المعنى يشمل جميع ما تقدم . فيقدم العبد لنفسه الخير وطاعة ربه، وتكون نيته في النكاح إعفاف نفسه وزوجه وطلب الولد .

قال السعدي :" ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته، ويجامعها على وجه القربة والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم" [٤].

واللام في قوله: ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ للتعليل، أي لأجل أنفسكم أي لنفعها .

وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: تحريض على امتثال الشرع بالبعد عن السيئات والتحلي بالواجبات والقربات. والمعنى: اتقوا الله في جميع

(١) تفسير الطبري ٤/ ٤١٧، وتفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٤٠٦ .

(٢) تفسير البغوي ١/ ٢٦١ .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٤٠ – كتاب الوضوء – باب التسمية على كل حال وعند الوقاع – حديث رقم ١٤١، وصحيح مسلم ٢/ ١٠٥٨ – كتاب النكاح – باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع – حديث رقم ١١٦ .

(٤) تفسير السعدي ص ١٠٠ .

أحوالكم، كونوا ملازمين لتقوى الله .

ثم دلهم على ما يعينهم على تقواه، فقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ أي: مجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها .

وهذه الجملة بمنزلة التعليل لما أمروا به من التقوى . ومتضمنة للترغيب والترهيب .

وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: أي: المطيعين لله فيما أمرهم، التاركين ما عنه زجرهم .

ولم يذكر المبشر به؛ ليدل على العموم، وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضير، رتب على الإيمان فهو داخل في هذه البشارة [1].

وقد ربط الرازي بين الجمل الأربع السابقة، فذكر أن المراد من قوله: ﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ فعل الطاعات، وقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ المراد منه ترك المحظورات، وقوله: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ دال على الوعيد، وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ دال على الوعد[2].

إذن فهذه الآية: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ ... تأكيد لقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾، وأصل في تحريم الوطء في الدبر؛ لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث. ودل عليه

(١) انظر: تفسير المنار ٢/ ٢٨٨، وتفسير السعدي ص ١٠٠ .

(٢) انظر: تفسير الرازي ٦/ ٤٢٤ .

سبب النزول المتفق عليه بين العلماء . وبه قال الجمهور من السلف والخلف . وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما في جوازه فلا يصح، وإن صح، فهو محمول على إتيان النساء من جهة الدبر في القبل [١].

وقد تظافرت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم ذلك، ولعن فاعله.

فمنها حديث أَبِي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا)** رواه أحمد[٢]، وأبو داود[٣]، وحسنه الألباني [٤].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا)** رواه ابن ماجة [٥].

وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** رواه أحمد[٦]، وأصحاب السنن [٧].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢/ ٢٦٥، وزاد المعاد لابن القيم ٤/ ٢٣٥ .

(٢) المسند ١٥/ ٤٥٧ – حديث رقم ٩٧٣٣ .

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٤٩ – كتاب النكاح – باب في جامع النكاح – حديث رقم ٢١٦٢.

(٤) صحيح أبي داود ٦/ ٣٧٥ .

(٥) سنن ابن ماجة ١/ ٦١٩ – كتاب النكاح – باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن – حديث رقم ١٩٢٣. قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢/ ٣١٣ : صحيح لغيره .

(٦) المسند ١٦/ ١٤٢ – حديث رقم ١٠١٧٦ .

(٧) سنن الترمذي ١/ ٢٤٢ – باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض – حديث رقم ١٣٥، وسنن أبي داود ٤/ ١٥ – باب في الكاهن – حديث رقم ٣٩٠٤، والسنن الكبرى =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ومتى وطئها في الدبر وطاوعته عزرا جميعا؛ فإن لم ينتهيا وإلا فرق بينهما؛ كما يفرق بين الرجل الفاجر ومن يفجر به " اهـ [1].

إذن فالمحظور الثالث من محظورات الوطء هو إتيان المرأة في دبرها .

وقد دل عموم قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ على جواز العزل[2]، وأنه لا يعد من محظورات الوطء .

عن زائدة بن عمير الطائي قال : سألت ابن عباس عن العزل؛ فقال: إنكم قد أكثرتم؛ فإن كان قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا؛ فهو كما قال، وإن لم يكن قال فيه شيئا؛ فأنا أقول: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾؛ فإن شئتم؛ فاعزلوا، وإن شئتم؛ فلا تفعلوا [3].

وعن أبي ذراع قال: سألت ابن عمر عن قول الله: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ قال: إن شئت عزلا وإن شئت غير عزل [4].

= للنسائي ٨/ ٢٠١ – آداب إتيان النساء – حديث رقم ٨٩٦٨، وسنن ابن ماجة ١/ ٢٠٩ – باب النهي عن إتيان الحائض – حديث رقم ٦٣٩ . وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم ٧٨٠٢ .

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢/ ٢٦٧ .

(٢) وهو أن يجامع؛ فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفرج .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٠٦ – حديث رقم ٣١٠٤ ، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي . وأخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٢٥ – حديث رقم ١٢٦٦٣ . قال في مجمع الزوائد ٤/ ٢٩٧: رجاله رجال الصحيح، خلا زائدة بن عمير، وهو ثقة .

(٤) المصنف ٣/ ٥١٨ – رقم الأثر ١٦٦٧٦ .

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، قال: إن شئت؛ فاعزل، وإن شئت؛ فلا تعزل[١].

ويؤيده ما جاء في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه قال: **(كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقُرْآنُ يَنْزِل)** [٢].

وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه أنه قال: **(كُنَّا نَعْزِل وَالْقُرْآن يَنْزِل فَلَوْ كَانَ شَيْء يُنْهَى عَنْهُ لَنَهَى عَنْهُ الْقُرْآن)** [٣].

وفي رواية: **(كُنَّا نَعْزِل عَلَى عَهْد رَسُول اللَّهَّ صَلَّى اللَّهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَنْهَنَا)** [٤].

وقال ابن القيم:" ولا ريب أن أحاديث جابر صريحة صحيحة في جواز العزل، وقد قال الشافعي رحمه الله: ونحن نروي عن عدد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم رخصوا في ذلك، ولم يروا به بأسا. قال البيهقي: وقد روينا الرخصة فيه عن سعد بن أبي وقاص وأبي أيوب الأنصاري وزيد بن ثابت وابن عباس وغيرهم، وهو مذهب مالك والشافعي وأهل الكوفة وجمهور أهل العلم" اهـ [٥].

---

(١) المصنف ٣/ ٥١٧ – رقم الأثر ١٦٦٧٣ .

(٢) صحيح البخاري ٧/ ٣٣ – كتاب النكاح – باب العزل – حديث رقم ٥٢٠٩، وصحيح مسلم ٢/ ١٠٦٥ – كتاب النكاح – باب حكم العزل – حديث رقم ١٤٤٠ .

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٥ – كتاب النكاح – باب حكم العزل – حديث رقم ١٤٤٠ .

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٥ – كتاب النكاح – باب حكم العزل – حديث رقم ١٤٤٠ .

(٥) زاد المعاد ٥/ ١٣٢ .

وذهب ابن حزم وأهل الظاهر إلى تحريمه؛ محتجين بما رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة، عن جدامة بنت وهب، أخت عكاشة، قالت: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أناس؛ فسألوه عن العزل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيّ وَهِيَ**: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ التكوير: ٨) [1].

قال النووي:" وقوله في هذا الحديث ﴿ **وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ** ﴾ معناه أن العزل يشبه الوأد المذكور في هذه الآية " اهـ [2].

قَالُوا: وهذا الحديث ناسخ لأخبار الإباحة، ولأن فيه: قطع النسل المطلوب من النكاح، وسوء العشرة، وقطع اللذة عند استدعاء الطبيعة لها[3].

وأجاب المجيزون عن حديث جدامة بما أخرجه الترمذي والنسائي وصححه عن جابر رضي الله عنه قال: كانت لنا جوار، وكنا نعزل عنهن؛ فقال اليهود: إن تلك الموءودة الصغرى؛ فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛ فقال: (**كَذَبَتْ يَهُودُ، لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَهُ؛ لَمْ تَسْتَطِعْ رَدَّه**)[4].

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٠٦٧ – كتاب النكاح – باب جواز الغيلة، وهي وطء المرضع، وكراهة العزل– حديث رقم ١٤٤٢ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/ ١٧ .

(٣) انظر زاد المعاد ٥/ ١٣١، وشرح النووي على مسلم ١٠/ ٩، وفتح الباري لابن حجر ٩/ ٣٠٩ .

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٤٣٤ – كتاب النكاح – باب ما جاء في العزل – حديث رقم ١١٣٦، والسنن الكبرى للنسائي ٨/ ٢٢٢ – كتاب عشرة النساء – باب العزل وذكر اختلاف =

والذي كذبت فيه اليهود زعمهم أن العزل لا يتصور معه الحمل أصلا، وجعلوه بمنزلة قطع النسل بالوأد؛ فأكذبهم، وأخبر أنه لا يمنع الحمل إذا شاء الله خلقه، وإذا لم يرد خلقه؛ لم يكن وأدا حقيقة، وإنما سماه وأدا خفيا في حديث جدامة؛ لأن الرجل إنما يعزل؛ هربا من الحمل؛ فأجرى قصده لذلك مجرى الوأد، لكن الفرق بينهما: أن الوأد ظاهر بالمباشرة، اجتمع فيه القصد والفعل، وأما العزل فيتعلق بالقصد دون الفعل؛ فلذلك وصفه بكونه خفيا [١].

هذه محظورات الوطء التي دلت عليها الآيتان:٢٢٢، ٢٢٣ من سورة البقرة .

وتقدم الكلام عن الآية الأولى في دلالتها على أثر تلك المحظورات في تحقيق مقاصد النكاح [٢].

وأما الآية الثانية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ ...؛ فقد دلت على أن المقصود الأكبر من الوطء هو: إيجاد النسل الطيب، ورعايته، وحفظه.

فقد دل قوله:﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ على أن من أعظم ما يقدم للنفس هو ما ينفعها في غدها، ولا أنفع للمرء في مستقبله من الولد الصالح، ولا يكون الولد صالحا إلا إذا أحسن والداه رعايته وتربيته؛ فالأمر بالتقديم للنفس

= الناقلين للخبر في ذلك– حديث رقم ٩٠٣٠ . وصححه النسائي كما يقول ابن احجر في الفتح ٩/ ٣٠٨ . وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١/ ٥٧٩ .

(١) انظر: زاد المعاد ٥/ ١٣١، وفتح الباري لابن حجر ٩/ ٣٠٩ .

(٢) انظر: ص ٤١٢ .

يتضمن الأمر باختيار المرأة الصالحة الودود الولود، التي تعين الرجل على تربية ولده، كما يختار الزراعة في الأرض الطيبة التي يرجى نماء النبات فيها، وتؤتي غلتها على أحسن وجه. والأمر بالتقديم يتضمن أيضا الأمر بحسن تربية الولد وتهذيبه . وقوله:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ تأكيد لهذا المقصد، وتحذير من الانحراف عنه [1].

بقي أن أضيف إلى محظورات الوطء ثلاثة أخرى، وردت في سورة البقرة، في الآيات التي تناولت عبادتين رئيستين، هما: الصيام، والحج .

فالوطء يعد من مفسدات الصوم؛ بدليل قوله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ البقرة: ١٨٧.

والوطء في نهار رمضان أشد المفطرات تحريما، والكفارة فيه مغلظة؛ لانتهاكه لحرمة الزمان؛ بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: هَلَكْتُ، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: (**وَمَا أَهْلَكَكَ؟**) قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: (**هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟**) قَالَ: لَا، قَالَ: (**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟**) قَالَ: لَا، قَالَ: (**فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟**) قَالَ: لَا، قَالَ:

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٤/ ٢٤٠، وتفسير المنار ٢/ ٢٨٨ .

ثُمَّ جَلَسَ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: (تَصَدَّقْ بِهَذَا) قَالَ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنَّا ؟ فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا، **فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ**، ثُمَّ قَالَ: (**اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**)[١].

وعليه فالمحظور الرابع من محظورات الوطء هو: تلبس الزوجين أو أحدهما بصيام واجب أو مستحب .

والوطء أيضا يعد من مفسدات الاعتكاف، وهو محرم بالإجماع؛ بدليل قوله تعالى:﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾ البقرة: ١٨٧ [٢].

وعليه فالمحظور الخامس من محظورات الوطء هو اعتكاف الزوجين أو أحدهما.

كذلك يعد الوطء من مفسدات الحج؛ إذا كان قبل التحلل الأول؛ بدليل قوله تعالى:﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ﴾ البقرة: ١٩٧ ، قال ابن عباس: هو الجماع؛ بدليل قوله تعالى:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ البقرة: ١٨٧ يعني الجماع . وقد حكى ابن المنذر إجماع العلماء أنه يفسد النسك به [٣].

(١) صحيح البخاري ٣/ ٣٢ – كتاب الصوم – باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء – حديث رقم ١٩٣٦، وصحيح مسلم ٢/ ٧٨١ – كتاب الصيام – باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان .. – حديث رقم ١١١١ .

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٣/ ١٩٦ .

(٣) انظر: بداية المجتهد لابن رشد ٢/ ١٣٣، والمبدع في شرح المقنع لابن مفلح ٣/ ١٤٨ .

إذن فالمحظور السادس هو تلبس الزوجين أو أحدهما بالإحرام لأحد النسكين: الحج، أو العمرة .

فتحصل مما تقدم ستة محظورات للوطء:

الأول: **مباشرة الزوجة الحائض في الفرج .**

الثاني: **مباشرة الزوجة الحائض في الفرج بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال .**

الثالث: **إتيان الزوجة في دبرها .**

الرابع: **تلبس الزوجين أو أحدهما بصيام واجب أو مستحب .**

الخامس: **اعتكاف الزوجين أو أحدهما.**

السادس: **تلبس الزوجين أو أحدهما بالإحرام** للحج أو العمرة .

الخاتمة

الحمد الله الذي أتم نعمته بإنجاز هذا البحث، وأوجز ما توصلت إليه من نتائج على النحو التالي:

١- الأرجح أن النكاح حقيقة في الوطء والعقد؛ فهو لفظ مشترك.

٢- المراد **بمحظورات النكاح: كل سبب يمنع من صحة العقد، أو يحرم الوطء .**

٣- من أهم مقاصد النكاح: حفظ الدين، والنسل، والعرض، والنسب، والطهارة الحسية والمعنوية .

٤- هذه المحظورات تعود إلى وصف مؤثر في أحد الزوجين، يكون سببا في حظر النكاح بينهما . وهذا الوصف المؤثر ينقسم إلى قسمين، **أحدهما: وصف دائم، يترتب عليه حظر النكاح إلى أبد.** وقد ورد معظم هذا القسم من محظورات النكاح في سورة النساء .

الثاني: وصف غير دائم، يترتب عليه حظر النكاح إلى أمد . وهو محل الدراسة في هذا البحث.

٥- تضمنت سورة البقرة معظم محظورات عقد النكاح، وهي سبعة :

الأول: نكاح المسلم المشركة .

الثاني: إنكاح المشرك المسلمة .

الثالث: إنكاح المبتدع الداعي إلى بدعته.

الرابع: إنكاح الزاني - الذي لم يتب من الزنا - العفيفة .

الخامس: نكاح العفيف الزانية التي لم تتب من الزنا .

السادس: إنكاح المرأة نفسها .

السابع: نكاح البائن من زوجها بينونة كبرى، حتى تنكح زوجا غيره

٦- كما تضمنت السورة محظورات الوطء، وهي ستة:

الأول: **مباشرة الزوجة الحائض في الفرج .**

الثاني: **مباشرة الزوجة الحائض في الفرج بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال .**

الثالث: **إتيان الزوجة في دبرها .**

الرابع: **تلبس الزوجين أو أحدهما بصيام واجب أو مستحب .**

الخامس: **اعتكاف الزوجين أو أحدهما.**

السادس: **تلبس الزوجين أو أحدهما بالإحرام** للحج أو العمرة .

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار ابن عفان- السعودية.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي.
- أحكام القرآن، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- آداب الزفاف في السنة المطهرة، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، دار السلام.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.
- أصول السنة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار المنار – الخرج – السعودية.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو

عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، دار المعرفة – بيروت.
- إيجاز البيان عن معاني القرآن، لمحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم نجم الدين، تحقيق:د. حنيف بن حسن القاسمي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار الغرب الإسلامي – بيروت.
- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠ هـ .
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، دار الكتب العلمية.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد،١٤٢٥هـ ، دار الحديث – القاهرة.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية.
- التحرير والتنوير من التفسير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور،١٩٨٤ هـ، الدار التونسية للنشر– تونس.
- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت.
- تفسير القرآن الحكيم، المعروف بتفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا

القلموني الحسيني، ١٩٩٠ م ،الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية.
- تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي.
- تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق أحمد فريد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية - لبنان- بيروت.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، ١٣٨٧ هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.
- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد

الهادي الحنبلي، تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، أضواء السلف - الرياض.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون مع آخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- التيسير في القراءات السبع، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: اوتو تريزل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، مؤسسة الرسالة.
- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي:لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،

تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ، دار الكتب المصرية- القاهرة.
- حاشية محيي الدين شيخ زاده، لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ، دار الشروق - بيروت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.
- الدر المنثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- الذخيرة، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى ١٩٩٤ م،دار الغرب الإسلامي - بيروت.
- روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء، دار الفكر - بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب

الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، دار الكتاب العربي- بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥هـ مؤسسة الرسالة- بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية- الكويت.
- السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي،تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ، دار المعارف – مصر.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي- بيروت.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- السنن الصغير، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشي – باكستان.
- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ،

مؤسسة الرسالة – بيروت.
- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- شرح صحيح البخارى لابن بطال، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ، مكتبة الرشد – الرياض.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٢ – ١٤٢٨ هـ، دار ابن الجوزي.
- صحيح أبي داود، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع – الكويت.
- صحيح الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف– الرياض.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف– الرياض.
- صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت – لبنان .
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- العجاب في بيان الأسباب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي.
- علم المقاصد الشرعية، للدكتور/ نور الدين بن مختار الخادمي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، مكتبة العبيكان.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر أبو عبد الرحمن شرف الحق الصديقي العظيم آبادي، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة - بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية.
- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق- بيروت.
- الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، لـ أ. د. وَهْبَة الزُّحَيْليّ، الطَّبعة الرَّابعة، دار الفكر - دمشق.
- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم

العرقسُوسي، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
- كتاب القدر لأبي بكر جعفر بن محمد بن حسن الفريابي، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، أضواء السلف- السعودية.
- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، للإمام نصربن علي بن محمد الشيرازي ،تحقيق: د.عمر حمدان الكبيسي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم – جدة.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ ، دار صادر – بيروت.
- المبدع في شرح المقنع، لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح أبو إسحاق برهان الدين، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي ١٤١٤هـ، دار المعرفة – بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، طبعة ١٤١٢ هـ، دار الفكر – بيروت.

- مجموع فتاوى ابن تيمية، لأبي العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ومساعدة ابنه محمد، ١٤١٥هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ١٣٩٥هـ، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
- مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، لإسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب المروزي المعروف بالكوسج، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله أبي الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، إشراف د.عبد الله بن عبد المحسن التركي،١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.
- مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري أبو عبد الله ولي الدين التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٩٨٥، المكتب الإسلامي - بيروت.

- المصنف،لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.
- معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- معاني القراءات للأزهري، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية.
- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ، عالم الكتب - بيروت.
- المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ، مكتبة العلوم والحكم -الموصل.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المغني لابن قدامة، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة

المقدسي،١٣٨٨هـ ، مكتبة القاهرة.
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم - دمشق.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، الطبعة الثالثة ديسمبر ١٩٨٨م ، الشركة التونسية للتوزيع- تونس.
- الملخص الفقهي، للشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، دار العاصمة - الرياض- المملكة العربية السعودية.
- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار ابن عفان.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت،الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)
الأجزاء ١ - ٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل – الكويت.
الأجزاء ٢٤ - ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر.
الأجزاء ٣٩ - ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.
- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد - الرياض.

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للدكتور: أحمد الريسوني، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، المكتبة التجارية- مكة، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي ١٣٩٩هـ، المكتبة العلمية - بيروت.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان.